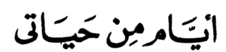
أيام من حياتي

زينب الغزالي

كمال عبد



دار الشروق


أيام من حياتي

الطبعة التاسعة

١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م

الطبعة العاشرة

١٤٠٨ هـ ١٩٨٨ م

الطبعة الحادية عشرة

١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م

الطبعة الثانية عشرة

١٤١١ هـ - ١٩٩١ م

الطبعة الثالثة عشرة

١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م

© دار الشروق

القاهرة : ١٦ شارع جواد حسني - هاتف : ٣٩٣٤٥٧٨ - ٣٩٣٤٨١٤

برقيا : شروق - تلكس : 93091 SHROK UN

بيروت : ص . ب : ٨٠٦٤ - هاتف : ٣١٥٨٥٩ - ٨١٧٧٦٥ - ٨١٧٢١٣

برقيا : داشروق - تلكس : SHOROK 20175 LE

زينب الغزالي

أيام من حياتي

دار الشروق

اهداء

* إلى الأرواح الطاهرة الزكية التى صعدت إلى بارئها ، فرحة بفضل الله عليها ورضوانه ..

* إلى النفوس النقية التى أزهقت فى سبيل ربها ، وذهبت إليه تشكو ظلم البشرية وطغيانها ..

* إلى الدماء التى سالت لتكون موجاً هادراً يدفع الأجيال عبر التاريخ إلى طريق ربها ..

* إلى الشهداء الذين قتلوا فى سبيل الله وفى سبيل الإسلام فضحوا وفدوا فكانوا فى الأرض الأوفياء ، وفى الآخرة الخالدين الفائزين ..

* إلى الذين قال لهم الناس : «**إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل** .. »

* إلى الذين عذبوا فى سبيل الله تعالى فما وهنوا لما أصابهم فى سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا ..

* إلى زوجى ، إلى تلك النفس الطيبة التى شاركتنى أيام حياتى ببذلها وتضحيتها ، ثم فاضت تلك الروح الندية ، والمحنة قائمة ..

لكل هؤلاء وللمسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها أقدم هذا الكتاب . واسألك اللهم أن تتقبله وتنفع به .. «**ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا فى أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين** » ..

زينب الغزالى الجبيلى

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .. نازعتنى فكرة الكتابة عن «أيام من حياتى» وترددت كثيرا . غير أن الكثرة ممن أثق فى ايمانهم بالقضية الاسلامية وهم من أبنائى واخوانى رواد الدعوة وبناة فكرها الذين عاشوا معى تلك الأيام ، رأوا أنه من حق الاسلام علينا أن نسجّل تلك الحقبة من الايام التى عاشت فيها الدعوة الاسلامية محاربة من قوى الالحاد والباطل فى الشرق والغرب ، التى قامت لتقتل كلمة الحق ورافعى لوائها وكل دعاتها الفاهمين الفاقهين المصارحين بشجاعة وصدق بأن كتاب الله وسنة رسوله معطلان ولابد من قيام الكتاب والسنة . ولابد من عودة الأمة الاسلامية بكل مقوماتها الى أرض الاسلام لتحقق الصورة العملية العملاقة بعودة مجتمع التوحيد والعلم والمعرفة والصلة الحقيقية بالله سبحانه وتعالى ، فتنطوى مجتمعات الجاهلية التى أعمت البشرية عن طريقها السوى وشغلتها بغثائها عن طريق الله .. طريق الحق ، فيعملوا على تطهير الأرض من تأليه البشر ، وعبادة طواغيت الأرض باتباع تشريعاتهم وتعطيل شريعة الله ، وتعود الحياة بنبضات الوجود الحقيقى الذى كانت به الأمة فى عصر النبوة وصحبه المباركين رضوان الله عليهم جميعا خير أمة أخرجت للناس .

لا صلاح لأمة ولا لهذا العالم الا بالدعوة الى الاسلام . إن غياهب السجون ومقاصل التعذيب وشراسة حملة السياط لم تزد المخلصين من أبناء الدعوة وبناة فكرها الا قوة وثباتا وصبرا على دفع الباطل ونحن نترصد منابته .

كذلك كان عهد الذين سلكوا طريق الحق قبلنا فاعتقدوه . فليس بالسياط يضيع الطريق !! ولكن الحجة بالحجة والرأى بالرأى والكلمة تجابهها الكلمة . سهل أن تضع

القوة الباطشة العمياء السياط فى أيدى المجانين ، ولكن الصعب هو أن تأخذ المخدوعين بالباطل والمقتنعين بحمل السياط والمتألهين فى الأرض ، عن طريق غوايتهم وجهلهم فتهديهم الى طريق مستقيم .

والطريق الى الحق واحد وهو طريق الله وأنبيائه ورسله وورثتهم . أما الباطل فطرقه وسبله متفرقة ، وعلى كل سبيل من سبله شيطان يزين للمغمورين منهم فى ظلمة الباطل غوايته ويقودهم الى سبيله .

«وأنّ هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولاتتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله» .

وليس أمام البشرية اليوم للخلاص من ذلك الضلال وهؤلاء الطغاة من البشر الا أن ينتهجوا منهج الحق ، وينتهجوا منهج الله ، المنهج المحمدى الموحى به «القرآن الكريم» والملهم به من السنة الصحيحة .

وانى لأرى بوادر النصر وارهاصاته ان شاء الله بقيام الأمة وعودة المجتمع الذى سيعلو بتوحيده فوق توليفات البشر مما يغزو بلادنا اليوم من تيارات الالحاد ، نعم انى لأحسها قريبة وأرى أعلامها ترمى بهذا الغثاء من فكر البشرية الضال فى ركام الجاهلية ، وانى لأكاد أشاهد أعلام الالتزام بما كلفت به خير أمة اخرجت للناس .. وأعلام الالتزام بشهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله .

نعم اننا لانستعجل الزمن . فالسنون ، عشراتها ومئاتها ليست بذات قيمة فى عمر الدعوات والأمم . ولكن العبرة أننا ثابتون على الطريق مؤمنون بسلامة الخطا ووضوح الرؤية.

اننا على يقين أننا على حق . وكل الذى يعنينا أن نضيف لبنات جديدة للبناء . المهم ألاّ نتقاعس ولانتخاذل ولانتقهقر عن عقيدتنا ، عقيدة التوحيد ، عقيدة العمل ، عقيدة البيان : بيان الحق للناس جميعاً ، بيان عقيدتنا لكل البشر .

وإيماناً منا بأن فترة سجننا وتعذيبنا هى من حق التاريخ ، ومن حق الذين على الطريق أن يعوها ويدرسوها حتى يبقوا على طريق الجهاد ولاتتحول قضيتهم الى سفسطة كلامية وحديث ترف وقصة تاريخ ، ايمانا بهذا كله نزلت على رأى المخلصين من أبنائى واخوانى ،

واستعنت بالله سبحانه وتعالى أن يمدنى بعونه لجمع مااحتوته ذاكرتى مما كان ، وان كان الذى كان من الصعب أن يستعاد بوصفه ونمطه ..

ويكفى دلالة عليه أن أشير الى أن حاملى السياط وخبراء التعذيب بألوانه وأشكاله ، قد سموه : جهنم !!

ان جهنم هذه كانت بوتقة لصهر معادن الرجال فنقتها وانجلت مهزلة التعذيب عن رجال محصتهم الفتنة فقالوا بأعلى صوت : «يا أيها الناس : الاسلام ليس انتماء بل التزام واتباع» .

وأرجو الله أن يعيننى على استعادة الصورة أو بعضها ، وأن تكون للمخلصين مشعل حق ونور وهداية .

فلنشق لخطانا صراطا مستقيماً ، وانى لأعيدها وأصر عليها :

«انها رسالة الرسل والأنبياء ، هيمنت عليها وأكملتها رسالة محمد ﷺ فبشريعتها أتم الحق تكاليفه لعباده ونسخ بها ماسبقها وأقامها حقيقة زكية «**فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر**» .

إن الذين تجشموا وعورة الطريق وعرفوا بمشيئة الله مقاصد الكتاب والسنة لن يحيدوا عن الحق والخير والدعوة اليه حتى تقوم الأمة وتستقر البشرية تحت أعلام كتاب الله وسنة رسوله .

وإننا لعلى الطريق مثابرون محتسبون مانلاقى عند الله .. و«**إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقاً فى التوراة والإنجيل والقرآن**» ..

فالى أرواح الشهداء الذين سبقونا تحية حب وعرفان ووعدا بأننا على الطريق . الى كل من كان فى قلبه مثقال ذرة من خير .. لعل الله أن ينفع به ويهدى وماتشاءون الا أن يشاء الله ..

زينب الغزالى الجبيلى

الباب الأول

عبد الناصر يكرهني شخصياً

في مساء يوم من أيام الشتاء وفي أوائل شهر فبراير عام ١٩٦٤م وكنت عائدة إلى بيتي حين انقلبت بي عربتي إثر اصطدامها بعربة أخرى ، كانت الصدمة قاسية فذهبت في شبه اغماءة ، كانت الآلام الشديدة توقظني منها . ولم أتبين من كل ماحدث حولي إلا صوت انسان ينادي اسمي في فزع ، وغبت عن الوعي ، وحين تنبهت وجدت نفسي في مستشفى هليوبوليس وبجانبي زوجي وأشقائي وشقيقاتي وبعض زملائي في الدعوة وزميلاتي . كان الكل في فزع وألم شديدين تحكيها تعبيرات الوجوه التي تصفحتها وأنا أفتح عينيّ لأول مرة وشفتاي تتمتمان « الحمد لله . الحمد لله » وكأني بالتمتمة أسألهم عما حدث . إلا أنني مالبثت أن غبت ثانية عن الوعي ، ولم أتنبه إلا بدخول إحدى الحكيمات بالمستشفى مع ممرضين وممرضتين لحملي إلى حجرة الأشعة . وتذكرت ماحدث وسمعت زوجي يقول : الحمد لله سلمها الله ، احمدي الله ياحاجة . وسألت عن سائق عربتي فعلمت أنه – بحمد الله – بخير – وهو يعالج في المستشفى ، وعلمت فيما بعد أنه أصيب بارتجاج في المخ . وحُملت إلى غرفة الأشعة ولما تبين وجود كسر في عظمة الفخذ ، وضع ساقي في قفص حديدي وتقرر اجراء عملية جراحية . ونقلت إلى مستشفى مظهر عاشور ليجريها لي جراح العظام الدكتور محمد عبد الله واستغرق اجراء العملية – بعد التحضير والتخدير – ثلاث ساعات ونصف الساعة .. عشت بعدها فترة ، ونذر الخطر تحيط بي ...

وزالت أيام الخطر وبدأت ألتقط مايقال وما ينقل مما يوضح أن الحادث كان مدبراً من مخابرات جمال عبد الناصر لاغتيالي وتواترت الأخبار تؤكد ذلك . وكان لفيف من الشباب

المسلم يزورنى يومياً للاطمئنان ، وعلى رأسهم الأخ الشهيد عبد الفتاح عبده اسماعيل ، فلما بلغتنى تلك الأخبار ، طلبت منه أن يقلل الشباب من زيارتى ، وكان رده أنه قد حاول هذا فعلاً ، ولكنهم رفضوا وأصروا على زيارتى ..

وفى أحد الأيام التالية دخل السكرتير الإدارى لجماعة السيدات المسلمات وبيده ملف أوراق ، يعرضها علىّ بصفتى رئيسة الجماعة ، وكان فى الغرفة زوجى والسيدة حرم الأستاذ الهضيبى المرشد العام للاخوان المسلمين ، ورأيت زوجى يسرع إلى السكرتير قبل أن تتاح له فرصة تقديم الملف لى فيأخذه منه ويخرج معه من الحجرة ، وهو يحدثه حديثاً فهمت منه أنه نهاه مرة قبل ذلك عن تقديم هذه الأوراق لى ، ودهشت لذلك وسألت زوجى عن السبب فتعلل بأننى محتاجة إلى موافقة الدكتور عبد الله المشرف على علاجى . وذهب زوجى إلى الدكتور الذى مالبث أن جاء ليكشف على ساق وليحرم علىّ القيام بأى عمل ، ليؤكد لى أنه منع دخول الأوراق أو وصول الأخبار عن الجمعية إلىّ. ولما احتججت بأن الامر بسيط لن يتعدى التوقيعات أصر على موقفه . ومضت أيام رجوت الطبيب بعدها السماح بمزاولة بعض أعمال الجماعة من فراشى فرفض ، وازددت يقيناً بأن هناك شيئاً ما ، يتعمد الجميع اخفاءه عنى ، زوجى والسكرتير والزائرون ، بل حتى سكرتيرة مجلس إدارة جماعة السيدات المسلمات التى كانت تزورنى دائماً وكنت أحس من إجابتها المقتضبة على أسئلتى عن الجماعة بأنها تخفى عنى شيئاً .

وجاءتنى السكرتيرة فى أمسية استجمعت فيها شجاعتها لتنقل إلىّ وبوجود زوجى ماأخفوه عنى .كان الأمر خطيراً على مابدا من موقف زوجى المذكر بشجاعتى والمشجع على الصبر والاحتمال وقوة الإرادة . وأخذت الأوراق من السيدة فإذا هى قرار «بحل المركز العام لجماعة السيدات المسلمات» ، وأخذت السكرتيرة تتحدث إلىّ قائلة : «طبعاً ياحاجة الأمر شديد بالنسبة إليك» . قلت : «الحمد لله ، ولكن ليس من حق الحكومة أن تحل الجماعة ، إنها جماعة إسلامية» أجابتنى : «لا أحد يقدر أن يقول للحكومة هذا ، لقد بذلنا مجهوداً كبيراً جداً ، ولكن عبد الناصر مصر على حل الجماعة ، **هو يكرهك شخصيا ياحاجة زينب ! ! لايطيق** أن يسمع اسمك على لسان أى انسان . عندما يذكر **اسمك** يثور

ويغضب وينهى المقابلة ..

قلت : «الحمد لله الذى جعله يخافنى ويبغضنى وأنا أبغضه لوجه الله ، ولن يزيدنا طغيانه ، نحن معاشر المجاهدين ، إلا اصراراً على أن نرضى ضمائرنا ونعيش لدعوتنا ، إنها دعوة التوحيد وسننتصر بإذن الله ، وأرخص مانبذله لها أن نستشهد فى سبيلها» .

ليس لعبد الناصر الحق فى أن يحل جماعة السيدات المسلمات . إن الله تبارك وتعالى هو الذى يعقد للمسلمين راياتهم ، والذى يعقده الله لايحله البشر» .

قالت والدموع فى عينيها : «ياحاجة المسألة خطيرة ، ونرجو الله أن لاتنتهى بحل الجماعة ، ربما كانت كلماتك هذه تسجل ، أو أنها قد سجلت فعلا ، ربما كان هنا جهاز تسجيل» . كانت تسر فى أذنى بهذه الكلمات وكأنها تخشى تسجيل كلماتها ، واستمرت تسر إلىّ : «ياحاجة أنا أطلب منك شيئاً صغيراً وهو التوقيع على هذه الورقة ، فإذا وقعتها سيلغى قرار الحل» . فسألتها أن تطلعنى على الورقة فإذا هى استمارة انتساب للاتحاد الاشتراكى ، فقلت لها : «لا والله ، شلّت يدى إذا وقعت يوماً على مايدينني أمام الله بأننى اعترفت بحكم الطاغوت جمال عبد الناصر الذى قتل عبد القادر عوده وزملاءه . إن الذين غمسوا أيديهم فى دم الموحدين خصوم لله وللمؤمنين . الأشرف لنا أن يحل المركز العام للسيدات المسلمات» . قبلت رأسى وهى تبكى وتقول :

– أتثقين بأننى ابنتك ؟

قلت : نعم ..

قالت : فاتركى هذا الموضوع ..

قلت : سنترك الأمر ، ولن أوقع هذه الورقة . إن فيها ولاء للطاغية ، وهذا أمر مستحيل اتيانه والله يفعل مايختاره لعباده . ومرت أيام المستشفى وتقرر خروجى مع استمرار العلاج .

أنا والاتحاد الاشتراكى

وفى البيت كانت السيدة السكرتيرة تزورنى يومياً وأخبرتنى بأن قرار الحل أوقف .

ودهشت لذلك وسألت كيف ذلك فقالت : «لا أدرى ، ربما يكون فتح باب للاتصال بك» . وأخذ السكرتير الإدارى يحضر لى مايحتاج للاطلاع والتوقيع وأخذت أزاول نشاطى فى تسيير أعمال المركز العام للسيدات المسلمات من بيتى . ولكنى عدت إلى المستشفى مرة أخرى لاجراء عملية جراحية لرفع المسامير من الفخذ ، وكان قد أفرج عن الشهيد الإمام سيد قطب وزارنى فى المستشفى وجمع من الأخوان . وذات يوم فوجئت بخطاب مسجل عن طريق البريد ببطاقة كتبت فيها هذه البيانات :

«الاتحاد الاشتراكى العربى»

حرية – اشتراكية – وحدة

الاسم والشهرة : زينب الغزالى الجبيلى ، وشهرتها : زينب الغزالى .
الوظيفة أو المهنة : رئيسة المركز العام لجماعة السيدات المسلمات .
وحدة : البساتين – ألماظة .
قسم : مصر الجديدة .
محافظة : القاهرة .

جاءتنى هذه البطاقة بالبريد ومعها مايثبت سداد اشتراكى عن عام ١٩٦٤م ، فضحكت ضحكة مريرة بما صار إليه حال «مصر» وتذكرت كيف كنا نعيش فى حرية لعنوها بعد انقلابهم العسكرى . وبعد استكمال العلاج بالمستشفى عدت إلى المنزل وأخذت دعوات الاتحاد الاشتراكى تتوالى بالبريد لحضور اجتماعات الاتحاد الاشتراكى ، ولكننى قررت أن أتخذ موقفاً سلبياً ، وبعد أيام صرح الدكتور بالخروج ومزاولة نشاطى تدريجياً فى المركز العام للسيدات المسلمات ، وكنت لا أزال أستعين بالعكاز فى المشى .

وفى صبيحة أحد الأيام وبينما انا بالمركز العام للسيدات المسلمات دق جرس الهاتف ، وطلب منى السكرتير أن أرد على من يطلبنى من الاتحاد الاشتراكى ، أمسكت بالسماعة قائلة لمحدثى : «السلام عليكم» ورد السلام من الجهة الأخرى ، ثم قلت : «نعم ، ماذا

تريد ؟ » فسألنى إن كنت أنا زينب الغزالى ، ولما أجبت بالإيجاب قال :

«نحن هنا الاتحاد الاشتراكى ، إن شاء الله أعضاء مجلس إدارة السيدات المسلمات وحضرتك على رأسهم تشرفى وتنورى ، تأخذون علم السيدات المسلمات وتذهبون لاستقبال عبد الناصر فى المطار . »

فأجبته : «إن شاء الله ، يفعل الله مايشاء ويختار»

قال : «عشمناكده ، مجلس الادارة وعدد كبير من أعضاء الجمعية العمومية ، وإذا أمرت أرسلنا لك عربة تكون تحت تصرفكم . »

قلت : «شكراً . »

وانتهت المكالمة .

وبعد يومين أو ثلاثة جاءت مكالمة أخرى من الاتحاد الاشتراكى .كانت سيدة تسأل عن سبب عدم حضورنا لاستقبال الرئيس فى المطار . قلت : «إن أعضاء مجلس إدارة السيدات المسلمات والجمعية العمومية ملتزمات بالسلوك الاسلامى ولايستطعن ياابنتى الحضور فى مثل هذه الاستقبالات المزدحمة. .»

قالت : «إزاى الكلام ده ياست زينب ؟ يبدو انك مش عاوزه تتعاونى معنا ، هل بلغت العضوات وهن رفضن ؟ »

قلت : «مادمت أنا غير مقتنعة بهذا العمل لأنه يخالف تعاليم الاسلام فكيف أبلغهن ؟ » .

قالت : «أنت غير متعاونة معنا » .

قلت : «نحن مرتبطون بتعاليم القرآن والسنة ، عهدنا مع الله ، وتعاوننا على البر والتقوى كما أمرنا الله والهاتف لايصلح لمثل هذه المناقشة » .

قالت : «تفضلى سننتظرك فى مركز الاتحاد الاشتراكى بميدان عابدين لنتفاهم » .

قلت : «أنا مريضة ، حركتى قليلة بسبب علاج رجلى فإذا شئت تفضلى وشرفينا فى

المركز العام للسيدات المسلمات » .

قالت : «وأنت نازلة من البيت مرى علينا ، ألست عضوة فى الاتحاد الاشتراكى ؟ »

قلت : «أنا عضوة فى المركز العام لجماعة السيدات المسلمات ، والسلام عليك يابنتى ورحمة الله » .

وأنهيت المكالمة ولم أذهب إليها .

وبعد أسبوع من هذه المكالمات التليفونية عرض علىّ سكرتير الجماعة خطاباً مسجلاً يحمل تاريخ ١٩٦٤/٩/١٥ بقرار وزارى رقم ١٣٢ بتاريخ ١٩٦٤/٩/٦م ، والقرار ينهى إلينا حل المركز العام للسيدات المسلمات مرة أخرى !!

«لا» ... للطـــاغية

وعقدت مجلس إدارة السيدات المسلمات فى اجتماع عاجل فى ٩ جمادى ١٣٨٤ الموافق ١٩٦٤/٩/١٥ ، وهو نفس اليوم الذى وصل فيه قرار الحل ، وقرر المجلس رفض قرار الحل وتسليم الجماعة وأموالها وممتلكاتها لجماعة أخرى كانت قد انفصلت عنا بإيعاز من المباحث العامة قبل انقلاب عبد الناصر ، ثم تحولت هذه الفئة المنشقة بعد الانقلاب الى جند لعبد الناصر . كما قرر المجلس دعوة الجمعية العمومية لجلسة طارئة استثنائية فى مدة لاتتجاوز ٢٤ ساعة ، واجتمعت الجمعية العمومية ، وقررت رفض قرار الحل وعرض الأمر على القضاء .

ووكلنا الدكتور عبد الله رشوان المحامى ليمثلنا فى القضية وأرسلت الجماعة خطابات مسجلة وبرقيات إلى رئاسة الجمهورية ووزارة الداخلية والشئون الاجتماعية والنائب العام وصوراً منها للصحف . نخطرها برفض قرار الحل وبأن المركز العام للسيدات المسلمات تأسس ١٣٥٧ هـ ١٩٣٦ لنشر الدعوة الإسلامية والعودة بالمسلمين إلى كتاب ربهم وسنة نبيهم . وليس لوزارة الشئون أو الداخلية ولاية علينا والولاية لله وحده . ولمن يقيم دينه .

ويحكم بشرعه .

وعند ذلك تعجل عبد الناصر قرار الحل والادماج كما سبق أن أصدر من قبل ـ وللإنتقام الشخصى من زينب الغزالى لتعطيل دعوة الله ولوجه الشيطان ـ أمراً عسكرياً بوقف صدور مجلة السيدات المسلمات لأجل غير مسمى . وكنت صاحبة امتيازها ورئيسة تحريرها .

واقتحم زبانية الطاغوت دار المركز العام لجماعة السيدات المسلمات واستولوا على محتوياته وشردوا مائة وعشرين فتاة وطفلة يتامى كانت جماعة السيدات المسلمات تؤويهم وتكفل كافة احتياجاتهم من إيواء وتعليم ، بكافة مراحله من الروضة الى الجامعة .

وأحب أن أسجل هنا بكل فخر أن زبانية الطاغوت لم يجدوا سيدة واحدة فى انتظارهم من أعضاء المركز العام للسيدات المسلمات سواء من مجلس الادارة أو الجمعية العمومية أو هيئة الواعظات وكانوا قد طلبوا منى الحضور لتسليمهم الدار فرفضت ، وكذلك كان موقف جميع العضوات الدار فاستلموا ، من السكرتير الإدارى وهو موظف وليس له هذا الحق ..

ويشرفنى أن أسجل هنا بعض العبارات التى سجلتها الجمعية العمومية فى جلستها ، وأرسلتها ترد بها على قرار الحل إلى رئيس الجمهورية ووزير الشئون والنائب العام ووزير الداخلية والصحف :

«إن جماعة السيدات المسلمات أسست ١٣٥٧ هـ ١٩٣٦م لنشر دعوة الله والعمل على ايجاد الأمة المسلمة التى تعيد للإسلام عزته ودولته وكانت لله وستظل لله وليس لأى حاكم علمانى حق الولاية على المسلمين» .

«فجماعة السيدات المسلمات ، رسالتها الدعوة إلى الإسلام وتجنيد الرجال والنساء شباباً وشيباً لاعتقاد رسالته واقامة دولته الحاكمة بما أنزل الله» .

«ونحن السيدات المسلمات – نرفض قرار الحل وليس لرئيس الجمهورية وهو ينادى

صراحة بعلمانية الدولة حق الولاء علينا ، ولا لوزارة الشئون الاجتماعية كذلك . وليست الدعوة أموالاً أو حطاماً تصادره حكومة العلمانيين المحاربين لله ولرسوله وللأمة المسلمة » .

« فلتصادر الحكومة الأموال والحطام ولكنها لاتستطيع أن تصادر عقيدتنا . إن رسالتنا رسالة دعوة ودعاة ، إننا نقف تحت مظلة لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله ،وهذا الاعتقاد بأنه لا إله إلا الله يلزمنا بالجهاد المستمر المتواصل غير المنقطع حتى تقوم دولة الإسلام بأمة الإسلام الواعية لدينها الحاكمة بشرعه المجاهدة فى سبيل نشره » .

ماذا نفعل بعد ذلك

أخذت سيدات الجماعة يتوافدن إلى بيتى بعد ذلك متسائلات : ماذا نفعل ؟

عزيزى القارئ :

كان هذا الموقف الشامخ من السيدات المسلمات سنة ١٩٦٤ فى قمة عنفوان السلطة الناصرية فى الوقت الذى كان فيه الكثيرون يقفون موقف التقية ، ويقرون الطاغوت على فعله بل يصدرون الفتاوى المؤيدة لأفعاله .. ويصبغون عليه صبغة ترفعه إلى مكان الألوهية

وما كانت التقية كذلك يوماً ما فى الإسلام لضياع العقيدة والتمويه على المسلمين ، ولقد رأينا بعض المجلات الإسلامية تتسابق فى ارضاء الطاغوت . حتى مجلة الأزهر نفسه العزيزة علينا معزته ،تخلط بعض سطورها بنبضات هامدة لكتاب منافقين يتسابقون فى ارضاء الباطل وأهله ..

وأخذت الفتاوى تتوالى فى تجريح المجاهدين الذين أخذوا بالعزيمة ولم يأخذوا بالضلال الذى سماه من أخذ به رخصة ، جرّحوا المجاهدين الذين قالوا بالتزام الإسلام لابالانتماء اليه ، والالتزام هو الإسلام ، أما الانتماء بغير التزام فشئ آخر .

وقد أبت جماعة السيدات المسلمات أن تأخذ بما سموه رخصة أو أن تكتفى بالانتما

فرفعت لواء الحق وقالت كلمة الصدق فى وقت تخلّى فيه كثير من الناس عن الحق والصدق خوفا على مناصبهم وضياع دنياهم . ولم تقف موقف المتفرج كما فعل كثير من الناس ، ولكنها قالت رأيها بصراحة فى الأوضاع التى كانت سائدة يومئذ لاتبتغى إلا وجه الله وإن غضب الناس جميعا . وكان أعضاء الجماعة لايصبرن على عدم لقائى فأخذن يتوافدن على بيتى بواسينى فى الأمر . فقد كانت جماعة السيدات المسلمات حياة حياتى ووجودى ، عاهدت الله يوم تأسيسها أن لا أعيش لغيره سبحانه . وأخذت أعداد السيدات المسلمات الكبيرة المتوافدة على دارى يعاهدن الله من جديد ألا يعشن إلا لكلمة الحق وتبليغها ، واتفقن معى على عقد اجتماعات بمنازلهن تتولى الواعظات فيها ارشاد السيدات إلى مبادئ الإسلام ، ولكن حكومة الطاغية التى كانت تتعقب الدعاة إلى الله فى كل مكان بهذه الاجتماعات ، أرسلت إلى السيدات اللائى يتم الوعظ فى منازلهن وقامت بتهديدهن وأخذ التعهد عليهن أن لايعقدن اجتماعاً للوعظ فى بيوتهن . واقتصر النشاط بعد ذلك على الاتصال الفردى

المساومة ثم المخادعة

أخذ رجال المباحث والمخابرات الناصرية يطلبون مقابلتى ويعرضون علىّ عروضاً لاعادة المركز العام للسيدات المسلمات . وكانت هذه العروض تكلفنى أن أشترى الدنيا بالآخرة . وعلى سبيل المثال عرضوا علىّ اعادة اصدار مجلة السيدات المسلمات باسمى كرئيسة للتحرير وصاحبة الامتياز مقابل ٣٠٠ جنيه شهرياً ، على أن لايكون لى شأن بما يكتب فى المجلة . وكان جوابى مستحيل أن تصدر مجلة السيدات المسلمات من مكاتب المخابرات لتنشر علمانية العهد . لم أعتد إلا أن أكون مسئولة مسئولية فعلية . كذلك عرضوا علىّ اعادة المركز العام وصرف اعانة قدرها عشرون ألف جنيه سنوياً ، على أن يكون إحدى مؤسسات الاتحاد الاشتراكى ..

وكانت اجابتى : إن شاء الله ، لن يكون عملنا إلا للإسلام ولن نموّه ولن نضلل . إن الذين يتكسبون بالإسلام لايستطيعون خدمته ، وكان هذا الرفض يغضبهم . ولكنهم

يحاولون اغرائى المرة بعد المرة . وكنت أتعجب من هذه الطريقة ومن اصرارهم على هذه المحاولات الفاشلة . ولكننى اكتشفت الحقيقة بعد ذلك وعرفتِ لماذا هم حريصون على مخادعتى .

خفافيش الليل

ففى إحدى الأمسيات ، وأنا فى منزلى ، استأذن ثلاثة رجال لمقابلتى ، وبعد دخولهم إلى حجرة الصالون ذهبت إليهم فوجدتهم يلبسون غترا عربية ولما سلمت عليهم قدموا لى أنفسهم على أنهم من سوريا ، قادمون من السعودية للفسحة فى القاهرة لمدة عشرة أيام وأنهم قابلوا فى السعودية الأستاذ سعيد رمضان والشيخ مصطفى العالم وكامل الشريف ومحمد العشماوى وفتحى الخولى (هؤلاء من الاخوان الذين فروا من الطاغوت وظلمه) ، وهم يسلمون على الأخوان فى مصر ويريدون أن يطمئنوا عليهم وعلى تنظيمهم ، وقد أمرونا بالانضمام إلى هذا التنظيم ونحن مستعدون لتنفيذ الأوامر والبقاء فى مصر لمعاونة التنظيم .

ثم أخذوا يتحدثون عن الاخوان وعن عبد الناصر وكيف أنه يضطهد الاخوان المسلمين ثم تكلموا عن أحداث سنة ١٩٥٤ وعن حل جماعة الاخوان المسلمين واستشهاد عبد القادر عودة وزملائه ، وكيف أنهم مستعدون للأخذ بالثأر وقتل عبد الناصر وأن هذا هو رأى كامل الشريف والعشماوى ورمضان والخولى والعالم .

ولما كنت أسمع لهم فقط ، طلبوا منى الإجابة ، فقلت : «أنا أستمع إلى أشياء جديدة علىّ ومصطلحات لا أدرى عنها شيئاً» . قالوا : «سنرجع لك ياأخت زينب مرة أخرى لنعرف رأى المرشد ورأى التنظيم فى هذا ...»

فأجبتهم باقتضاب :

«أولاً : أنا لا أعرف شيئاً يسمى التنظيم فى الاخوان . وأسمع أن الاخوان كجماعة قد حلت كما تقول الحكومة .

ثانياً : أنا لاأحدث المرشد فى مثل هذه الأمور ، فصداقتى به وصلتى أخوة إسلامية ومحبة عائلية .

ثالثاً : إن قتل عبد الناصر شئ غير وارد عند المسلمين كما أتصور ، وأنا أنصحكم بالعودة إلى بلدكم والاشتغال بتربية أنفسكم إسلامياً » .

وبعد أن كانوا يستمعون إلى وهم وقوف جلسوا وقال أحدهم : « الظاهر أن الأخت زينب غير مقتنعة . من الذى خرب بلاد المسلمين غير عبد الناصر ؟ »

قلت : ليس من رسالة الاخوان المسلمين قتل عبد الناصر على ما أعتقد . وسألتهم أن يعطونى أسماءهم فأعطونى أسماء تلعثموا كثيراً وهم ينطقونها . وكانت : عبد الشافى عبد الحق ، عبد الجليل عيسى ، عبد الرحمن خليل .

ضحكت لمصادفة وجود كلمة « عبد » فى الأسماء الثلاثة ، وكان واحد منهم فقط هو الذى ذكر أسماء الثلاثة .

وقلت لهم : خير لكم أن ترجعوا إلى بلدكم قبل أن تمسك بكم مباحث عبد الناصر إن كنتم لاتعرفونها وليس لكم بها صلة فعلاً وأنا لاأعتقد ذلك . وأجاب أحدهم : على كل حال لك الحق فى أن تشكى ياحاجة فينا ، ستزورك مرة أخرى وستعرفين من نحن .

وانصرفوا .

وزارنى الأخ عبد الفتاح اسماعيل فذكرت له قصة الزوار السوريين المزعومين ...

كلهم أحمد راسخ

لم يمض أسبوعان على الزيارة الأولى حتى فوجئت بزيارة رجل يدعى أحمد راسخ قدم لى نفسه على أنه من المباحث العامة ، وأخذ يسألنى عما دار بينى وبين السوريين الذين زارونى ...

فوضحت له أننى مدركة تماماً أنهم جواسيس وليسوا إخواناً سوريين وأنهم فى المباحث قد أرسلوهم ، وأن هذه أعمال صبيانية سخيفة فقد فعلوا كل مايريدون ، صادروا المجلة والمركز العام فما الذى يريدونه بعد ذلك ...

وكان أغرب ما سألنى عنه ما أعنيه فى أحاديثى عن جمالوف وجمالفة . فقلت له إن هؤلاء ملاحدة يفخرون بالانتماء إلى الباطل وأهله . وغيّر الحديث قائلاً : «إننا مسلمون يا حاجة» قلت : «إن المسلمين غير ذلك ؛ (وقالوا قلوبنا فى أكنة مما تدعوننا إليه وفى آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب فاعمل إننا عاملون)» قال : «لو تفاهمت معنا لأصبحت من الغد وزيرة للشئون الاجتماعية» .فضحكت ساخرة وقلت : «المسلمون لاتغريهم المناصب ، ولا يشتركون فى حكومات علمانية الحادية . ومركز المرأة المسلمة يوم تقوم حكومة الإسلام ستقرره الحكومة الإسلامية . ماذا تريدون منى؟» قال : «نريد أن نتفاهم معاً» قلت : «هذا مستحيل ، أناس يدعون للكفر ويرفعون شعارات الضلال وأناس يدعون لتوحيد الله والإيمان به فكيف يتفق هذا ؟»

ثم أردفت قائلة : «توبوا إلى الله واستغفروه وارجعوا إليه ... أرجو إنهاء المقابلة» . وكان قد فرغ من القهوة التى قدمت له فقام منصرفاً وهو يقول : «والله نحن نريد أن نتفاهم معك . ويوم نتفاهم معك ، ستكونين أنت التى ستصدرين قراراً باعادة جماعة السيدات المسلمات وكذلك المجلة» قلت له : شكراً . . الاسلام فى غنى عن الهيئات والجماعات التى ترضى بالعمالة لأعداء الإسلام ، ربنا يهديكم ويتوب عليكم» .

وبعد يومين من هذه الزياره وقفت عربة حكومية على باب منزلى ونزل منها شاب يرتدى ملابس كحلية اللون وكنت أجلس فى شرفة المنزل فدخل وقال : «السلام عليكم ياحاجة زينب» .فرددت السلام ودعوته لدخول المنزل ودخل حجرة الضيوف وقدم لى نفسه . . أحمد راسخ ضابط من المباحث العامة ، ونظرت إليه بتدقيق وكأنى أبحث طوله وعرضه فقد دعيت مرة إلى وزارة الداخلية لمقابلة شخص يسمى أحمد راسخ ! ... وذهبت إلى هناك وكان فوق مكتبه لوحة مكتوب عليها أحمد راسخ ، ثم حدث أن زارنى قبل يومين الشخص الذى يسمى نفسه : أحمد راسخ ، وها هو شخص ثالث يدعى أحمد راسخ يزورنى....

اسم واحد لثلاث شخصيات مختلفة ...

أخذت أنظر إليه وأنا لا أصدق ما أرى فمن غير المعقول أن يكون كل رجال المباحث العامة باسم أحمد راسخ ! ...

وشعر بنظرتى الفاحصة فسألنى : «مم تتعجبين يا حاجة زينب ؟ من زيارتى ؟ »

عجبت من هذا الأمر ،وأجبت ساخرة :

«لا ، إن هذا البيت يستقبل ضيوفه دائماً – سواء كانوا على موعد أو على غير موعد – بترحيب وتكريم . ولكنى سأحكى حكاية قرأتها فى جريدة الأهرام على ما أذكر .

«كانت ملكة هولندا وزوجها فى ضيافة ملك انجلترا منذ مائتى عام تقريبا ولفت نظر ملك انجلترا اهتمام ملكة هولندا بكلب كان يجرى فى مكان الاستقبال ، هرولت إليه فى لهفة وكأنها فقدت الوعى وحملته الى صدرها وأخذت تقبله بشغف وحنان ثم أعطته لزوجها وهى تسر له ببعض الكلمات وتشير إلى عينى الكلب ووجهه فأخذ الملك الكلب وأخذ يقبله كذلك ...

تعجبت ملكة انجلترا وزوجها مما رأيا وبخاصة بعد أن عادت ملكة هولندا وأخذت الكلب من زوجها وهما يجففان الدموع المنهمرة من عينيهما ، أخذته وضمته إلى صدرها كطفل عزيز عليهما .ولما دعوا إلى مائدة الطعام الملكية أخذت ملكة هولندا الكلب معها وأخذت تطعمه وتدلله . وقالت ملكة انجلترا إن الكلب لابنتها الأميرة .أما الملك فقد سأل ضيوفه عن سر هذا التعلق بالكلب وقال وكأنه يعتذر : «لولا أن الأميرة متعلقة بهذا الكلب لأهديته لكم » .فقالت ملكة هولندا التى كانت تؤمن بتناسخ الأرواح ، أن لها ابناً مات وقد انتقلت روحه إلى هذا الكلب وأخذت تحاول اقناع ملكى انجلترا بأن عينى الكلب هما عينا ابنها تماما ...

وأقنع ملك انجلترا ابنته باهداء الكلب لملكة هولندا فأهدته لها فقد كانت تسمع القصة مع والديها » .

ثم قلت له : «يا أستاذ راسخ ، إن الذين يقولون بتناسخ الأرواح يدعون بعض الشبه بين الشخص المتوفى وبين الذى حلت فيه الروح بعد ذلك . ولكنى التقيت بثلاثة من

المباحث كلهم يدعى أنه أحمد راسخ ومع ذلك فهم مختلفون فى الطول والعرض واللون ولا يوجد تشابه بينهم . . . فهل قرر رئيس جمهوريتكم اعتناق مذهب جديد فى تناسخ الأرواح وأمركم باعتناقه؟ ! » فارتسمت على وجهه دهشة شديدة وحيرة بالغة . وقال : «نحن ناس طيبون ياحاجة ونريد أن نتفاهم معك ، أنا صحيح أحمد راسخ.قلت: «وهذا الأمر ليس له من الأهمية نصيب » .

وسألت : «ماذا تريد؟ »

قال : «إن الحكومة ترغب رغبة شديدة فى التفاهم معك ونحن نعلم أن الاخوان المسلمين خدعوك وأقنعوك بمبادئهم ، والذى حدث لجماعة السيدات المسلمات وحل مركزها العام كان سببه الاخوان .هؤلاء ناس مشاغبون . ونحن نريد أن تتفاهمى معنا .وما نريده بسيط جداً هو أن نعرف الأفراد القائمين بنشاط من الاخوان المسلمين ، والله ياحاجة الريس سيحفظ لك هذه الخدمة وفى أيام قليلة ستلمسين نتيجة تعاونك معنا . وأنت سيدة طيبة طول عمرك ولا شأن لك بشغب الاخوان المسلمين وكفى ما سببوه لك مع الحكومة .

وأخذ يدعى أن الأستاذ الإمام الهضيبى والإمام الشهيد سيد قطب . . يعملان بكل جهدهما ليتفاهما مع الرئيس ولكن الرئيس يرفض التعاون معهما لأنه لايأمن لهما .

ولوكنت تعرفين ما يقوله الاخوان عنك لتفاهمت معنا وتركت هؤلاء الذين تسببوا لك فى كل ما حدث من اضطهاد الحكومة لك وللسيدات المسلمات . »

وضحكت ...

ثم قلت : «سأتكلم معك على أنك رجل من رجال المباحث لا يهمنى اسمه ولا رسمه :

أولاً إننى أعتقد أن المسلمين الذين لا يعلمون من الإسلام إلا ظواهره يعرفون ويعتقدون أنكم بعيدون عن الإسلام ومحاربون له .أتريدون أن تتفقوا مع الحق وأنتم على الباطل . تستوردون عقائدكم من الشرق والغرب معاً .ترفعون شعارات الالحاد الشيوعى وتارة تتمسحون بآلهة الرأسمالية وأنتم ضائعون بين الشعارين .. ومن هذا الضياع تستمدون تشريعاتكم وأحكامكم ، أظننى صريحة معك وكلامى واضح لا يحتاج إلى تأويل .الإسلام

شئ آخر غير ما تريدون . »

قال : « والله يا حاجة أنا أصلى الجمعة . »

قلت : « وبقية الفرائض ؟ »

قال : « تعودت أن أصلى الجمعة لأن والدى كان يفعل ذلك وكان يأخذنى معه إلى المسجد يوم الجمعة ... »

قلت له : « ألم تسأل والدك لماذا يصلى الجمعة فقط ؟ »

قال : « قلوبنا مسلمة يا حاجة مادمنا نقول : لا إله إلا الله ، كفاية ذلك . »

قلت : « إن كلمة (لا إله إلا الله) بغير التزامكم بها ستكون حجة عليكم عند الله لا حجة لكم . »

قال : « الناس على دين ملوكهم . »

قلت : « إن شاء الله تحشرون على دين ملوككم . »

قال : « عشمى أن نتفاهم . »

قلت : « إن رسالات الأنبياء على مدى التاريخ لم تلتق أبداً بالباطل وأهله إلا لتدعوهم ليسلموا وجوههم لله سبحانه « إنا برءاء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده » ، « ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير ، ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا واغفر لنا ، ربنا إنك أنت العزيز الحكيم »

فانصرف وهو يقول فى لهجة غاضبة : « طبعاً ... أنا لن أجئ لك ثانية وإذا أردت الاتصال بى فها هو رقم تليفونى . »

قلت له : « متشكرة ، لا أريده . »

وفى أواخر شهر يوليه ١٩٦٥ علمت أن هناك عمليات اعتقال فى صفوف الاخوان المسلمين وكان لى بهذه الجماعة صلة وثيقة قديمة ...

الباب الثانى

وكانت بيعة

لم تكن صلتى بجماعة الاخوان المسلمين حديثة كما توهمها العابثون إذ كانت تعود بتاريخها إلى سنة ١٣٥٧ هـ ١٩٣٧م .

فى ذلك اليوم البعيد المبارك من ١٣٥٨هـ تقريباً وبعد ما يقرب من ستة أشهر على تأسيس جماعة السيدات المسلمات كان أول لقاء لى مع الإمام الشهيد حسن البنا .كان ذلك عقب محاضرة ألقيتها على الأخوات المسلمات فى دار الاخوان المسلين وكانت يومئذ فى العتبة .

كان الامام المرشد فى سبيله لتكوين قسم للاخوات المسلمات ، وبعد مقدمة عن ضرورة وحدة صفوف المسلمين واتفاق كلمتهم دعانى إلى رئاسة قسم الأخوات المسلمات .وكان هذا يعنى دمج الوليد الجديد الذى اعتزّ به «جماعة السيدات المسلمات» واعتباره جزءاً من حركة الاخوان المسلمين ، ولم أعد بأكثر من مناقشة الامر مع الجمعية العمومية للسيدات المسلمات ، التى رفضت الاقتراح وإن حبذت وجود تعاون وثيق بين الهيئتين .

وتكررت اللقاءات مع تمسك كل منا برأيه وتأسست الأخوات المسلمات ولم يغير ذلك من علاقتنا الإسلامية شيئاً . وحاولت فى أخر لقاء لنا فى دار السيدات المسلمات أن أخفف من غضبه بعهد آخذه على نفسى أن تكون السيدات المسلمات لبنة من لبنات الاخوان المسلمين على أن تظل باسمها واستقلالها بما يعود على الدعوة بفائدة أكبر . على أن هذا أيضاً لم يرضه عن الاندماج بديلاً ودارت الأحداث بسرعة ووقعت حوادث سنة ١٩٤٨ وصدر قرار حل الاخوان ومصادرة أملاكهم واغلاق شعبها ،زج بالآلاف فى المعتقلات وقامت الأخوات المسلمات بنشاط يُشكرن عليه وكانت احداهن السيدة تحية الجبيلى زوجة أخى

وابنة عمى ومنها عرفت الكثير من التفاصيل ، ولأول مرة وجدت نفسى مشتاقة إلى مراجعة كل آراء الأستاذ البنا واصراره على الاندماج الكلى . وفى صبيحة اليوم التالى لحل جماعة الاخوان كنت بمكتبى فى دار السيدات المسلمات وفى نفس الحجرة التى كان بها آخر اجتماع لى بالمرشد الإمام ، ووجدت نفسى أجلس إلى مكتبى وأضع رأسى بين يدى وأبكى بكاءً شديداً ، فقد أحسست أن حسن البنا كان على حق فهو الإمام الذى يجب أن يبايع من المسلمين جميعاً على الجهاد لعودة المسلمين إلى مقعد مسئوليتهم ، وإلى وجودهم الحقيق الذى يجب أن يكونوا فيه ، وهو مكان الذروة فى العالم يقودونه إلى حيث أراد الله ويحكمونه بما أنزل الله . وأحسست أن حسن البنا كان أقوى منى وأكثر صراحة فى نشر الحقيقة واعلانها .

وإن هذه الشجاعة والجرأة هى الرداء الذى يجب أن يرتديه كل مسلم . وقد ارتداه البنا ودعا إليه .

ثم وجدت نفسى أهتف بالسكرتير ليوصلنى بالأخ عبد الحفيظ الصيفى الذى كلفته بنقل رسالة شفوية للإمام البنا يذكره فيها بعهدى فى آخر لقاء لنا .. وحين عاد لى بتحيته ودعائه استدعيت أخى محمد الغزالى الجبيلى وكلفته بايصال وريقة صغيرة بواسطته أو بواسطة زوجته إلى الإمام المرشد وكان فى الوريقة :

«سيدى الامام حسن البنا ..

زينب الغزالى الجبيلى تتقدم إليك اليوم وهى أمة عارية من كل شئ إلا من عبوديتها لله وتعبيد نفسها لخدمة دعوة الله ، وأنت اليوم الانسان الوحيد الذى يستطيع أن يبيع هذه الأمة بالثمن الذى يرضيه لدعوة الله تعالى .

فى انتظار أوامرك وتعليماتك سيدى الامام ... » .

وعاد شقيق ليحدد لى لقاءً سريعاً فى دار الشبان المسلمين ، كان المفروض أن يحدث وكأنه مصادفة . ولم أكن أعدم مبرراً لتواجدى هناك ، فقد كنت ذاهبة إلى صالة دار الشبان لإلقاء محاضرة ، والتقيت بالأستاذ البنا فقلت له ونحن نصعد الدرج : « اللهم إنى

أبايعك على العمل لقيام دولة الإسلام وأرخص ماأقدم فى سبيلها دمى ، والسيدات المسلمات بشهرتها » . فقال : «وأنا قبلت البيعة وتظل السيدات المسلمات الآن على ماهى عليه ».وافترقنا على أن يكون اتصالنا بواسطة منزل أخى وكانت أول رسالة من الإمام الشهيد تكليفا بالوساطة بين النحاس والاخوان ، وكان رفعة مصطفى باشا النحاس خارج الحكم حينذاك وحدد النحاس المرحوم أمين خليل للقيام بازالة سوء التفاهم ورضى به الإمام الشهيد وكنت أنا حلقة الاتصال . وفى ليلة من ليالى فبراير سنة ١٩٤٩ جاءنى أمين خليل يقول لى : «يجب اتخاذ اجراءات سريعة ليسافر البنا من القاهرة فالمجرمون يأتمرون به ليقتلوه . ولم أجد وسيلة للاتصال به مباشرة فقد إعتقل أخى ، فحاولت الاتصال بالإمام الشهيد شخصياً ، وأنا فى طريقى للاتصال بلغنى خبر الاغتيال ونقله إلى المستشفى ثم تواترت الأخبار بسرعة بسوء حالته وذهب شهيداً إلى ربه مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً .

وكان ألمى كبيراً وكانت نقمتى على المجرمين مرة لم أحاول كتمها .

وجاءت حكومة اتحاد الأحزاب وأصدرت أمراً بحل جماعة السيدات المسلمات واعترضت أمام القضاء الذى حكم لنا فى عهد حكومة حسين سرى باشا سنة ١٩٥٠ بالعودة للنشاط .وكان المحامى فى القضية الأستاذ عبد الفتاح حسن « باشا »وجاءت حكومة الوفد وعاد الاخوان إلى نشاطهم وهم على بيعتهم للإمام المرشد حسن الهضيبى . وأحببت فى اليوم الأول لافتتاح المركز العام للاخوان المسلمين أن أعلن ولائى للدعوة بطريق غير مباشر إلى أن يقضى الله فى الأمر بما يريد ، فتبرعت بأغلى شىء كنت أعتز به فى أثاث منزلى وهو طقم صالون أرابسك مطعم بالصدف ليؤثث به مكتب المرشد العام .

وسارت الامور هادئة مطمئنة ، وزارنى الشهيد عبد القادر عودة وشكرنى على التبرع وقال : «يسعدنا إذا أصبحت زينب الغزالى الجبيلى من الاخوان المسلمين . »

قلت : «أرجو أن أكونها بإذن الله . » فقال : « قد كانت والحمد لله . »

وصارت الأمور فى هدوء ومودة بينى وبين كثرة من أعضاء الجماعة حتى جاءت حكومة

الانقلاب العسكرى بقيادة اللواء محمد نجيب الذى كان قد زارنى قبل الانقلاب بأيام بصحبة الأمير عبد الله الفيصل وليس سراج الدين والشيخ الباقورى وشقيق على الغزالى بمناسبة وجود الأمير عبد الله الفيصل فى مصر ، وقد تعاطف الاخوان مع الانقلاب وكذلك السيدات المسلمات لفترة أحسست بعدها أن الأمور لاتسير كما كنا نأمل وأنها ليست الثورة المنتظرة تتويجاً لجهود سبقت على أيدى العاملين لانقاذ هذا البلد .. وأخذت أنقل رأيى لمن ألقاه من الاخوان . وحين عرضت مناصب وزارية على بعض الاخوان ، وضحت رأيى فى مجلة السيدات المسلمات ، فما كان لأحد من الاخوان أن يقسم يمين الولاء لحكومة لا تحكم بما انزل الله .. ومن يفعل منهم ذلك يجب فصلهم من الاخوان وواجب الاخوان أن يحددوا موقفهم بعد أن اتضحت نوايا الحكومة .

وزارنى الشهيد عبد القادر عودة طالباً منى تأجيل الكتابة فى هذا الموضوع ، وأمسكت عددين ، ثم عدت إلى الكتابة إلى أن زارنى الشهيد عبد القادر عودة للمرة الثانية حاملاً فى هذه المرة أمراً من المرشد بعدم الكتابة فى هذا الموضوع ، وتذكرت بيعتى للبنا – رحمه الله– واعتقدت أن الولاء قائم بها للهضيبى ، وامتثلت للأمر .

ومنذ ذلك الوقت والبيعة تحكم تصرفاتى حتى مايبدو منها خاصاً كرحلة مؤتمر السلام فى فيينا التى لم أقم بها إلا بعد أن حصلت على إذن الإمام المرشد الهضيبى ...

وسقط القناع

ومرت الايام وجاءت أحداث ١٩٥٤ ونكباتها ومخازيها التى أسقطت القناع عن وجه جمال عبد الناصر لتظهر عداءه للإسلام ومحاربته له فى شخوص دعاته وقيادات نهضته ، وصدرت أحكام الاعدام البشعة على قمم القيادات الاسلامية : الشهيد المستشار عبدالقادر عودة ،صاحب الفضيلة العالم الأزهرى الورع الذى رصدت القيادة البريطانية فى القنال عام ١٩٥١ عشرة آلاف جنيه لمن يأتى به حياً أو ميتاً : الشيخ محمد فرغلى الذى أهدى للاستعمار ميتاً دون أن تخسر الخزينة البريطانية مبلغ المكافأة ، وباقى الشهداء الكرام .

حتى المجاهد الكبير الإمام حسن الهضيبي حكموا عليه بالاعدام ، ولم ينفذ ، فقد أصيب فجأة بذبحة شديدة بالقلب نقل على أثرها للمنزل وقرر الأطباء أنه لن يعيش إلا ساعات ، وهنا ظهر عبد الناصر فأصدر عنه عفواً ،متوقعاً أن يقرأ نعيه فى الصحف صباح اليوم التالى . ولكن قدرة الله أحبطت كيده ، وعاش الإمام . فلكل أجل كتاب ، نعم عاش ، ليؤدى بعد ذلك خدمات للمسلمين ويقود الدعوة الإسلامية فى أحلك أيام شهدتها الدعوة ، وقد أظهر قوة الصلابة فى الحق وهو المريض بعدة أمراض مما أذهل الجلادين وجعلهم يقودونه إلى السجن الحربى مرة أخرى ويعذبونه بأبشع أنواع التعذيب ، ولكنه ظل متمسكاً بالحق سائراً على طريق أصحاب الدعوات إلى أن شهد هو نهاية عبد الناصر وزبانيته وهو صامد ، رافع أعلام الحق والتوحيد الذى اعتقده ، متلبس بكل حبات وجوده ، وأخذ بالعزيمة ولم يتسرب إلى نفسه ضعف أو وهن فى دين الله ورفض أن يأخذ بالرخص فيقيم فى بيته وينكر بقلبه كما يفتى ويأخذ بذلك بعض العلماء .

بل أنى لأذكر له هذا الموقف الكريم الشجاع حينما أراد بعض من طالت عليهم المدة واعتراهم بعض الضعف أن يأخذوا بالرخصة ويكتبوا للطاغية مؤيدين وملتمسين العفو منه ، وسألوا الامام حسن الهضيبي أن يأذن لهم فى ذلك فقال قولته المشهورة :

«أنا لا أكره أحدا على الأخذ بالعزيمة والوقوف معنا ، ولكنى أقول لكم : إن الدعوات لم تقم يوما بالذين يأخذون بالرخص» .

قال ذلك وهو الشيخ الكبير ذو الثمانين عاما ، وظل بسجن مزرعة طرة إلى آخر الأفواج التى أُفرج عنها بعد موت عبد الناصر ..

ولنا عودة أخرى إلى تفاصيل أحداث ١٩٦٥ .

صرخات تنادى للواجب

وفى عام ١٩٥٥ رأيت نفسى مجندة لخدمة الدعوة الاسلامية بغير دعوة من أحد . فقد كانت صرخات اليتامى الذين فقدوا آباءهم بالتعذيب ودموع النساء اللاتى ترملن . وأزواجهن خلف قضبان السجون . والآباء والامهات من الشيوخ الذين فقدوا فلذات أكبادهم . كانت هذه الصرخات والدموع تنفذ إلى اعماق . ووجدت نفسى وكأنى من المسئولين عن ضياع الجياع وجراح المعذبين . وأخذت أقدم القليل .

ولكن أعداد الجياع تزداد يوما بعد يوم . وأعداد العرايا كذلك . وأخبار الشهداء الذين يقضى عليهم تحت سياط الفجرة المارقين القساة الجاحدين . والمدارس والجامعات تتطلب مصاريف وأدوات وملابس . وأصحاب المنازل يطالبون بايجار منازلهم . وزادت المشكلة تعقيدا . وثقل الحمل على حامله . واتسع الخرق على الراقع وبخاصة بعد عام ونصف . وبالتحديد فى منتصف سنة ١٩٥٦ حينما خرج بعض أعداد من المعتقلين الذين لم يحكم عليهم . كان البعض منهم فى أشد الحاجة لمن يزوده بالمال والطعام والملابس والمأوى . كل هذا والمسلمون فى هذا البلد الطيب فى مصر الى نكبت بمن قاد الانقلاب ليس فيهم من يعى واجبه . بل على العكس من ذلك وجدنا كثيرا من علماء وشيوخ الدين يتبرأون من المجاهدين ..

كان الجميع من المتفرجين على مايحدث . حتى الذين يبكون للمأساة ويتألمون كانوا يكتمون آلامهم ويخفون دموعهم خشية أن يتهمهم الطاغية بأنهم مسلمون . ولما اشتد بى

الألم على ما وصلت اليه الأمور . ولما لم أجد لنفسى مخرجا . ذهبت إلى زيارة أستاذى الجليل صاحب الفضيلة الشيخ محمد الأودن . وهو من القلة القليلة التقية النقية من رجال الأزهر . وكنت أستشيره فى كل ما يعرض لى من أمور الدعوة وعلوم الاسلام . وكان يعتقد معى أن عدم اندماج السيدات المسلمات ربما يخدم الاخوان فى فترة مقبلة .

وقد كان يعلم ببيعى للبنا ويباركها ويؤيدها كما كان يعلم ولائى للدعوة بعد استشهاد البنا . وقبله .

وجلست إليه أحدثه عن مأساة الأسر . كان يستمع اليّ فى ألم شديد . وأنهيت حديثى بعرض ما فكرت فى عمله فى حدود امكانياتى . وكنت أرى أنه لايكفى أن نتألم وجراح الجوع وجراح السياط وجراح العرايا وتشرد النساء والاطفال يجرى بقسوة وشدة فى دوائر حياة الدعاة والملبين والمجاهدين لتكون كلمة الله هى العليا .

وأرى أننى استطيع كرئيسة للسيدات المسلمات أن أقدم العون إن شاء الله لأسر الاخوان مما يمكننى الله فيه .

فقبّل فضيلته رأسى وهو يبكى قائلا لى : لا تترددى فى أى عون . والله هو المبارك للخطا . وعدت لأوضح له موقفى فى الجماعة والثقة المطلقة فى شخصى من السيدات المسلمات أعضاء الجماعة فقال لى فضيلته : قد أصبح فرضا حتميا عليك أن لاتبخلى بجهد فى هذا الطريق وماتقومين به اجعليه بينك وبين الله تبارك وتعالى ثم أضاف : إن المنقذ الوحيد بأمر الله للاسلام هم هؤلاء المعذبون « الاخوان المسلمون » . لا أمل لنا الا فى الله ثم فى اخلاصهم ومايبذلون فى سبيل الدعوة . اعملى يازينب كل ماتستطيعين عمله . وعملت فعلا كل ما أستطيع . وبذلت جهدى فى أن أقدم شيئا ولم يشعر أحد أنى أفعل شيئا . فقد كان فرد أو فردان هما اللذان أسلمهما ما أستطيع على أنها أشياء مرسلة لى وأنا مكلفة بنقلها اليهم فقط .

ثم علمت أن الوالدة الفاضلة المجاهدة الكبيرة حرم الاستاذ الهضيبى تبذل هى أيضا مجهودا كبيرا مع بعض الفضليات الكريمات من الأخوات المسلمات مثل : المجاهدة آمال العشماوى حرم الاستاذ المستشار منير الدلة وكانت هى بنفسها على رأس الأخوات المسلمات . ومثل خالدة حسن الهضيبى وأمينة قطب وحميدة قطب وفتحية بكر والمجاهدة أمينة الجوهرى وعلية الهضيبى وخية سليمان الجبيلى .

واتسعت اتصالاتى رويدا رويدا فاتصلت بخالدة الهضيبى فى سرية شديدة ثم بحميدة قطب وأمينة قطب . وكل ذلك من أجل المعذبين والأطفال واليتامى .

على الطريق مع عبد الفتاح اسماعيل

كان أول لقاء لى به فى عام ١٩٥٧ وفى موسم الحج .

كنت فى ميناء السويس على رأس بعثة الحج لجماعة السيدات المسلمات ، وكان معى فى المودعين شقيقى محمد الغزالى الجبيلى فوجدته مقبلا علىّ فى صحبة انسان يكسو وجهه نور ومهابة يغض بصره ، قدمه لى أخى قائلا : الاخ عبد الفتاح اسماعيل ، كان من أحب شباب الاخوان إلى الامام الشهيد حسن البنا ، كان فضيلة المرشد يحبه ويؤثره وله فيه ثقة مطلقة ، وقد طلب منى أن أقدمه لك بهذه الصورة حتى تعرفيه ، وحيّانى الأخ وهو يقول : سأكون إن شاء الله معكم فى الباخرة ، فرحبت به وانصرف ، وصعدنا إلى الباخرة وتحركت بعيدا عن الشاطئ وانشغلت بمطالب البعثة ، بعثة حج السيدات المسلمات . وعندما ذهبت إلى حجرتى لأستريح بعد تناول الغداء ، سمعت طرقات على الباب ، أذنت بالدخول فتكرر الطرق ثانية ولكن الطارق كان يذهب بعيدا عن فتحة الباب ، ولما سمع صوتى يأذن بالدخول للمرة الثالثة . دخل فوجدته الأخ الذى قدمه لى شقيقى على رصيف الميناء .. قال فى إخبات وهو يطرق الى الارض بعد أن ألقى علىّ السلام .. أنا أعلم بحمد الله أن بينك وبين الامام الشهيد حسن البنا بيعة بعد طول خلاف ، ولماسألته عن مصدر معلوماته أجاب : الامام الشهيد نفسه طيّب الله ثراه .. فسألته عما يريد ، أجاب : أن نلتقى فى مكة لوجه الله نتحدث فيما كان البنا يريده منك إن شاء الله .

كانت كلمات سهلة العبارات طيبة النوايا لينة ، لكنها مع بساطتها قوية صادقة ثقيلة التكاليف تحمل معنى الأمر ولا تترك مجالا للتفكير .

قلت : إن شاء الله فى دار بعثة السيدات المسلمات بمكة أو بجدة ، ولما سأل عن العناوين حدثته عن أخوين فى جدة قال إنه يعرفهما وهما الشيخ العشماوى ومصطفى العالم

وكلاهما يستطيع أن يرشده إلى مكان اقامتى بمكة وجدة .

حيانى الأخ وانصرف .

وفى ليلة من ليالى ذى الحجة كنت على موعد بعد صلاة العشاء مع فضيلة المرحوم الشيخ الامام محمد بن ابراهيم المفتى الاكبر للمملكة العربية السعودية حينذاك .. وكنا نبحث معا مذكرة قدمتها لجلالة الملك أشرح له فيها ضرورة تعليم البنات فى المملكة ،وأطلب منه الاسراع فى تنفيذ هذا المشروع ، مبينة مصلحة المملكة فى ذلك ، وحولت المذكرة على فضيلة المفتى وطلب مقابلتى .

وقضيت ساعتين أبحث المشروع معه ، وعند انصرافى من مجلسه ، أخذت طريقى إلى باب السلام وكان فى نيتى أن أطوف حين أوقفنى صوت ينادينى باسمى محييا بتحية الاسلام ، والتفت فاذا به عبد الفتاح اسماعيل وسألنى عن وجهتى ولما عرف انها الطواف ثم دار البعثة صحبنى إلى المسجد وطفنا بالبيت معا وبعد صلاة سنة الطواف جلسنا تجاه الملتزم وأخذ يتحدث فيما يريد .

سألنى عن رأيى فى قرار حل الاخوان .

أجبت أنه قرار باطل شرعا .

قال : هذا الأمر الذى أريد بحثه معك .. ولما سألته أن يزورنى فى دار البعثة استبعدها كمكان لمثل هذه الامور خوفا من أجهزة التجسس الناصرية ، واتفقنا على أن نجتمع فى مكتب عمارة الحرم المكى .. فى مكتب معالى الرجل الصالح الشيخ صالح القزاز ، واجتمعنا هناك ، ولكنه أسر إلىّ أن الأفضل أن نلتقى فى الحرم وانصرف هو على أن نلتقى خلف مقام ابراهيم .

وبعد ركعتى الطواف جلسنا خلف مبنى زمزم بالقرب من مقام ابراهيم ، وأخذ يتحدث عن بطلان قرار حل جماعة الخوان المسلمين ووجوب تنظيم صفوف الجماعة وإعادة نشاطها ، واتفقنا على أن نتصل بعد العودة من الأرض المقدسة بالامام حسن الهضيبى المرشد العام لنستأذنه فى العمل .

وقال عندما هممنا بالانصراف : يجب أن نرتبط هنا ببيعة مع الله على أن نجاهد فى سبيله ، لا نتقاعس حتى نجمع صفوف الاخوان ونفاصل بيننا وبين الذين لا يرغبون فى العمل أيا كان وضعهم ومقامهم ، وبايعنا الله على الجهاد والموت فى سبيل دعوته .

وعدت إلى مصر ..

الاذن بالعمل

ومع اوائل ١٩٥٨ كانت لقاءاتى قد تعددت بعبد الفتاح اسماعيل فى منزلى وفى دار المركز العام للسيدات المسلمات .

كنا نبحث فى أمور المسلمين محاولين بكل جهدنا أن نفعل شيئا للاسلام يعيد لهذه الامة مجدها وعقيدتها ، مبتدئين بسيرة الرسول عليه الصلاة والسلام والسلف الصالح ومن بعدهم ، جاعلين منهجنا مستمدا من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .

وكانت خطة العمل تستهدف تجميع كل من يريد العمل للاسلام لينضم الينا .. كان ذلك كله مجرد بحوث ووضع خطط حتى نعرف طريقنا ، فلما أردنا أن نبدأ العمل كان لابد من استئذان الأستاذ الهضيبى باعتباره مرشدا عاما لجماعة الاخوان ، لأن دراساتنا الفقهية حول قرار الحل انتهت إلى أنه باطل لأن عبد الناصر ليس له أى ولاء ولا تجب له طاعة على المسلمين حيث أنه يحارب الاسلام ولايحكم بكتاب الله تعالى ..

والتقيت بالأستاذ الهضيبى لأستأذنه فى العمل باسمى وباسم عبد الفتاح اسماعيل ، وأذن لنا فى العمل بعد لقاءات عديدة شرحت له فيها الغاية وتفاصيل الدراسات التى قمت بها وعبد الفتاح .

وكان أول قرار لبدء العمل هو أن يقوم الأخ عبد الفتاح عبده اسماعيل بعملية استكشاف على امتداد مصر كلها ، على مستوى المحافظة والمركز والقرية ، والمقصود من هذا أن نتبين من يرغب فى العمل من المسلمين ومن يصلح للعمل معنا ، مبتدئين بالاخوان المسلمين لجعلهم هم النواة الأولى لهذا التجمع ..

وبدأ الاخ عبد الفتاح اسماعيل جولته بادئا بالذين خرجوا من السجون من الاخوان والذين لم يدخلوا لتختبر معادنهم وهل أثرت المحنة فى عزيمتهم ، وهل دخول من دخل السجن جعلهم يبتعدون عما يعرضهم للسجن مرة أخرى أم أنهم لايزالون على ولائهم للدعوة مستعدين للتضحية بكل غال ورخيص فى سبيل الله ونصرة دينه ..

كانت عملية استكشاف لابد منها حتى نبدأ العمل على أرض صلبة ، وحتى نعرف من يصلح فعلا ، وكنا ندرس معا التقارير التى يقدمها عبد الفتاح اسماعيل عن كل منطقة ، وكنت أزور المرشد وأبلغه مجمل ما اتفقنا عليه وماوصلنا اليه .. وكنا اذا عرضنا عليه صورا من الصعوبات التى نلاقيها ، قال : استمروا فى سيركم ولاتلتفتوا إلى الوراء ، لا تغتروا بعناوين الرجال وشهرتهم . أنتم تبنون بناء جديدا من أساسه .

وكان تارة يقر ما يعرض عليه وتارة يعطى بعض التوجيهات . ومن هذه التوجيهات أنه أوصانا بأن نضم إلى مراجع بحوثنا «المحلى لابن حزم» .

وفى سنة ١٩٥٩ انتهت بحوثنا الى وضع برنامج للتربية الاسلامية ، وأشهد الله على انه لم يكن فى برنامجنا غير تربية الفرد المسلم الذى يعرف واجبه تجاه ربه وتكوين المجتمع المسلم الذى سيجد نفسه بالضرورة مفاصلا للمجتمع الجاهلى .

ولما كانت جماعة الاخوان المسلمين معطلا نشاطها بسبب قرار الحل الجاهلى لسنة ١٩٥٤ كان ضروريا أن يكون النشاط سريا .

وقفة مع زوجى

لم يكن عملى فى هذا النشاط يعطلنى عن تأدية رسالتى فى المركز العام لجماعة السيدات المسلمات ولايجعلنى أقصر فى واجبى الأسرى ، غير أن زوجى الفاضل المرحوم محمد سالم سالم لاحظ تردد الأخ عبد الفتاح اسماعيل وبعض لبنات طاهرة زكية من الشباب المسلم على منزلنا . فسألنى زوجى : هل هناك نشاط للاخوان المسلمين ؟ أجبت : نعم ..

فسألنى عن مدى النشاط ونوعيته .. قلت : إعادة تنظيم جماعة الاخوان . ولما أخذ

يبحث الأمر معى قلت له : هل تذكر يازوجى العزيز عندما اتفقنا على الزواج .. ماذا قلت لك ؟ قال : نعم اشترطت شروطا ، ولكنى أخاف عليك اليوم من تعرضك للجبابرة .

ثم صمت وأطرق برأسه فقلت له : أنا أذكر جيدا ما قلت لك ، لقد قلت لك يومها :

إن هناك شيئا فى حياتى يجب أن تعلمه أنت لأنك ستصبح زوجى ، وما دمت قد وافقت على الزواج فيجب أن اطلعك عليه على الآ تسألنى عنه بعد ذلك ، وشروطى بخصوص هذا الأمر لا أتنازل عنها .. أنا رئيسة المركز العام لجماعة السيدات المسلمات .. وهذا حق ، ولكن الناس فى أغلبهم يعتقدون أنى أدين بمبادئ الوفد السياسية ، وهذا غير صحيح ..

الأمر الذى أومن به وأعتقده هو رسالة الاخوان المسلمين .. مايربطنى بمصطفى النحاس هو الصداقة الشخصية ، لكنى على بيعة مع حسن البنا على الموت فى سبيل الله ، غير أنى لم أخط خطوة واحدة توقفنى داخل دائرة هذا الشرف الربانى ، ولكنى أعتقد أنى سأخطو هذه الخطوة يوما ما بل وأحلم بها وأرجوها ، ويومها اذا تعارضت مصلحتك الشخصية وعملك الاقتصادى مع عملى الاسلامى ووجدت أن حياتى الزوجية ستكون عقبة فى طريق الدعوة وقيام دولة الاسلام فسنكون على مفرق طريق ، ويومها أطرقت إلى الارض ثم رفعت رأسك والدموع محبوسة فى عينيك لتقول : أنا أسألك ماذا يرضيك من المطالب المادية فلا تسألين ولا تطلبين اى شئ من مهر أو مطالب زواج ، وتشترطين علىّ ألا أمنعك عن طريق الله .. أنا لا أعلم أن لك صلة بالأستاذ البنا ، والذى أعلمه أنك اختلفت معه بشأن طلبه انضمام جماعة السيدات المسلمات إلى الاخوان المسلمين .

قلت : الحمد لله ، اتفقنا اثناء محنة الاخوان سنة ١٩٤٨ قبل استشهاد البنا ، وكنت قررت أن الغى أمر الزواج من حياتى ، وأنقطع للدعوة انقطاعا كليا .. وأنا لا استطيع أن اطلب منك اليوم أن تشاركنى هذا الجهاد ، ولكن من حقى أن اشترط عليك ألا تمنعنى من

جهادى فى سبيل الله ، ويوم تضعنى المسئولية فى صفوف المجاهدين فلا تسألنى ماذا أفعل ولتكن الثقة بيننا تامة ، بين رجل يريد الزواج من امرأة وهبت نفسها للجهاد فى سبيل الله وقيام الدولة الاسلامية وهى فى سن الثامنة عشرة ، واذا تعارض صالح الزواج والدعوة إلى الله ، فسينتهى الزواج وتبقى الدعوة فى كل كيانى ..

ثم توقفت عن الكلام برهة ونظرت إليه قائلة : هل تذكرت ؟ قال : نعم .

قلت : اليوم أطلب منك أن تفى بوعدك .. لا تسألنى بمن ألتقى . وأدعو الله أن يجعل أجر جهادى قسمة بيننا فضلا منه سبحانه اذا تقبل عملى .

أنا اعلم أن من حقك أن تأمرنى ومن واجبى أن أطيعك ولكن الله أكبر فى نفوسنا من أنفسنا ، ودعوته أغلى علينا من ذواتنا . ونحن فى مرحلة خطيرة من مراحل الدعوة .

قال : سامحينى ، اعملى على بركة الله . ياليتنى أعيش وأرى غاية الاخوان قد تحققت ، وقامت دولة الاسلام .. ياليتنى فى شبابى فأعمل معكم ...

وكثر العمل والنشاط ، وتدفق الشباب على بيتى ليلا ونهارا ، وكان الزوج المؤمن يسمع طرقات الباب فى جوف الليل فيقوم من نومه ويفتح للطارقين ويدخلهم إلى حجرة المكتب ، ويذهب إلى حجرة السيدة التى تدير أعمال البيت فيوقظها ويطلب منها أن تعد للزائرين بعض الطعام والشاى ، ثم يأتى إلىّ فيوقظنى فى إشفاق وهو يقول : بعض أولادك فى المكتب وعليهم علامات جهد أوسفر ، وأرتدى ملابسى وأذهب اليهم ويأخذ هو طريقه إلى مكان نومه وهو يقول لى : اذا صليتم الفجر جماعة فأيقظينى لأصلى معكم إن كان ذلك لا يضر ، فأجيب ان شاء الله .

فإن صلينا الفجر أيقظته ليصلى معنا ثم ينصرف ، وهو يحيى الموجودين تحية أبوية مملوءة بالشفقة والحب والحنان .

الاتصال بالامام الشهيد سيد قطب

فى عام ١٩٦٢ التقيت بشقيقات الامام الفقيه والمجاهد الكبير الشهيد سيد قطب

بالاتفاق مع الاخ عبد الفتاح عبده اسماعيل وباذن من الاستاذ حسن الهضيبي ، المرشد العام للاخوان المسلمين ، للاتصال بالامام سيد قطب فى السجن لأخذ رأيه فى بعض بحوثنا والاسترشاد بتوجيهاته .

طلبت من حميدة قطب أن تبلغ الأخ سيد قطب تحياتنا ورغبة الجماعة المجتمعة لدراسة منهج اسلامى فى الاسترشاد بآرائه .. وأعطيتها قائمة بالمراجع التى ندرسها وكان فيها تفسير ابن كثير ، والمحلى لابن حزم ، والأم للشافعى وكتب فى التوحيد لابن عبد الوهاب وفى ظلال القرآن لسيد قطب ، وبعد فترة رجعت إلىّ حميدة وأوصت بدراسة مقدمة سورة الأنعام .. الطبعة الثانية وأعطتنى ملزمة من كتاب قالت : إن سيد يعده للطبع واسمه معالم فى الطريق .. وكان سيد قطب قد ألفه فى السجن وقالت لى شقيقته ، اذا فرغتم من قراءة هذه الصفحات سآتيكم بغيرها .

وعلمت أن المرشد اطلع على ملازم هذا الكتاب وصرح للشهيد سيد قطب بطبعه .. وحين سألته .. قال لى .. على بركة الله .. إن هذا الكتاب حصر أملى كله فى سيد ، ربنا يحفظه ، لقد قرأته وأعدت قراءته ، إن سيد قطب هو الأمل المرتجى للدعوة الآن ، إن شاء الله . وأعطانى المرشد ملازم الكتاب فقرأتها فقد كانت عنده لأخذ الاذن بطبعها وقد حبست نفسى فى حجرة بيت المرشد حتى فرغت من قراءة «معالم فى الطريق» .

وأخذنا نعيد الدراسة والبحث من جديد فى صورة نشرات قصيرة توزع على الشباب ليدرسوها ثم تدرس بتوسع فى حلقات ، وكانت الأفكار متفقة والغايات غير مختلفة فانسجمت خطة الدراسة مع الوصايا والصفحات التى كانت تأتينا من الامام الشهيد سيد قطب رحمه الله وهو داخل السجن ، وكانت ليالى طيبة وأياما خالدة ولحظات قدس مع الله ، يجتمع عشرة أو خمسة من الشباب ويقرأون عشر آيات تراجع أحكامها وأوامر السلوك فيها وكل غاياتها ومقاصدها فى حياة العبد المسلم . وبعد تفهمها واستيعابها يتقرر الانتقال إلى عشر آيات أخرى اقتداء بأصحاب النبى صلى الله عليه وسلم .

ومرت أيام حلوة طيبة ونعمة من الله تحتوينا ونحن ندرس وندرس ونربى انفسنا ونهيئ للدعوة رجالها بشباب اقتنع بضرورة الاعداد لقيام دعوة الحق العادل .. وقرر وجوب حتمية اعداد أجيال فى شخوص هذا الشباب الذى نرجوه اساتذة فى التوجيه والاعداد للأجيال المقبلة .

قررنا فيما قررنا – بتعليمات من الامام سيد قطب وباذن المضيبى – أن تستمر مدة التربية والتكوين والاعداد والغرس لعقيدة التوحيد فى النفوس . والقناعة بأنه لا اسلام الا بعودة الشريعة الاسلامية وبالحكم بكتاب الله وسنة رسوله لتصبح شريعة القرآن مهيمنة على كل حياة المسلمين ، قررنا أن يستغرق برنامجنا التربوى ثلاثة عشر عاما ، عمر الدعوة فى مكة ، على أن قاعدة الأمة الاسلامية الآن هم الاخوان الملتزمون بشريعة الله وأحكامه فنحن ملزمون باقامة كل الاوامر والنواهى الواردة فى الكتاب والسنة فى داخل دائرتنا الاسلامية .. والطاعة واجبة علينا لامامنا المبايع ، على أن إقامة الحدود مؤجلة – مع اعتقادها والذود عنها – حتى تقوم الدولة .. وكنا على قناعة كذلك بأن الارض اليوم خالية من القاعدة التى تتوفر فيها صفات الأمة الاسلامية الملتزمة التزاما كاملا .. كما كان الامر فى عهد النبوة والخلافات الراشدة ، ولذلك وجب الجهاد على الجماعة المسلمة التى تريد حكم الله والتمكين لدينه فى الأرض حتى يعود جميع المسلمين للاسلام ، فيقوم الدين القيم ، لا شعارات ولكن حقيقة عملية واقعة .

ودرسنا كذلك وضع العالم الاسلامى كله بحثا عن أمثلة لما كان قائما من قبل بخلافة الراشدين والتى نريدها نحن فى جماعة الله الآن ، فقررنا بعد دراسة واسعة للواقع القائم المؤلم ، ان ليس هناك دولة واحدة ينطبق عليها ذلك ، واستثنينا المملكة العربية السعودية مع تحفظات وملاحظات يجب أن تستدركها المملكة وتصححها ، وكانت الدراسات كلها تؤكد أن أمة الاسلام ليست قائمة ، وإن كانت الدولة ترفع الشعارات بأنها تقيم شريعة الله !...

وكان فيما قررناه بعد تلك الدراسة الواسعة ، أنه بعد مضى ثلاثة عشر عاما من التربية

الاسلامية للشباب والشيوخ والنساء والفتيات ، نقوم بمسح شامل فى الدولة فاذا وجدنا أن الحصاد من أتباع الدعوة الاسلامية المعتقدين بأن الاسلام دين ودولة ، والمقتنعين بقيام الحكم الاسلامى قد بلغ ٧٥٪ من أفراد الأمة رجالا ونساء ، نادينا بقيام الدولة الاسلامية ، وطالبنا الدولة بقيام حكم اسلامى ، فاذا وجدنا الحصاد ٢٥٪ جددنا التربية والدراسة ثلاثة عشر عاما أخرى وهلم جرا ، حتى نجد أن الامة قد نضجت لتقبل الحكم بالاسلام .

وماعلينا أن تنتهى أجيال وتأتى أجيال ، المهم أن الاعداد مستمر ، المهم أن نظل نعمل حتى تنتهى آجالنا ثم نسلم الراية مرفوعة «بلا إله الا الله ، محمد رسول الله» إلى الأبناء الكرام الذين يأتون من بعدنا .

وكنا على اتصال بالأستاذ محمد قطب . وباذن من المرشد العام الأستاذ الهضيبى ، كان يزورنا فى بيتى بمصر الجديدة ليوضح للشباب ما غمض عليهم فهمه وكان الشباب يستوضحونه ويسألونه أسئلة كثيرة يجيب عليها .

الباب الثانى

المؤامرة

وخرج الأستاذ الشهيد سيد قطب من السجن وسبق خروجه بشهور عملية محاولة اغتيالى التى لم تنجح والتى تحدثنا عنها فى أول هذه المذكرات ، وانتقلت الينا أخبار بأن اخراج الامام سيد قطب من السجن تخطيط من المخابرات ليسهل اغتياله، وأن فى خطة الاغتيالات القضاء على عبد الفتاح عبده اسماعيل.. وعشنا متوكلين على الله نعمل وخلف ظهورنا ما يدبر الفجار، غير أننا أخذنا ندرس ما وصلنا من أخبار عن رعب الفجار الحاكمين، فقد أصبحوا يتوهمون أن هناك حركة فكرية يقودها سيد قطب من داخل السجن ، وتقودها وتعمل على تنفيذها جماعة من الاخوان المسلمين، على راسها الشهيد عبد الفتاح اسماعيل وزينب الغزالى الجبيلى خارج السجن..

وقد تأكدت لدينا الأخبار بأن المخابرات الأمريكية والمخابرات الروسية ووليتهم الصهيونية العالمية قد قدموا تقارير مشفوعة بتعليمات لعبد الناصر بأخذ الأمر بمنتهى الجد للقضاء على هذه الحركة الاسلامية ، والا فسينتهى كل ما حققه عبد الناصر فى المنطقة من تحويل عن الفكر الاسلامى وبث اليأس فى النفوس من امكان أى اصلاح أو بعث عن طريق الاسلام.. وخلاصة المخاوف.. أن هذه الحركة الاسلامية ستقضى على كل فكر مغاير للاسلام.

هذا ما وصلنا اجمالا عما تحويه تقارير المخابرات الأمريكية والروسية لعبد الناصر ، ومن ناحية أخرى فان عبد الناصر اعتبر أن البعث الاسلامى بمثابة قضاء تام على حكمه الدكتاتورى الغاشم..

وفى أوائل اغسطس ١٩٦٥ وصلتنى أخبار عن إعداد قائمة من المطلوب اعتقالهم من رعيل رسالة التربية الجديدة والفكر الذى اقام من الشباب جواهر نورانية تتحرك بالاسلام ، كما كان يتحرك به رجال من الصدر الأول فى فجر الرسالة إلى دار ابن الأرقم ، ويتصدر القائمة الأستاذ الشهيد سيد قطب ، زينب الغزالى الجبيلى، عبد الفتاح عبده اسماعيل ، محمد يوسف هواش.

وفى الخامس من اغسطس وصلتنى أخبار اعتقال الشهيد سيد قطب. كنت مجتمعة مع بعض الأخوات حين جاءتنى مكالمة هاتفية قيل لى فيها ان منزل سيد قطب قد فتش وبحث فيه عنه، وكان شقيقه الاستاذ محمد قطب قد اعتقل فى مرسى مطروح قبل أيام، فطلبت زوجى فى رأس البر ورجوته أن يطمأننى على سيد قطب وجاءت مكالمة زوجى بعد ساعة تؤكد اعتقاله.

وقررنا تأجيل الاجتماع بالأخوات حتى نرى ماذا بعد الاعتقالات ، وكان اعتقال سيد قطب كالصاعقة بالنسبة لجميع الشباب، فضلا عنا نحن ، فقد كان الهضيبى قد أوكل كل المسئوليات لسيد قطب، وكانت اتصالاتنا كلها به حسب أمر الهضيبى، وكان علينا بعد اعتقاله أن نرجع إلى المرشد العام، نستأذنه فيمن يتولى المسئولية بدلا من سيد.

كنت أنا وعبد الفتاح، نفكر فيما حدث قبل أن يحدث بخمسة أيام، فلما حدث، زارنى عبد الفتاح وكلفنى بالسفر لرؤية المرشد فى الاسكندرية وقدم لى أحد ابنائنا من الشباب على أنه سيكون حلقة الاتصال بيننا اذا اعتقل هو.. ولكن بعد ساعات أرسل إلىّ يطلب منى أن ألزم بيتى، وألغى سفرى للاسكندرية — غير أنى كنت قد اتصلت بالمرشد وجاءت السيدة حرمه من الاسكندرية— ورتب الأمر على أن نكون على اتصال دائم بالهضيبى، وفى هذه المرة قدم لى أخا كريما ليكون حلقة الاتصال بيننا.. مرسى مصطفى مرسى.

واتصلت بالمرشد العام وأخبرته بواقع الأمر ، وأقرنا على ما اتفقنا عليه وتأثر تأثرا عميقا لأخبار الاعتقالات وبخاصة اعتقال سيد قطب

وأخذت الأخبار تتوالى بالقبض على العشرات والمئات وارتفع الرقم إلى الآلاف ، وقد أقسم لى شمس بدران بعد اعتقالى برأس عبد الناصر أنهم اعتقلوا مائة ألف من الاخوان فى عشرين يوما ، ملأوا بهم السجن الحربى وسجن القلعة وسجن أبى زعبل وسجن الفيوم والاسكندرية وطنطا وسجونا أخرى.

وفى يوم الخميس ١٩ أغسطس، علمت أن سيدة فاضلة تناهز الخامسة والثمانين تدعى أم أحمد من شبرا قد قبضوا عليها؛ وهى من المعاصرات للدعوة من يومها الأول، وسارت فى الطريق مع الامام الشهيد حسن البنا خطوة خطوة وكان لها جهد كبير مبارك فى مساعدة الأسر التى فقدت العائل بالسجن والمعتقلات الناصرية.. وكانت على اتصال دائم بنا..

كان خبر اعتقالها مفزعا ومؤثرا بالنسبة لى ، ولكنى قلت لابن أختها بعد دقائق صمت أغرقتنى بالألم: «إنه شئ جميل .. مادام فى الأرض التى ضاعت معالمها امرأة مؤمنة تعتقل فى سبيل الله وفى سبيل دولة القرآن وهى فى الخامسة والثمانين فرحى مرحى ياجنود الله».. !

وأرسلت لابنتى فى الاسلام غادة عمار وقلت لها: «اليوم اعتقلت مجاهدة جليلة فاضلة تدعى الست أم أحمد ، وتقطن بناحية شبرا ولدىّ أموال لحساب أسر المسجونين وشئون الدعوة فها هى إليك ياغادة، فاذا اعتقلت فسلميها للمرشد أو لآل قطب ، وسلمتها مظروفا فيه أموال الجماعة التى كانت أمانة عندى وهى اشتراكات من الاخوان المسلمين. وعلمت بعد ذلك وأنا فى السجن أن هذا المبلغ أودعته غادة عند ابنتى فى الاسلام فاطمة عيسى وعندما قبض عليها الطغاة استولوا على هذا المال الذى كان ثمن الطعام وأجر المساكن ومصاريف التعليم والعلاج لأبناء المسجونين وأسرهم، تلك الأسر التى لاذنب لها ولاجريمة ، وما قررت دولة الانقلاب العسكرى لتبيدهم إلا لأنهم من القاعدة الخالدة على التاريخ لتجديد أمر الأمة الاسلامية.

علمت بذلك عندما جيء بغادة عمار وعلية الهضيبى إلى زنزانتى فى السجن الحربى فقلت: «حسبنا الله ونعم الوكيل، الدنيا ساعة أما الآخرة فهى دارنا والحساب هناك».

ومرت ساعات رهيبة تحمل لى أخبار اعتقالات جديدة ، ومرة أخرى جاءنى رسول

طلب منى أن أسافر إلى الاسكندرية لمقابلة المرشد. كان ذلك فى مساء الخميس ١٩ أغسطس، وبينما كنت أستعد للسفر جاء آخر وطلب منى تأجيل السفر لحين صدور أوامر أخرى .

وجاء دورى

وفى فجر الجمعة ٢٠ أغسطس اقتحم رجال الطاغوت منزلى، ولما طلبت منهم اذنا بالتفتيش ، قالوا: إذن! أى إذن يامجانين؟ نحن فى عهد عبد الناصر ، نفعل مانشاء معكم يا كلاب..!

وأخذوا يقهقهون فى صورة هستيرية وهم يقولون : الاخوان المسلمون مجانين . قال إيه . يريدون إذن تفتيش فى حكم عبد الناصر ! ودخلوا البيت وأتلفوا مافيه بالتمزيق تارة وبالتكسير تارة أخرى حتى لم يتركوا شيئا سليما . وكنت أنظر إليهم باحتقار وهم يمزقون فراش المنزل . وأخيرا قبضوا على ابن أخى الطالب فى كلية المعلمين محمد محمد الغزالى . وكان يقيم معى كابنى وقالوا لى : لا تغادرى البيت . قلت : أفهم من ذلك أن إقامتى محددة . قالوا : إلى حين صدور أوامر أخرى . واعلمى أن البيت تحت الحراسة فإذا تحركت فسيقبض عليك .

وظننت أن الأمر سيقف عند تحديد الإقامة . وجاء لزيارتى شقيقتى وأولادها وزوجها وكنت أعد حقيبتى استعدادا للقبض علىّ . ورجوت زوج شقيقتى مغادرة المنزل حتى لا يقبضوا عليه إن عادوا ووجدوه كما فعلوا مع ابن أخى . ولكنه أصر على البقاء رغم محاولاتى المتكررة فى إفهامه أن الوقت ليس وقت مجاملة أو نحوه .

وبينما كنا نتناول الغداء اقتحم المنزل زبانية الطاغوت وأتوا على البقية الباقية واستولوا على مافى الخزانة . واستولوا على ما يزيد عن نصف مكتبى ولم تفلح محاولاتى فى إنقاذ بعض المؤلفات القديمة فى التفسير والحديث والفقه والتاريخ مما يعود تاريخ طبعه إلى أكثر من مائة عام . كما لم تفلح محاولاتى فى الاحتفاظ بمجموعات ثلاث من مجلة السيدات

المسلمات التي أوقفت بأمر عسكرى سنة ١٩٥٨ . فقد صادروا كل ما أرادوا وللخزانة وقصها قصة عجيبة . فقد كانت الخزانة لزوجى إلا أن بها أشياء تخصنى أيضا . فلما طلبوا المفتاح قلت لهم إنه مع زوجى وهو مسافر فى مصيفه فاذا بهم يهتفون برجل منهم ويأمرونه بفتح الخزانة . وتقدم هذا الرجل وفتح الخزانة بآلات ومفاتيح كانت معه . كأى لص متمرس ! !

ولما طلبت منهم إيصالا بما أخذوه قالوا فى سخرية :

«انت مجنونة . إنت فاكرة نفسك شاطرة . إخرسى بلاش دوشة» .

وقبضوا علىّ وأدخلونى عربة وجدت فيها ابن أخى الذى قبضوا عليه فى الفجر وشاب من شباب الدعوة . سألت ابن أخى : إيه يامحمد؟ فلم يجبنى ففهمت أن التعليمات إليه أن لا يتكلم . وكانوا قد أتوا به ليرشدهم إلى المنزل لان هؤلاء كانوا غير زوار الفجر ..

وأخذت العربة تنهب بنا الطريق حتى وصلت إلى السجن الحربى . عرفت ذلك من اللوحه الموجودة على بوابته . واقتحمت السيارة البوابة المرعبة . وبعدما ابتلعت البوابة السيارة ومن فيها . أُنزلت منها واتجه بى وغد غليظ إلى حجرة استجوبنى فيها وغد آخر وأدخلت منها إلى حجرة أخرى . ووقفت أمام رجل ضخم الجثة مظلم الوجه قبيح اللفظ . فسأل الذى يمسك ذراعى عنى فأجابنى بسباب غلّف فيه اسمى . ومع ذلك التفت هو إلىّ فى غلظة وسألنى من أنت ! .

قلت : «زينب الغزالى الجبيلى» .

فانطلق يسب ويلعن بما لا يعقل ولا يتصور . وصرخ الذى يمسك بذراعى قائلاً :
«دا رئيس النيابة يابنت الـ....ردى على سعادته » . وكان الآخر قد صمت .

قلت : لقد اعتقلونى أنا وكتبى وكل مافى الخزانة فأرجو حصر هذه الأشياء وتسجيلها فى حتى أن تعاد إلىّ . أجاب رئيس النيابة المزعوم الذى وضح فيما بعد أنه شمس بدران . أجاب فى فجور وجاهلية متغطرسة : «يابنت الـ... نحن سنقتلك بعد ساعة . كتب إيه ؟

وخزنة إيه ؟ ومصاغ إيه ؟ انت ستعدمين بعد قليل . كتب إيه وحاجات إيه اللي بتسألى عليها يابنت الـ... نحن سندفنك كما دفنا عشرات منكم ياكلاب هنا فى السجن الحربى » لم أستطع أن أجيب لأن الكلمات كانت بذيئة الالفاظ سافلة والسباب والشتائم منحطة إلى الحد الذى لا يستطيع فيه الانسان أن يسمعها فضلا عن أن يجيب عنها .

وقال هذا المتغطرس للذى يمسك ذراعى : خذها ...
قال : إلى أين ؟
أجاب : هم عارفون .
وجذبنى الفاجر فى وحشية وهو يقول : يابنت الـ...

وعند الباب نادى صاحب الجثة الغليظة المظلمة على الشيطان الممسك بذراعى فالتفت إليه . فكأنى أرى ظلمة من دخان غليظ أسود تغرقه . قلت فى سرى : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم . ثم تضرعت إلى الله قائلة : اللهم أنزل علىّ سكينتك وثبت قدمى فى دوائر أهل الحق واربط على قلبى بذكرك وارزقنى الرضا بما يرضيك .

وقال الممسك بذراعى للشيطان : نعم يامعالى الباشا .
قال له : تروح رقم ٢٤ وبعد ذلك تأتونى .

وانصرف بى الشيطان الشقى الممسك بذراعى وأدخلنى حجرة . فرأيت رجلين يجلسان إلى مكتب وفى يد أحدهما مفكرة كنت أعرفها وهى خاصة بالأخ الشهيد عبد الفتاح اسماعيل . كان يخرجها فى حلقات القرآن ونحن نتدارس ويدون بها بعض ملاحظاته . فعرفت أنه اعتقل وبعض الاخوان اذكان عنده اجتماع بهم فى ذلك الوقت . وأحدث ذلك رعدة فى نفسى خشيت أن يلاحظها بعض الشياطين . وكان أذان العصر يخرق سمعى . وترك الشيطان رقبتى ولكن ظللت فى مكانى فصرفه الله عنى . وما أن انتهيت من الصلاة حتى انكب الشيطان علىّ فى وحشية . قيل له : اذهب بها إلى ٢٤ .

الطريق إلى الحجرة ٢٤

خرج بى الشيطان وهو ممسك بذراعى وسار معنا اثنان من الشياطين سود الوجوه ممسكان بالكرابيج . ساروا بى فى أنحاء متعددة من السجن الحربى ورأيت.. رأيت الاخوان المسلمين معلقين على الأعواد والسياط تلهب أجسادهم العارية ، وبعضهم سلطت عليه الكلاب الضالة لتمزق جسده بعد السياط ، وبعضهم يقف ووجهه إلى الحائط فى انتظار دوره من التعذيب والتنكيل . كنت أعرف عددا كبيرا من هؤلاء الشباب المؤمنين الأتقياء الأنقياء أبنائى وأحبائى فى الله ، أصحاب مجالس التفسير والحديث والحياة الندية الذكية فى دارى ، فى دارهم ، فى دار ابن الأرقم ، فى هدأة السحر ، فى أنوار الفجر .

عرفت منهم الكثير ، رأيت العجب ، هذه الأنماط البشرية الفريدة فى انسانيتها المترفعة باسلامها الموصولة بالسماء المرموقة بعين القدرة المنزهة المتمتعة بحضرة الله سبحانه وتعالى ، شباب الاسلام ، شيوخ الاسلام ، هذا مصلوب على خشبة ، هذا منكفئ على وجهه للحائط ، والسياط تنزل عليه تأكل من ظهره ، هذا ينزف من جبينه الذى لم ينحن الا لله والنور يغمر وجهه المنساب من رأسه المرتفع المعتز بالله ، وذاك ظهره للحائط ، كل الوجوه يجرى فيها نور التوحيد .. ولكن نزيف الدم من الوجوه والظهور شئ مخيف .

وصرخ شاب مصلوب على خشبة : أماه ! ثبتك الله !

قلت : والنور قد غطى المكان فلمع لون الدم فيه : أبنائى ، انها بيعة ، صبراً آل ياسر فإن موعدكم الجنة .

ورفع الشيطان يده وهو يهوى بها على صدغى وأذنى ، فأخذت عينى تدور وأذنى كذلك كأن ماسا كهربيا قد مسها . وانكشف النور عن أجسام ممزقة وأشلاء متناثرة تملأ المكان ، فقلت : فى سبيل الله . وسمعت صوتا كأنه يأتى من الجنة :

اللهم ثبت الأقدام ، اللهم احفظهم من الفجرة .

لولاك ربى ما اهتدينا ، ولا تصدقنا ولا صلينا .. فثبت الأقدام إن لاقينا .

وارتفعت أصوات السياط وتزاحمت ، ولكن صوت الإيمان أقوى وأوضح ، وكانت برهة ، وخرج صوت آخر كأنه مقبل من السماء يقول :
«لا إله إلا الله وحده لا شريك له » .
وقلت ثانية : «صبرا يا أبنائى إنها بيعة ، صبراً إن موعدكم الجنة » .

وأخذت يد الفاجر ظهرى بضربة موجعة أليمة ساخنة ، فقلت :
« اللهِ اكبر ولله الحمد ، اللهم صبراً ورضاً ، اللهم شكراً وحمداً على ما أنعمت به علينا من الاسلام والايمان والجهاد فى سبيلك » .
وفتح باب لحجرة مظلمة فدخلتها ثم أغلقوا بابها .

فى الحجرة ٢٤

ابتلعتنى الحجرة فقلت: باسم الله السلام عليكم .
وأغلق الباب وأضيئت الكهرباء قوية ! انها للتعذيب !
الحجرة مليئة بالكلاب ! لا أدرى كم !!

أغمضت عينى ووضعت يدى على صدرى من شدة الفزع ، وسمعت باب الحجرة يغلق بالسلاسل والأقفال وتعلقت الكلاب بكل جسمى ، رأسى ويدى ، صدرى وظهرى ، كل موضع فى جسمى أحسست أن أنياب الكلاب تغوص فيه .

فتحت عينى من شدة الفزع وبسرعة أغمضتهما لهول ما أرى ووضعت يدى تحت ابطى وأخذت أتلو أسماء الله الحسنى مبتدئة بـ « ياالله ، ياالله » وأخذت أنتقل من اسم الى اسم ، فالكلاب تتسلق جسدى كله ، أحس أنيابها فى فروة رأسى ، فى كتفى فى ظهرى ، أحسها فى صدرى ، فى كل جسدى . أخذت أنادى ربى هاتفة : « اللهم اشغلنى بك عمن

سواك ، اشغلنى بك أنت يا إلهى ياواحد يا أحد يافرد ياصمد ، خذنى من عالم الصورة ، اشغلنى عن هذه الأغيار كلها ، اشغلنى بك ، أوقفنى فى حضرتك ، اصبغنى بسكينتك ، البسنى أردية محبتك ، ارزقنى الشهادة فيك والحب فيك والرضا بك والمودة لك وثبت الأقدام ياالله ، أقدام الموحدين » .

كل هذا كنت أقوله بسرى فالكلاب ناشبة أنيابها فى جسدى .

مرت ساعات ثم فتح الباب وأخرجت من الحجرة .

كنت أتصور أن ثيابى البيضاء مغموسة فى الدماء ، كذلك كنت أحس وأتصور أن الكلاب قد فعلت . لكن يالدهشتى ، الثياب كأن لم يكن شئ ، كأن ناباً واحداً لم ينشب فى جسدى .

سبحانك يارب ، إنه معى ، ياالله هل أستحق فضلك وكرمك ، ياالله يا إلهى لك الحمد . كل هذا أقوله أيضاً فى سرى فالشيطان ممسك بذراعى يسألنى : كيف لم تمزقنى الكلاب ؟ والسوط فى يده وخلفى شيطان ثان بيده سوط أيضاً .

كان الشفق الأحمر يكسو السماء ينبئ بأن الشمس قد غربت وأننا أوشكنا على العشاء

إذن فقد تركت مع الكلاب أكثر من ثلاث ساعات .

لك الحمد يا إلهى على كل حال .

اخترقوا بى طريقاً توهمته طويلاً ، فتح باب ، ابتلعتنى الساحة المخيفة خلفه ، ثم ابتلعنى ممر طويل مخيف على جانبيه أبواب مغلقة . أحد الأبواب منفرج بعض الشئ يطل منه وجه منير ، خرج منه بعض النور فبدد بعض ظلام الممر عرفت فيما بعد أنه باب الزنزانة رقم ٢ التى تسبق زنزانتى رقم ٣ ويسكنها الضابط الكبير محمد رشاد مهنا الذى كان يوماً وصياً على عرش مصر الذى توهم الفجرة أن الاخوان سينصبونه رئيساً للجمهورية فاعتقلوه .

وفتح باب الزنزانة رقم ٣ .. فابتلعتنى .

الزنزانة رقم ٣ ..

وفتح باب الزنزانة ٣ .. فابتلعتي واختطفتني ظلمها وأغلق الباب خلني فى اللحظة التى أشعل فيها مصباح معلق فى سقف الزنزانة . كان الضوء مخيفاً مرعباً لشدته لا تستطيع أن تفتح عينك فيه . فعرفت للتو أنه للتعذيب أو الإرهاق .

وبعد فترة طرقت الباب وجاء مارد أسود فى غلظته سألنى عما أريد فاستأذنت فى الذهاب إلى دورة المياه للوضوء ، فأجاب فى وحشية ممنوع طرق الباب — ممنوع دورة المياه — ممنوع الوضوء — ممنوع الشرب .

إذا طرقت الباب سأجلدك خمسين جلدة ، وفرقع بالسوط فى الهواء ليرينى أنه على استعداد لتنفيذ تهديده .

لم يكن فى الزنزانة شئ ، وكنت قد تعبت من الوقفة الطويلة بين الكلاب فى « الحجرة ٢٤ » فخلعت معطفى وفرشته على أرضها وتيممت وصليت المغرب والعشاء وجلست القرفصاء ، ولكن ساقى المكسورة لم ترحنى فوضعت حذائى تحت رأسى وتمددت على أسفلت الحجرة .

لكن الطغاة لم يمهلونى . كان بأعلى الزنزانة نافذة تطل على فناء السجن ، جاءوا بصليب من الخشب على ارتفاع النافذة ثم جاءوا بشباب من المؤمنين يصلبونهم الواحد تلو الآخر على هذا الصليب ويأخذون فى جلد المصلوب بالسياط ، والشاب يذكر اسم الله ويستنجد به ، وبعد نصف ساعة من الجلد المستمر المتواصل يقولون لهذا الشاب الذى قد يكون مهندساً أو مستشاراً أو طبيباً : «يا ابن الكلب متى جئت هنا ؟ »

فيقول : «اليوم أو البارحة » ، فيعودون إلى السؤال :
«متى ذهبت إلى منزل زينب الغزالى آخر مرة ؟ »

فان قال لا أذكر ، عادوا إلى الجلد وطلبوا منه أن يسب زينب الغزالى بأبشع مايتصور الإنسان من الألفاظ الفاحشة والكلمات البذيئة ، وطبعا يرفض هذا الشاب المؤمن ويعودون لجلده مرة أخرى وربما قال أحد الشباب اننا لانرى فيها إلا الصدق والفضيلة فيزيدونه ضرباً وجلداً حتى يفقد الوعى ، فيأتوا بآخر طالبين منه نفس الشئ ظنا منهم أن ذلك يضعف من عزيمتى .

وهكذا ، شاب يعقب أخاه ، وقلبى يتمزق على هذا الشباب المؤمن . أخذت أناجى الله وأتضرع إليه طويلاً .

سألته أن يجعلنى فداء لهذا الشباب فأتلقى التعذيب بدلاً منهم فقد تصورت أن هذا أهون علىّ ، فأخذت أدعو الله أن يجعلنى مكانهم أو يصرف عنى وعنهم هذا الجلاد .

تمنيت أن يقولوا مايريده هؤلاء الفجرة عن زينب الغزالى حتى ترفع عنهم السياط ، ولكنهم لم يقولوا ، والسياط تتضاعف وتتعالى صيحاتهم والألم يمزقنى .

وأنا أناجى ربى فأقول :

« اللهم اشغلنى بك عنهم واشغلهم بك عنى . اللهم ألهمهم الخير الذى يرضيك ، اللهم احجب عنى أصوات تعذيبهم ، اللهم إنك تعلم مافى نفسى ولاأعلم مافى نفسك . إنك أنت علام الغيوب ، تعلم خائنة الأعين وماتخفى الصدور ، فرحمتك اللهم بعبادك » .

الرؤيـــا

ولا أدرى كيف أخذنى النوم وأنا أذكر الله ، وكان فى هذا النوم خير وفضل وعطاء ، كان فيه رؤيا مباركة هى إحدى رؤاى الأربع لحضرة النبى عليه الصلاة والسلام فى محنتى :

« رأيت بحمد الله صحراء مترامية وإبلاً عليها هوادج كأنها صنعت من النور وفى كل هودج أربعة من الرجال كأنهم أيضاً وجوه نورانية ، رأيتنى خلف هذا السيل من الإبل فى هذه الصحراء المترامية التى لايحدها البصر ، أقف خلف رجل عظيم مهيب وهو يأخذ بخطام امتد فى اعناق هذا السيل الجارف من الإبل التى لايحصى عددها . أخذت أردد فى

سرى : أيكونُ حضرة النبى محمد ﷺ . فإذا به يجيبنى : «أنت يازينب على قدم محمد عبد الله ورسوله . »

سألت : «أنا ياسيدى يارسول الله على قدم محمد عبد الله ورسوله ؟ »
قال عليه الصلاة والسلام : «أنت يازينب ياغزالى على قدم محمد عبد الله ورسوله . »
سألت ثانية : «أنا ياحبيبى يارسول الله على قدم محمد عبد الله ورسوله ؟ »

قال عليه الصلاة والسلام : «أنتم يازينب على الحق ، أنتم يازينب على الحق ، أنتم يازينب على قدم محمد عبد الله ورسوله ».

سألت : «أنا ياسيدى يارسول الله على قدم محمد عبد الله ورسوله ؟ »
قال عليه الصلاة والسلام : «أنت يازينب ياغزالى على قدم محمد عبد الله ورسوله . »
سألت ثانية : «أنا ياحبيبى يارسول الله على قدم محمد عبد الله ورسوله ؟ »

قال عليه الصلاة والسلام : «أنتم يازينب على الحق ، أنتم يازينب على الحق ، أنتم يازينب على قدم محمد عبد الله ورسوله ».

وقت من النوم وكأننى ملكت الوجود بهذه الرؤيا ، وأدهشنى بعدما نسيت ما أنا فيه وأين أنا أنى لا أجد ألم السياط ولا الصلبان القريبة من النافذة فقد نقلت إلى مكان بعيد وأصبحت الأصوات تأتينى عن بعد .

وثانى ما أدهشنى أن اسمى فى شهادة الميلاد زينب غزالى واسم الشهرة المعروف لدى الناس « زينب الغزالى » والرسول عليه الصلاة والسلام يناديني باسمى فى شهادة الميلاد وفعلاً نقلتنى الرؤيا عن الزمان والمكان فتيممت وأخذت أصلى ركعات شكراً لله على هذا العطاء .

وفى إحدى سجداتى وجدتنى أقول :

« ربى بم أشكرك ؟ إنى لا أجد ما أشكرك به إلا أن أجدد بيعتى لك .

اللهم انى أبايعك على الشهادة فى سبيلك . اللهم أنا أبايعك على ألا يعذب أحد بسببى اللهم ثبتنى على الحق الذى يرضيك وأوقفنى فى دائرة الحق الذى يرضيك ! » وانتهيت

من صلاتى ، وأخذت أكرر مادعوت به فى سجودى وكأننى أعيش فى عالم غير الذى أنا فيه وأحسست براحة وسكينة واطمئنان قلب ..

وسمعت ضجة شديدة فى الخارج وأصوات عربات كثيرة تتزاحم إلى الداخل وأخرى خارجة من الجحيم ، عرفت فيما بعد أن هذا الوقت انتهاء وردية من الزبانية وبدء وردية أخرى للتعذيب ..

وسمعت المؤذن يؤذن لصلاة الفجر فرددت الأذان ثم تيممت وصليت ..

أمضيت على هذه الحال ستة أيام على التوالى من مساء الجمعة ٢٠ أغسطس إلى الخميس ٢٦ أغسطس لايفتح باب الزنزانة فلا أكل ولا شرب ولا دورة مياه ولاصلة بالخارج غير تلصص هذا الشيطان الذى يضع عينه على فتحة باب الزنزانة الصغيرة بين الحين والحين . ولك أن تتصور أيها القارئ العزيز كيف تستطيع أن تعيش هكذا ، وإذا استطعت أن تعيش بلا طعام ولاماء فكيف يستغنى الإنسان عن قضاء حاجته الضرورية ؟ كيف يعيش الإنسان بغير أن يذهب إلى دورة المياه ولو مرة واحدة فى اليوم ؟ ولاتنس أننا كنا فى شهر أغسطس ! فهل تجيز اليهودية أو الوثنية ذلك ! فما بالك بالذين يدعون أنهم مسلمون .. وهل يفعل ذلك أى كائن ينتمى للجنس البشرى ؟!

ياالله لكم جنى الطغاة المستبدون على كرامة الانسان وتحللوا من كل دين وخلق ، ولكن اليقين بالله واعتقاد الحق ، وأن يرى الانسان برية ويعايش أمره كل ذلك قد يصنع شيئاً كبيراً فوق طاقة البشر.

فلا تدهش أيها القارئ : لأننى استطعت أن أعيش هذه الأيام بغير ماء ، أو طعام ، أو قضاء ضرورة ، أو صلة بانسان . اللهم إلا هذه الطرقات من الشيطان الأسود الذى ربما فتح الباب يسأل فى غلظة ووحشية ، يابنت الـ.. انت لسه عايشه ؟! ...

نعم أيها القارئ لقد عشت هذه الأيام بأمرين ..

الأول : هو فضل الله علينا بالإيمان به . إنه الإسلام الذى يمنح صاحبه قوة يغالب بها الصعاب والمشقات أيا كانت هذه الصعاب . انه فضل الله . فالايمان يعطى قوة وطاقة

احتمال هائلة . تعلو قوة الطواغيت الفجرة الذين ظنوا أنهم فعلا يحكمون ، والحق أن المؤمن يعيش متصلا بالله سبحانه . مستغنياً عن الصورة والأغيار .

والأمر الثانى : هو تلك الرؤيا المباركة التى كانت بمثابة تحقيق وزاد ودفعة حياة من الله تعالى عشت بها مشغولة به عن الأغيار المحيطة بى ، وجعلتنى أحتمل فى رضا وسكينة جحيم هؤلاء الطواغيت .. وفى صبيحة اليوم السابع فتح باب الزنزانة ودخل الشيطان الأسود وبيده ربع رغيف ملوث بقذارة من فضلات الانسان وقطعة من الجبن الأصفر كذلك . ورمى بهما الى الارض وقال يابنت الـ .. ده أكلك مادمت عايشه . لم أمس الخبز ولا الجبن وأخذت الماء وأغمضت عينى لشدة قذارة انائه وسددت أنفى ، ورفعت الماء إلى فمى وأنا أقول : «بسم الله الذى لايضر مع اسمه شيئ فى الأرض ولا فى السماء وهو السميع العليم » .

« اللهم اجعله غذاءً ورياً وجهادًا وعلمًا ومعرفة وصبراً ورضا » .

وشربت من الكوز وأغلقت الزنزانة . ومكثت على حالى إلى ماقبل غروب الشمس . حين فتحت الزنزانة ودخل الشيطان الأسود . وقال وهو يضرب بالسوط الذى فى يده على الحائط وعلى أرض الزنزانة .

قومى يابنت الـ .. روحى المراحيض .

وعندما خرجت كدت أسقط على الأرض لشدة إعيائى فأمسك بذراعى ومشى بى حتى أدخلنى المرحاض ، ولما أردت اغلاق باب المرحاض قال : ممنوع اغلاقه ، فخرجت من المرحاض وقلت له : أرجعنى إلى الزنزانة لا أريد شيئا .

قال فى وحشية والجاهلية تغطى عليه وعلى المكان .

ادخلى يابنت الـ.. امال احنا حنحرسكم ازاى يا اولاد ..

أريد من القارئ ان يتصور معى هذا الموقف ؟!

أى جاهلية وأى الحاد يبيح ذلك ؟

عدت إلى الزنزانة وانا أتمنى الموت إن كان الموت خيراً لى ، حتى لا أضطر مرة أخرى إلى الذهاب إلى دورة المياه مع هذا الشيطان ، أغلقت الزنزانة فتيممت وصليت المغرب . وما أن انتهيت حتى فتح باب الزنزانة ودخل الوحش الذى أدخلنى من قبل حجرة الكلاب ويدعى صفوت الروبى . ومعه شخصان .

ثم قال إتفضل يادكتور .

تولى أحدهما الكشف علىّ وأنا على أسفلت الزنزانة .

قال واحد من الواقفين للذى يكشف علىّ : إيه ياشعراوى ؟

أجاب : لاشئ قلبها سليم . ذلك القلب الذى أصيب بجلطة من التعذيب .

وخرجوا وأغلقت الزنزانة .

وبعد دقائق فتحت الزنزانة وأخذونى إلى حوش مرعب مظلم مخيف وتركونى ساعتين تقريبا ، وجهى للحائط بعد أن أمرونى بعدم التحرك . وقالوا لى وهم يغلقون علىّ باب الحوش : أجلك إنتهى النهارده ! يابنت الـ ..

أخذت أفكر فعلا فيما يقولون وأطلب من الله السكينة والأمن وأن ألقاه على الاسلام وأخذت أتلوا فاتحة الكتاب وسورة البقرة وأنا أحس وكأنى أقرؤها للمرة الأولى .

شغلت بالتلاوة حتى أيقظتنى من استغراق صفعة من يد غليظة قاسية وأضيئت الكهرباء واخذ هذا الوحش يضربنى بقسوة بالسوط على جسدى حيثما وقع ، ثم أعطانى ثلاث ورقات بيضاء وقال : والظلمة تتساقط من وجهه وكأنما فى عينيه شيطان :

اكتبى هذه الأوراق !

ودخل ثلاثة رجال يأمرونه أن يعيد ضربى ويعلقون : «حتى لاتنسى أن تكتبى ما نريد يابنت الـ ....»

ثم أمروه بعد فترة بايقاف الضرب وأمسك بى أحدهم فى غلظة ورمى بى إلى الحائط ، عرفت فيما بعد أنه حمزة البسيونى ، وتلقفنى آخر ، ويدعى سعد خليل فأخذ يهزنى هزاً

عنيفاً حتى أسقطنى على الأرض وأمر العسكرى أن يركلنى بقدمه .

ثم جاءوا بمقعد أجلسونى عليه وأعطونى الأوراق وأنا لاأستطيع أن أمسكها لشدة مابى ، وقاومت وأمسكتها والألم يعتصرنى ، وصاح بى أحد هؤلاء الأقزام : اكتبى أسماء كل من تعرفين فى السعودية ، فى سوريا ، فى السودان ، فى لبنان ، فى الأردن ، فى أى مكان فى العالم . اكتبى كل معارفك على وجه الأرض ، إذا لم تكتبى فسنضربك بالرصاص فى هذا المكان الذى تقفين فيه .

اكتبى كل معارفك من الاخوان المسلمين وكل شئ عن صلتك بهم .

وقدموا لى قلما ثم أغلقوا الباب وخرجوا .

وجلست إلى الأوراق وكتبت فيها : إن لى فى كثير من البلاد أصدقاء عرفونى عن طريق الدعوة الاسلامية ، فحركتنا فى الأرض هى لله سبحانه والله يسوق الينا من يختار وجهته وطريقه . الطريق الذى سلكه من قبلنا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم والسلف الصالح ...

ان غايتنا أن ننشر دعوة الله وندعو للحكم بشرعه ، وانى باسم الله أدعوكم أن تتخلوا من جاهليتكم وتجددوا اسلامكم ، وتنطقوا بالشهادتين وتسلموا لله وجوهكم وتتوبوا الى الله من هذه الظلمة التى رانت على قلوبكم فأغلقتها فى وجه كل خير ، لعل الله يخرجكم من إقفال الجاهلية إلى نور الاسلام . وبلغوا ذلك لرئيس جمهوريتكم لعله يتوب ويستغفر ويعود للاسلام ويخلع عن نفسه أطار الجاهلية ، فان أبى فأنتم مسئولون عن أنفسكم وعن الطريق الذى اخترتموه .

وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله .

اللهم اشهد أنى قد بلغت دعوتك فان تابوا فتب عليهم ، اللهم وتب علينا ، وإن جهلوا فانك أنت العزيز الحكيم ، وثبت أقدامنا على الطريق وامنحنا الشهادة فى سبيلك عطاء منك وفضلا ..

كتبت ذلك مستعينة بالله واثقة أنى أديت رسالة الله .

وعدت إلى تلاوتى ، وجاء المدعو صفوت الروبى فأخذ الأوراق وتركنى فى هذا المكان المرعب بعد أن أطفأ النور .

ولم تمض فترة حتى فتح باب الحوش وأوقدت الكهرباء ودخل أربعة جنود ومعهم صفوت يصيح بكل مافى قاموسه البشع من ألفاظ السباب والشتائم ، يابنت الـ .. و .. و .. احنا بنهزر ؟ إيه الكلام الفارغ اللى انت كاتباه ده ؟

ثم صاح قائلا : انتباه !! حمزة باشا البسيونى ، مدير عام السجون الحربية .

ودخل مدير عام السجون الحربية تسبقه كلمات يقذف بها لاتساويها فى سفالتها وانحطاطها اى كلمة أو لفظة سمعتها من قبل على قذارة ماسمعت ، أخذت أنظر إليه باحتقار شديد وازدراء . وكانت فى أيديهم أوراق قالوا كذبا انها الأوراق التى كتبتها ومزقها أحدهم وهم يعيدون ماقاله صفوت من أنهم لايهزلون وأنهم يستنكرون الكلام الفارغ الذى كتبته

وقال البسيونى : خذوها ، دى مافيش فايدة فيها ، ثم خرج إلا أنه لم يلبث ان عاد وصفوت ومعه جند طرحونى أرضاً بقسوة ووحشية ولا أدرى كيف وضعوا يدى ورجلى فى قيد وعلقونى على خشبة كما يعلق الجزار دبيحته وجلدت وحشيا من اناس تمرنوا وتمرسوا فى الجريمة ، كنت أردد اسم الله تعالى حتى أغمى علىّ .

أفقت فوجدت نفسى على نقالة مثل نقالة المستشفيات ، كنت عاجزة عن الحركة والكلام ، غير أنى كنت أحس بما يقع ، وذهبوا بى الى الزنزانة ، ولما افقت من اغمائى وجدت نفسى مصابة بنزيف شديد . طرقت الباب أستغيث بأن يسعفونى بشئ أجفف به الدماء المتدفقة . وطلبت الطبيب فجاء الجواب سبابا ولعنات .

وعدت إلى ربى أسأله ، وهو الذى بيده كل شئ ، أن يرفع عنى مابى ، وتذكرت حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم : «اتق دعوة المظلوم فليس بينها وبين الله حجاب» ودعوت الله أن يوقف الدم ، واستجاب الله دعائى كرما وفضلا ، غير أنى ظللت أقاسى

من آلام شديدة بجسدى كله ، ناهيك عن قدمىّ كأن بهما نارا موقدة ، ولجأت إلى ذكر الله والصلاة له أروِّض نفسى بالانصراف إليه على احتمال مابى .

ومرت ليال قاسية وأنا على هذه الحال : آلام مبرحة ولاطبيب ولاعلاج إلا هذا الشيطان الأسود الذى يفتح الباب مرة كل يوم ليرمى بقطعة من الخبز وأخرى من الجبن . وكما يضع هذا الشئ يأخذه فقد كنت لا أطيق رائحة مايقدمونه من طعام .

... ولكن الله ألفّ بينهم ...

وفى يوم أحسست بشئ يجذبنى إلى باب الزنزانة ، كان صوت أقدام أحسست أن قلبى ينجذب اليها ، وأمسكت بباب الزنزانة ووضعت عينى على الثقب الذى يرقبوننى منه بين الحين والحين ، ورأيت صاحب هذه الخطا ، لقد كان الامام حسن الهضيبى المرشد العام ، وأدركت أنهم قبضوا عليه ، ووضعت فمى على الثقب وقرأت قوله تعالى :

«إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله .. ، ولا تهنوا ولاتحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين» .

وصرت اترقب هذه الخطا الغالية . وكان الله يرزقنى رؤيته كل يوم . فكنت أقف واردد الآية ويجيب بايماءة خفيفة لا يلحظها الشيطان الذى يرافقه .

كان هذا اللقاء يؤنسنى كثيرا ويشغلنى عن جل آلامى . وهذا أمر لايحس بجلاله غير المؤمنين المتآخين فى الله . فالاسلام يربط بين قيادته وجنده برباط يعلو بالنفوس حتى تؤثر مرضاة الله على نفسها . وعشت يغمرنى الاطمئنان بذلك .

عودة الى دوامة التعذيب والمساومة

ولم يطل بى الاطمئنان ، فذات مساء فتحت الزنزانة وفاجأنى الشيطان صفوت بالسوط يضرب به كل شئ ويضرب به الحائط ، ثم أخذنى بوحشية من ذراعى واخرجنى من

الزنزانة إلى حوش السجن ، فإلى مكتب يواجه السجن رقم (٢) وأجلسنى على مقعد تجاه مكتب وتركنى وخرج ومالبث أن جاء شيطان آخر سألنى عما إذا كنت زينب الغزالى ولما أجبت بالايجاب خرج كما دخل ، وبعد فترة دخل ثلاثة جنود كأنهم خارجون لتوهم من جهنم ، طول أجسامهم مرعب وعرض أجسامهم كذلك ، وجوههم تعكس غلظة قلوبهم ، وبعدهم بقليل دخل رجل فسألهم عما اذا كانوا قد عرفونى ورأونى وأجابوا بنفس واحد بالايجاب وقالوا بأن موعد موتى قد حل . ثم خرجوا ليعودوا بالأخ فاروق المنشاوى فيجلدوه بعد أن قيدوه وصلبوه على عود من الخشب ، وبين الجلدة والجلدة كانوا يسألونه عن عدد المرات التى زارنى فيها ، ويطلبون منه أن يسبنى فيرفض فيزيدونه جلدا وأنا أتمزق مما أرى وأسمع حتى طرحوه ارضا واعتقدت أنه يحتضر . ولكن إرادة الله شاءت له أن يعيش ويحاكم يحكم عليه بالأشغال الشاقة المؤبدة ، يدعو فى السجن للاسلام وللحق الذى آمن به حتى امتدت إليه يد آثمة وبتعليمات من عبد الناصر لتقتله فى سجن ليمان طره فيفوز بالشهادة .

ولم يكتف الآثمون بجلد الأخ فاروق بل اتوا بأخ آخر علقوه على أعوادهم وأعادوا عليه ما سألوا فاروق عنه ورفض الأخ كما رفض أخوه من قبل ، واشتد العذاب وتعب الشاب وظنوا أنه يموت . فأنزلوه أرضا ورفعوه على نقالة وانصرفوا به لايدرى أحد إلى أين ... ويبدو أنهم اعتقدوا أن مارأيت وما سمعت ، سيدفعنى الى بعض مايريدون فأرسلوا لى رجلا يتصنع انه من أهل النصيحة والخير ، حيّانى وقدم لى نفسه على أنه عمر عيسى وكيل النيابة (وعرفت فيما بعد أنه أحد شياطينهم) .

ثم بدأ نصيحته : قائلا : أنا ياحاجة زينب أريد أن اتفاهم معك لأنقذك من بين أنياب وبراثن هذه البلاوى .

كيف ترمين بنفسك فى هذا «القرف» وأنت زينب الغزالى . المحترمة المصونة ، شوفى الاخوان المسلمين ، كلهم بمن فيهم الهضيبى اعترفوا بكل شئ ، وقالوا عنك كلاما يحكم عليك بالاعدام . حموا أنفسهم ورموك إنت .

أنا رأيى ياحاجة أن تدركى نفسك قبل فوات الأوان وتقولى الحقيقة وتقولى لنا ماذا كان هؤلاء ينوون فعله وتوضحى موقفك وأنا متأكد أن موقفك سليم .

وصمتٌ ولم أجبه ، قال «جاوبى ياست زينب فى هدوء وروية ، نحن نريد أن نصل إلى الحقيقة » .

فأجبت .. أعتقد أن الاخوان المسلمين وأنا معهم ومنهم لم نفعل شيئا يغضب الله بل لم نفعل شيئا يغضب البشر السوى المدرك للحقيقة . ماذا فعلنا ؟ كنا نعلم الناس الاسلام فهل فى هذا جريمة ؟

وصمت فقال «لكن أقوالهم تثبت أنهم كانوا يتآمرون على حاجات كثيرة منها قتل جمال عبد الناصر وتخريب البلد ، وأنك أنت اللى كنت تحرضيهم على ذلك ، وأنا وكيل نيابة ليس لى مصلحة الا الوصول للحقيقة ، فما رأيك بعد هذا ؟

قلت : ليس من أهداف الاخوان المسلمين قتل عبد الناصر أو غيره أو تخريب البلد ، الذى خرب البلد فعلا هو جمال عبد الناصر ، ان غايتنا أكبر من ذلك ، انها الحقيقة الكبرى ، قضية التوحيد فى الأرض ، توحيد الله ، عبادة الله وحده ، اقامة القرآن والسنة ، انها قضية «إن الحكم الا لله» وعندما نحقق غايتنا ان شاء الله ستنهدم هياكلهم وتنتهى أسطورتهم ، ان أهدافنا الاصلاح لا التخريب ، البناء لا الهدم» .

فابتسم ابتسامة باهتة وقال : «يعنى فعلا انتم تتآمرون على عبد الناصر وحكمه ، هذا ثابت من أقوالك ياست زينب» .

قلت : «الاسلام لايعرف لغة التآمر ولكن يجابه الباطل بالحق ويوضح للناس الطريقين ، طريق الله تعالى وطريق الشيطان » .

الذين يسلكون طريق الشيطان مرضى بؤساء نقدم لهم الدواء فى اشفاق وعطف والدواء فى أيدينا : دعوة الله ، دين الله ، شريعة الله .

« وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولايزيد الظالمين الا خسارا »

وانقلب وجه الشيطان الذى كان يدعى أنه وكيل النيابة والحق أنه كان سعد عبد الكريم. وخرج وهو يقول : أنا أردت أن أخدمك ، ولكن يظهر انك مازلت مخدوعة بما صوره لك الاخوان المسلمون ..

وجاء صفوت الروبى فأوقفنى ووضع وجهى إلى الحائط وتركنى ساعات أتمزق بما أسمع من تعذيب الإخوان وجلدهم واحدا بعد الآخر ، يحضرنى من أسمائهم : مرسى مصطفى ، فاروق الصاوى ، طاهر عبد العزيز سالم . وعاد وكيل النيابة المزعوم ومعه حمزه البسيونى وصفوت الروبى ، وقال حمزه : لماذا لاتريدين أن تتفاهمى مع وكيل النيابة ؟ نحن نريد أن نخلصك من الورطة التى أنت فيها ، أنا أعرف زوجك ، هو رجل طيب وانت حاتوديه فى داهيه !!

حسن الهضيبى قال كل حاجة ، والاخوان قالوا كل حاجة ، وأنت لم لا تخلّصين نفسك مثلهم ؟

قلت : صحيح ! الاخوان قالوا كل حاجة ولذا تجلدونهم وتصلبونهم على الخشب . أنا لا أكذب على الاخوان ولا على نفسى ..

نحن مسلمون ونعمل للاسلام وهذا هو عملنا !!

كان يقف خلفهم اربعة من زبانيتهم يضربون بسياطهم الأرض التى كانوا يجلدون عليها الاخوان .

نظرت إلى وكيل النيابة المزعوم وقلت : وهذه السياط يا وكيل النيابة ؟ هل هى من مواد القانون فى كلية الحقوق ؟

وضربنى حمزة البسيونى على وجهى وهو يقول :

هو انت يابنت حاتجننينا ! انا اقدر أدفنك مثل ما بادفن عشرة كل يوم منكم !

فنظرت ثانية لوكيل النيابة المزعوم وقلت له :
لماذا لاتكتب هذا الكلام فى محضرك ؟ إذا كان معك محضر ! !
فنظر إلىّ حمزة البسيونى وقال : خلاص تصرفوا انتم ، أناكنت أريد أن أخدمها لكن هى لاتريد .

وكانت هذه الكلمة بمثابة أمر لصفوت وزبانيته الذين يضربون الأرض والحائط بالسياط ، وتحولت السياط إلى جسدى فأغمضت عينى خوفا من أن يصيبها السوط ، وظلت السياط نازلة على جسدى بوحشية وأنا اشكو إلى الله وكنت كلما اشتد الألم رفعت صوتى قائلة : يارب ! ياألله !

وتركونى بعد أن ألصق صفوت جسدى بالحائط ورفع يدى إلى أعلى وأنا أردد يالطيف ! يا ألله ، أنزل بى عونك ! ألبسنى سكينتك ! !

بعد ساعات جاء صفوت ومعه شيطان أسود يدعى سامبو ، ضربونى على وجهى عدة ضربات واخذونى الى الزنزانة واغلقوها .

بعد دقائق من اغلاق الزنزانة سمعت آذان الفجر فصليت ودعوت الله « ان لم يكن بك غضب علىّ فلا أبالى ولكن عافيتك هى اوسع لى . اعوذ بنور وجهك الذى اشرقت له الظلمات وصلح عليه امر الدنيا والآخرة أن ينزل بى غضبك أو يحل على سخطك ، لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولاقوة إلا بك » ! !

مندوب رئيس الجمهورية

تركونى فى الزنزانة ثلاثة أيام، أخذونى بعدها لنفس المكتب حيث كان يجلس رجل أبيض طويل القامة ..
قال : اجلسى ياست زينب ، نحن عرفنا أن الجماعة هنا أتعبوك ، أنا أعرفك بنفسى : أنا من مكتب السيد رئيس الجمهورية ونريد أن نتفاهم معك ياست زينب ! ! البلدكلها تحبك ونحن أيضا نحبك ، لكن انت متباعدة عنا ومخاصمانا ولاتريدين أن تتفاهى معنا .

لكن والله لو تتفاهمى معنا ياست زينب سنخرجك اليوم من السجن الحربى . كلنا نقول : هذا الوضع ليس لك انت .

أنا لا أعدك أن تخرجى من السجن فقط . بل أعدك أيضا أن تكونى وزيرة للشئون الاجتماعية بدل حكمت أبو زيد ...

قلت له : هل جلدتم حكمت أبو زيد قبل أن تصبح وزيرة وأطلقتم عليها الكلاب ؟

قال : ما هذا الكلام ؟ هو دا حصل ؟. نحن متألمون لمجرد وجودك هنا .

قلت : وماذا تريدون منى؟

قال : الاخوان المسلمون لبسوك كل التهمة . والهضيبى لبّخ فى الموضوع وعبد الفتاح اسماعيل قال كل حاجة وسيد قطب قال كل حاجة . لكن نحن أحسسنا أنهم يحاولون تخليص أنفسهم وتحميلك أنت المسئولية كلها . ولذا جئت النهاردا بنفسى بأمر من الرئيس عبد الناصر حتى نتفاهم وتخرجى معنا ، وسأوصلك الى بيتك بعربيتى . وأحب أعرفك أن من أقوال الاخوان أصبح معروفا ومعلوما لدينا أنهم كانوا يريدون الاستيلاء على الحكم وأنك أنت التى رسمت الخطة للاستيلاء على السلطة وقتل عبد الناصر وأربعة وزراء معه ، ونحن نريد منك توضيح موقفك ودور سيد قطب والهضيبى فى الموضوع . ومن هم الوزراء الأربعة المطلوب قتلهم : تفضلى تكلمى ! واشرحى لنا الموقف بالتفصيل .

قلت : أولا الاخوان المسلمون لم يدبروا خطة للاستيلاء على الحكم ولا لقتل عبد الناصر والوزراء الأربعة المزعومين ولا لقتل واحد . الموضوع هو دراسة للاسلام ولمعرفة أسباب تأخر المسلمين والحالة التى وصلوا اليها ..

عند ذلك قاطعنى قائلا : ياست زينب أنا قلت لك : هم قالوا كل حاجة ، قلت : «جايز جدا ، وقطعا قالوا ما أراده الجلادون منهم ، فترخصوا لأنفسهم وقالوا شيئا لم يحدث ...

القضية كلها أننا كنا ندرس الاسلام ونعمل على أن نربى له جيلا يعيه ويفهمه ، فان

كانت هذه جريمة فأمرنا لله » .

فأقسم بالله العظيم أنه يريد خدمتى وانه حضر خصيصا لخدمتى .

قلت له شكرا أنا لم أفكر يوما أن أكون موظفة حتى ولا وزيرة . أنا قضيت عمرى فى خدمة الاسلام وموضوع وزارة الشئون لايعنينى فى قليل أو كثير لأنى لا أصلح للوظيفة فعملى كله التطوع لخدمة الاسلام .

وقام الرجل وتركنى فى الحجرة بعد أن قال : أنت حرة ، نحن عرضنا خدماتنا وأنت ترفضين ..

وبعد خروجه بساعة دخل الحجرة رياض ومعه صفوت وكان رياض قد هددنى أكثر من مرة بأنه سيقتلنى اذا لم أقل له ما يريد ، وتكررت عملية الضرب السابقة التى لم يمر عليها أكثر من ثلاثة أيام وبعد الضرب المؤلم أعادونى إلى الزنزانة .

كان ذلك أيضا مع طلوع الفجر ..

وجوه غالية تدخل زنزانتى

فى عصر اليوم التالى سمعت أصواتاً أعرفها وأحبها ، قمت بصعوبة إلى الباب ونظرت من الفتحة الضيقة فرأيت الشيطان حمزة البسيونى وتابعه صفوت يسدان على الفتحة ، الا أنى سمعت أصواتاً أعرفها ، وما لبث الشيطان وتابعه أن تحركا فرأيت بعض الوجوه الغالية :

علية حسن الهضيبى ، وغادة عمار .

وجلست حتى لا يرانى أحد من الطغاة وأنا أنظر من فتحة الباب ، غير أن الألم أخذ بى فغطى كل مشاعرى وأحاسيسى وأخذت أدعو الله سبحانه وتعالى وأسأله أن يدفع عن بناتى وأخواتى شرور الطغاة .

كنت مستغرقة فى آلامى أفكر : علية حامل فى شهورها الأخيرة ؟ كيف اعتقلها الطغاة ؟ وغادة ؟ ماذا فعلوا برضيعتها الصغيرة ؟ كيف تركتها ؟ انها لقسوة وفجور ووحشية ! !

يا للبشر من حكامهم عندما يرتدون أردية الجاهلية فتغطى كل مشاعرهم وتضيّع ضمائرهم فيصبحون جلادين لرعاياهم !

ويلك يا عبد الناصر ! أيها الطاغوت كم خدعت قومك ! !

وينفتح الباب ويرمى الشيطان الأسود ببطانية ووسادة ، وكان قد مر علىّ ثمانية عشر يوما وأنا افترش الأسفلت ، ويعود بعد لحظات ببطانيتين ووسادتين يرمى بهما على الأرض وأنا فى دهشة مما يحدث . ولم تلبث دهشتى أن زالت حين فتح الباب ثالثة ليدخل صفوت وحمزة البسيونى مصطحبين علية الهضيبى وغادة عمار يدخلانهما ويخرجان ويغلق باب الزنزانة

وتقبل على علية تأخذنى بين ذراعيها تقبلنى وأنا منصرفة عن نفسى وعن الدنيا وتتساءل فى ألم ، أنت الحاجه ؟ أنت الحاجة ؟ وألتفت الى غادة فأرى عينيها ممتلئتين بالدموع تغرقان وجهها . وأسأل علية فى ألم .. ألم تعرفينى ؟ فتجيب : لا لا لا ياحاجة لقد تغيرت كثيرا ، نقص وزنك الى حد مخيف ، وأصبح وجهك كأنه وجه شقيقك سعد الدين .

قلت : هذا أمر طبيعى ، أنت لا تعرفين الهول الذى أعيش فيه ، وفوق ذلك فأنا لا أتناول من الطعام الا ملعقة من السلاطة فى اليوم والليلة يرمى بها أحد الجنود وهو مرعوب يخشى أن يضبط متلبسا بجريمته .

وتحاول أن ترتب المكان بما أصبح فيه من بطاطين ووسادات ، وتجلس وتسألنى عن مصحف ، مسكينة علية لقد حسبت أننا نتعامل مع «آدميين» أو نسيت علية أننا هنا مع أعداء المصحف ؟ أأنتظر منهم أن يسمحوا لى به ؟

وتعرض على غادة مصحفا صغيرا كان معها وكذلك تفعل علية

ونجلس ولما مددت رجلى المكسورة التماسا للراحة ظهرت آثار التعذيب وضرب السياط وتسألنى علية عما ترى فأتلو عليها الآية الكريمة «**قتل أصحاب الأخدود ، النار ذات الوقود اذ هم عليها قعود ، وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود ، وما نقموا منهم الا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد**» ، وتبكى غادة فى صمت وتتساءل علية فى عجب : أيمكن أن يحدث هذا مع النساء ، علية طيبة القلب لم تستطع أن تصل بخيالها إلى المدى الذى يمكن أن يبلغه حكم عبد الناصر من عداوة لله ثم للدعاة .

وفاة رفعة مصطفى النحاس

وأرادت علية أن تغير الموضوع وأن تخرج بى خارج الأسوار ، ونقلت لى نبأ وفاة مصطفى النحاس باشا . وخنقتنى عبارات الوفاء وأنا أدعو ربى «اللهم انك غنى عن عقابه وهو فقير الى رحمتك ، اللهم فارحمه» .

وعرفت منها أنه مات بعد دخولى السجن بيومين أو ثلاثة . وحدثتنى عن جنازته ، عن الألوف المؤلفة التى كانت تسد جميع الطرقات ، عن المظاهرات ، عن خطف النعش حتى مسجد الحسين ، عن الهتافات بألا زعيم بعد النحاس ، عن بعض شعارات الاخوان وسط مسيرة الجنازة ، عن محاولات أجهزة الدولة الوقوف أمام هذا الطوفان . عن تعليق الإعلام الخارجى على ما حدث .. وكان حديثا طويلا مطمئنا صريحا .

لقد انتهزت جماهير الشعب فرصة وفاة النحاس .. لتبدى رأيها صريحا واعتقادها سليما فهتفت معلنة مدوية تشق بهتافها سماء مصر : «لا زعيم بعدك يا نحاس» .

فكانها بتلك الصرخات المدوية تعبر عن حرمان مكبوت فى النفوس والقلوب والمشاعر . والوجدان فكأنها تقول :

«أيتها الزعامات الباطلة اسقطى» .

«أيتها الأقنعة الزائفة انكشف الغطاء ووضح خداعك وغشك» .

«أيها المنقذ اغرقك السراب والوهم» .

«يا حبيب الملايين أمرت الفجار فزيفوها فصدقتهم وما أنت الا وليد اعلام مأجور وكاتب مأمور» .

«أيتها الخشب المسندة ستحرقك النار .. نار الحق فتصبحوا رمادا تذروه الرياح يا سرابا وأهل الحق ظمأى» .

وسألت علية وماذا بعد ذلك ؟ قالت يتهامس الناس على اعتقال عشرين ألفاً من المشيعين .

نعم لقد كانت جنازة النحاس أذان حق واعلان صدق عن سريرة مصر والمشاعر الحبيسة فى نفوس أبنائها والحرية المكبوتة .

وشدنى الحديث الى ذكريات كثيرة عن مصطفى النحاس ، ذلك الرجل الذى لم يحقد يوما على أعدائه ، وكان لا يعز عليه أن يعترف بالخطأ اذا أخطأ ، لقد كان زعيما وطنيا . وسألت محدثتى هل اعتقل أخى «سيف الغزالى» الوفدى فلم تؤكد علية ولم تنف ، وساد الصمت فظنت بى خوفا على أخى فربتت على كتفى قائلة : ياحاجة كل شئ عنده بمقدار .

لم يكن بى خوف ولكن كان انشغالى بهذه الصورة الرائعة للجنازة . فقد كانت صورة التشييع كما نقلتها لى علية تعطى اشارة صريحة وقوية الى أن نبض هذه الأمة لم يتوقف رغم كل ايحاءات أجهزة الاعلام التى خدعت الناس وبخاصة خارج مصر فظنوا الطاغوت انسانا

أو كما علقت علية – ظنوه المنقذ – ما حدث كان يعنى أنه – باذن الله – سيأتى اليوم الذى تكشف فيه الحقائق ليعلم الناس حقيقة حكامهم وما يبيعون وما يشترون ، يبيعون شعوبهم وضمائرهم ويشترون مقاعد للحكم مقابل سحق الاسلام والمسلمين ، انه لتخطيط رهيب ! وانصرفت الى غادة أسألها عن زوجها وأولادها ووالديها .

ومن بين دموعها عرفت أن الزوج هرب لاجئا الى السودان وأن الام مريضة تائهة بين سمية المريضة وهالة الرضيعة ، وأنها ما كانت لتهتم بشئ لولا الطفلتين .

هدأتها ودعوت للجميع ثم سألتها عن ضياء الطوبجى وهل تم زفافه وكان الجواب أنهم قبضوا عليه ويده فى يد عروسته والمأذون وقبضوا على عروسته وهى فى ملابس الزفاف وعلى أخته منى وأخيه الدكتور .

وهزنى نبأ القبض على الفتيات وتساءلت ما اذا كان القصد هو القبض علىّ كل من له اتصال بالاخوان ، وتدخلت علية لتقول : بل على كل من يُرى مؤديا للصلاة ، وبدأت غادة تحدثنى عن الاعتقالات والوحشية فى تفتيش المنازل ليلا ونهارا ولم أكن بحاجة إلى هذا الحديث فقد حدث هذا معى وأكثر .

قلت : أعتقد أن التتار حين حاربوا الاسلام لم يفعلوا ما فعله عبد الناصر وزبانيته ولا الرومان حين كانوا فى مصر قبل الفتح الاسلامى . لقد أنسانا الحكم الناصرى فجور المجرمين فى التاريخ الانسانى كله ، إنه مارد أصم عن سماع الحق . أعمى عن رؤية النور فلا عجب أن يجلد النساء ويسجنهن ويقتل الرجال وييتم الأطفال ويرمل النساء ! !

والحديث بمرارته وما فيه من شجون وأسى كان الواقع يحكى ذلك كله ويعكسه . والتفتت الىّ تحدق بى وتغوص بعينيها فى قدمى المتنفختين وساقى المتورمة وقالت : أظن أن دوزنا فى التعذيب قد جاء يا حاجة ، ربنا يعيننا ويصبرنا . وسآتيك بفوطة من حقيبتى أغطى بها رجليك أليس معك حقيبة ملابس يا حاجة ؟

قلت : ثمانية عشر يوما وأنا فى هذه الملابس الملوثة بدماء النزيف كما ترين يا ابنتى . وأخذت غادة تبكى وهى تنظر الى ملابسى المجمدة بالدم والصديد فوق جسمى . واقترحت على أن تغير ملابسى بما معها هى ولما رفعت الملابس الممزقة عن جسدى فوجئنا بآثار السياط تمزقه وكانت صيحة استنكار وألم عميق فهذا مما لا يمكن أن يحدث مع النساء فى نظرهما ..

وحاولت أن أخفف عنهما ما رأتا فحمدت الله على أن كان هذا فى سبيله سبحانه وتعالى لا فى سبيل أى دعوة دنيوية أو إلحادية ، حمدته على أن أكرمنا بالاسلام وحمدته على أن شرفنا بمظلة : «أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبد الله ورسوله» .

وحاولت علية بدورها أن تخفف عنى فنقلت لى أحاديثهم عنى حديث أختها السيدة خالدة الهضيبى عن أن السجن لن يضيرها بشرط أن يدعوها فيه معى فى زنزانة واحدة . لقد هزنى هذا الحديث كثيراً . ولكن لو رأت خالدة جسمى لغيرت رأيها وطلبت من الله أن يعافيها ...

ودعوته سبحانه أن يعفى جميع الأخوات وجميع المسلمين والمسلمات من جور وظلم أهل الباطل .

الطعام عبادة

وفتح باب الزنزانة فجأة فانقطع ما بيننا من حديث ودخل الشيطان الأسود وبيده ثلاثة أرغفة من الخبز و «قروانة» صفيح بها فاصوليا مسلوقة ، أخذتها منه علية ، وأغلق الباب .

كنت لا أطيق رائحة هذا الطعام ، وكانت علية حاملا ويبدو عليها الاجهاد ، وكأنها أحست بما فى نفسى فقربت الطعام منى وهى تقول : الأكل حلو يا حاجة !

وناولتنى رغيفا ، وناولت غادة رغيفا آخر وابتدأت تأكل وتبعتها غادة .

قالت علية : يجب أن آكل من أجل الضيف الذى هنا !! وأشارت الى حملها ولما رأتنى متوقفة توقفت وكذلك فعلت غادة .

قالت علية : نحن نأكل ونقول مع كل لقمة بسم الله الرحمن الرحيم .

ولم أستطع أن أبتلع الطعام . فقالت علية :

يا حاجة أنا معتقدة أنك أصبحت فى نصف وزنك طبعا من عدم الأكل وقد أصبح الأكل فى هذا الوقت عبادة ، فالجلادون سيسعدهم أن تموت زينب الغزالى ، والامتناع عن الأكل حرام .

حاولت دون جدوى أن أناقشها بأنى آكل ما يمسك على الحياة وارادة الله قد أعطتنى الصبر عن الطعام والقدرة على الاكتفاء بملعقة سلاطة ، ومازالت بى تلح حتى أكلت ، ويعلم الله أنه كان عذابا لا طعاما .

وفى صبيحة اليوم الثانى لحضور علية وغادة استطعت أن أشركهما معى فى لقائى اليومى بالمرشد العام عن طريق ثقب الباب ، وحدثتهما عما بعثه فى نفسى من طمأنينة وراحة . واستطاعت علية أن ترى أباها فى ذهابه إلى دورة المياه وايابه وكذلك غادة .

وجلسنا باقى النهار تحكى لنا فيه غادة كيف قبضوا عليها وكيف التقت بحميدة قطب بعد القبض علىّ وأبلغتنى أنهم قبضوا على آل قطب جميعا . ومرت ساعات اليوم ثقيلة بطيئة تقطع وحشتها ركعات الصلاة الجماعية .

وجاء ليل .. ليل المساومة والعذاب

وعقب صلاة العشاء فتح باب الزنزانة ودخل الشرير صفوت الروبى ومعه جندى آخر وأخذانى إلى المكتب الذى سبق أن دخلته مرتين من قبل ذلك .

وجدت رجلا يجلس على المكتب ، ألقيت عليه السلام فلم يرد وأخذت نظراته الوحشية تتفرسنى وهو يقول : أنت زينب الغزالى ؟

قلت نعم .

أشار الى مقعد أمامه لأجلس عليه ثم قال : اذن انت زينب الغزالى ! ! لماذا أسأت إلى نفسك الى هذا الحد ؟ أكل هذا لأجل الاخوان المسلمين ؟ كل واحد منهم يحاول تخليص نفسه ، وهم جميعا يرمونك أنت فى البئر وحدك . أنت صعبانة علينا ، أنا آليت على نفسى

أن أنتشلك من البئر ، وسأتفاهم معك على بعض الأمور ، تذهبين بعدها إلى البيت . ليس هذا فقط ، أنا أقول لك باسم جمال عبد الناصر : إن تم التفاهم وعقلت فسيصدر الرئيس قراراً باعادة المركز العام للسيدات المسلمات وسيرجع لك مجلتك وسيعطيك اعانة للمجلة ألفى جنيه شهريا وسيصرف لك مبلغا كبيرا للجمعية ويعيدها أحسن مما كانت ، ان تفاهمت معى سأرسل فى احضار ملابسك وبعد ساعة ستقابل جمال عبد الناصر ..

أنت صعبانة علينا والاخوان الذين أوقعوك فى داهية ، ربنا يسامحهم ، الريس قلبه كبير ! ..

كان يتكلم وأنا صامتة لا أجيب ..

فقال : ما تردى ياست زينب ؟ والله الريس ناوى يقيل حكمت أبو زيد ويعينك مكانها ، نحن نريد أن تتعاونى معنا . افتحى قلبك وقولى كل شئ وستعرفين أننى أخوك وأحب لك الخير ، وناس طيبون كثيرون فى الخارج أيضا يحبونك ويتوسطون من أجلك ، وقد قلبوا الدنيا لأجلك .

قلت : أنا لا أريد أن أكون وزيرة ولم يجل بخاطرى هذا الأمر فى يوم من الأيام ، أما جماعة السيدات والمجلة كذلك ، فقد فوضت أمرى فيهما لله ، وليس من الضرورى للمسلمين أن يعملوا تحت راية مجلة أو جماعة فهم يعملون تحت راية لا اله الا الله .

قال : اذن فلم كنتم ترتبون لاعادة الاخوان المسلمين ؟ ياست زينب ؟

قلت : نحن مختلفون فى فهم كل شئ .

أنا مثلا اعتقد أن جماعة السيدات التى أسستها ١٣٥٦ هـ ١٩٣٧ م لم تحل ، وعبد الناصر يتوهم أنه حلها باستيلائه على أموالها ودورها وممتلكاتها فالمسلمون تعقد راياتهم بيد الله ، وما يعقده الله لا يحله البشر .

وجماعة الاخوان مثل جماعة السيدات المسلمات لم تحل أيضا ، ودعوة الله ماضية فى

طريقها وكلمة الحق قائمة ، وسيفنى عبد الناصر ودولته وتبقى كلمة الله ، وعندما تنقضى آجالنا ونلقى الله سيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون .

إن دين الله قائم ، ولا تزال طائفة من أمة الاسلام قائمة على الحق مدافعة عن دين الله مجاهدة فى سبيل الله ، لا يضرهم من خالفهم حتى يأتى أمر الله وهم على ذلك .

وأدعو الله تبارك وتعالى أن نكون من الذين يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر مبينين للأمة طريقها الى الله تعالى .. هؤلاء الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر خلفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم المجددون لأمر الاسلام .

ان تأسيس جماعة الاخوان المسلمين لم يكن خبط عشواء من حسن البنا ولكنه كان تنفيذا لأمر أراده الله لتجديد هذا الدين باقامة دولته وتنفيذ شريعته ، ولذا فليس من حق جمال عبد الناصر حل جماعة الاخوان .

قلت هذا وسكت . فقال لى :

والله إنك خطيبة فعلا ، لكنى لم آتك لآخذ منك درسا فى الاخوان ولتجتذبينى لأكون واحدا منهم . أنا آتيك لأصل معك الى حل ينقذك من المصيبة التى أوقعت نفسك فيها ..

لقد رمى الاخوان كلهم المسئولية عليك ..
عبد الفتاح اسماعيل يقول : أنك انت التى جندتيه ..
الهضيبى خلص نفسه ورمى المسئولية عليك فقال : أنت أسست التنظيم ..
سيد قطب تخلص وشبكك أنت ..
أنت إما طيبة جدا أو مجنونة ..

عبد الناصر يريد أن يخلصك مما أنت فيه ، عبد الناصر (اللى البلد فى خنصره) يريد أن يسامحك عما مضى ويفتح صفحة جديدة . هو عارف انك خطيبة لك تأثير على الناس

والناس تحبك وجماهيرك كثيرة ..

أنت يا زينب خسارة وأنت ورقة رابحة ..

أهناك أحد يريد عبد الناصر أن يقربه ويرفض ؟

أنت مجنونة صحيح ! لا مؤاخذه ، أنا أقول هذا لأنى أريد مصلحتك وأنت طول عمرك تربين اليتامى وتعملين الخير ، اعقلى يا حاجة وشوفى مصلحتك واسمعى كلامى ...

قلت : ألا يكفيك ما قلت ؟

قال : أمر بسيط جدا سترين الخير بعده : أن تذكرى لى جميع أسماء الاخوان الذين كانوا يحضرون اليك فى المنزل ، والطريقة التى كانوا سيقتلون بها عبد الناصر ، ومتى أخذتم الأمر من الهضيبى بقتل الريس . كما نريد أن نعرف موقف سيد قطب وكيف أُعدت الخطة وما هى تفاصيلها ، وأنا أحلف لك برأس عبد الناصر أنك ستخرجين هذه الليلة من السجن ولتتسلمى وزارة الشئون الاجتماعية . دى فرصة لا تضيعيها ، أنا حلفت لك بشرفى وشرف الريس . اعقلى وفكرى جيدا فى مصلحتك ، كل الاخوان الآن لا يفكرون الا فى أنفسهم

وهنا دخل الحجرة رجل غليظ الجثة لا تقع عينى عليه الا ورأيت شيطانا فى وجهه .
قال : يا سيادة العقيد لقد أحضرنا كل التسجيلات التى كنا نضعها فى منزلها بالزيتون ومصر الجديدة منذ ١٩٥٨ . اذا أمرت نحضرها حتى تسمّعها لها .

قال محدثى : اذهب أنت الآن يا رياض ! ثم عاد يكلمنى قال :

شوفى يازينب ، أنا عارف ان زوجك رجل طيب وأريد أن أخدمك من أجلك وأجله ، واخوتك منهم أصدقاء لى أعزاء علّى ، أنا أريد أن أخدمك والرئيس حريص على أن تتفاهمى معنا وهو يريد خدمتك ، وأنا أعدك بشرفى وشرف الرئيس عبد الناصر أن أحرق الأشرطة أمامك اذا تفاهمنا ، نحن نريد أن نخلصك من الورطة التى أوقعك فيها الاخوان ، والله العظيم نحن مسلمون أحسن منهم ، ما هو الاسلام ؟ الاسلام أن لا يضر

الانسان أخاه ! !

قلت وكلى سخرية ، والذى تشهده هنا ، أليس اضرارا بأخيك وبالناس جميعا .
قال فى بلاهة : نحن طيبون جدا والنبى بس تفاهمى معنا وستدركين طيبتنا ..

قلت : أدعو الله أن يتوب عليكم وتكونوا مسلمين .

وهنا أخرج ورقا من درج مكتبه وأمسك بالقلم وقال : ياست زينب قولى لى من الذى كان يأتى عندك ؟

قلت : لا أتذكر لأنى لا أحفظ الأسماء ولا أسأل أحدا عن اسمه .

قال : طيب ! نترك هذا الموضوع لنعود إليه بعد قليل . نتكلم فى موضوع حسن الهضيبى وسيد قطب .

قلت : أى موضوع هذا ؟

قال : موضوع قتل عبد الناصر والاستيلاء على الحكم !

قلت : يا أستاذ ! القضية أكبر من قتل عبد الناصر والاستيلاء على الحكم ، قتل عبد الناصر أمر تافه لا يشغل المسلمين ، القضية قضية الاسلام ، الاسلام غير قائم ونحن نعمل لقيام الاسلام ونعمل على تربية نشء للاسلام . واذا كان عبد الناصر يحارب الاسلام فى أشخاص المسلمين وينكر الحكم بشريعة الاسلام مدعيا أن هذا رجعية وتعصب وتأخر فأمر لا يشغلنا .

قال : أنت مجنونة ! هذا الكلام خطير ، الا تعلمين أنك لو قتلت هنا الآن ودفنت ما علم بك أحد

الظاهر انك تستحقين ما أنت فيه ، لو تركتك الآن فستقتلين بعد ساعة .

قلت : يفعل الله ما يشاء ويختار .

ولم أكد أقول هذا حتى انقلب كالوحش الذى أخذه الصرع وأخذ يهذى فى هيستيريا

بالسب واللعن والشتم ، ثم نادى أحد الجنود وأعطاه اشارة جاء على أثرها رياض ابراهيم .

قال له : دع التسجيلات للمحكمة . هذه مجنونة ، اعرف شغلك معها وهات لها سعد

وانصرف ذلك الذى كان يساومنى . وحضر العسكرى سعد وهو يقول نعم يا باشا ،

قال له : سويها يا سعد ، وسأله سعد : كم جلدة يا باشا ؟

قال : خمسمائة جلدة ، وأنا راجع بعد قليل .

وأخذ سعد يضربنى بالسوط على يدى ورجلى وظهرى وكل مكان فى جسدى ، ثم يتركنى واقفة ووجهى للحائط ويغيب مقدار ساعة يعود بعدها لضربى بالسوط مرة أخرى . ثم جاءوا بجماعة من شباب الاخوان واخذوا يجلدونهم ويلقنونهم ألفاظا قبيحة وسبابا مشينة ليوجهوها لى . وكان الشباب يرفضون ذلك فيزيدونهم جلداً .

وكان منهم الطيار ضياء الطوبجى الذى قبض عليه يوم زفافه .

وجاء دور حمزة فى ليل المساومة !

بعد جلد شباب الاخوان وجلدى أخذونى الى حوش السجن الذى فيه زنزانتى . وأوقفنى المدعو سعد ووجهى للحائط ما يقرب من ساعة . كان البرد قارسا وآلام الركل والسياط شديدة .

وجاء حمزة البسيونى ، كنت قد بدأت أحفظ بعض الأسماء ، وكان معه رياض الذى قال : يابنت اعقلى وفكرى فى مصلحتك ، نحن لا نريد الا نفعك ، انصحها يا حمزة باشا !

حاتعقلى وتعترفى كما اعترف كل الرجال أم لا ؟ !

قلت : ليس لدى ما أعترف به ، الخير الذى كنا نجتمع من أجله هو بعث عقيدة التوحيد فى نفوس الشباب .

التفت حمزة لصفوت وكان يقف خلفه ، فقال صفوت : أوامرك يا باشا .

قال حمزة : هات لى كرسيا ولها كرسيا .

زوجها صاحبى ، ولذا سأتعب نفسى معها .

جاء الكرسى فأمرنى بالجلوس ليعرف كيف يكلمنى موضحا أنه يفعل ذلك من أجل زوجى .

حاولت أن أجلس فلم أستطعْ . كانت السياط قد أخذت من جسدى ما أعجزنى عن الجلوس .

أعاد حمزة الأمر بالجلوس فقلت : لا أستطيع ، كلمنى وأنا واقفة .

فقال لى : أنت التى فعلت هذا فى نفسك وحقّرت نفسك بهذا الشكل . لقد أصبح شكلك قبيحا وأصبحت رجلاك مثل رجلى الرجل الوحش . ان زوجك سينغم حين يراك بهذا الشكل . لقد أصبح سنك ستين سنة وزوجك صاحبى وصعبان على . انظرى الى يديك ، كأنهما يدا عمال البناء .

قال صفوت : انت بتقول يا باشا : سنها ستون سنة ، دى شكلها كما لو كان سنها مائة وعشرين سنة ، وشكلها أصبح قبيحا ، زوجها يسبها ويلعنها وستصلها ورقة الطلاق فى البريد .

قال حمزة : أنت صعبانه على ، أنا أريد أن أخدمك .

ظللت صامتة لا أتكلم بل أنظر نظرات فيها احتقار له وازدراء لما يقول ، ولا أدرى أكان يحس بهذه النظرات أم أنه كان غبيا ؟ كنت أراه غبيا جبانا .. كالحشرة الملوثة ، كان يظن أنه يخيفنى ، ولكنى كنت أحس أنه يفرق منى رعبا . هكذا كنت أحس عندما كان يهذى بتهديداته .

صرخ كالوغد يأمر صفوت أن يضع وجهى للحائط وأسرعت أنا بنفسى أنفذ الأمر وأرفع يدىّ الى أعلى . وما لبث السوط فى يد صفوت أن بدأ يهوى على ظهرى فى وحشية . ثم استدعى عسكرياً اسمه سعيد أوقفه بجانبى وبيده سوط يضرب به فى الأرض ، وجاء آخر بصفيحة زيت مغلى وضعوا فيها عددا من السياط .

وانصرف حمزة البسيونى وصفوت ، وتركوا هذا الشقى سعيد يغمس تلك السياط فى الزيت المغلى ويأمرنى أن أنظر ، ثم دخل الحوش أكثر من عشرة عساكر أخذ كل واحد منهم سوطا أخذوا يضربون بها فى الأرض ويقولون : يا بنت ال .. بنسن لك الكرابيج . وأنا لا التفت اليهم . كنت مشغولة عنهم بذكر الله ، كنت أتلو قول الله تعالى : «**الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء**» ودخل السفاح الروبى بعد فترة وقال : أخرجوا يا أولاد .

انتظرونى ، اجلنا قتلها الليلة .

وجذبنى من ذراعى وأخذنى الى الزنزانة .

عودة الى الزنزانة

فتح الباب وابتلعتنى الزنزانة . كانت علية وغادة نائمتين فجلستا رازعجهما الدم الذى ينزف من قدمى .

سألتنى علية عما فعلوه فى رجلى ، قلت : الحمد لله وطلبت منهما العودة الى النوم وأنا أردد حديث الرسول عليه السلام :

«بسم الله أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر» .

ومرت ليلتان وآلام الجلد تأخذ منى كل مأخذ وأنا أكتم آلامى داخل نفسى اشفاقا منى على علية وغادة ، وكانتا تحرصان كل الحرص على ألا تسألانى عما حدث فى تلك الليلة ولا

عن سبب استدعائى ، لقد اكتفتا بما رأتا من آثار التعذيب على جسدى وبمنظرى عند العودة .

وفى صبيحة يوم سألتنى غادة عما حدث فأسكتتها علية وشعرت أنا بأن فى سؤال غادة نذيرا بشئ جديد فانقبضت نفسى وانقضى اليوم .

وهبط ليل آخر

وبعد صلاة العشاء فتح باب الزنزانة وسدته جثة صفوت المظلمة الذى نادى بوحشية : يابنت يازينب قوى ؟ وسحبنى من يدى وهو يقول تعالى أختل توازنى وكدت أسقط ! على الأرض من شدة الاعياء .. وفى الطريق قابله رجل قال له خليل بك ينتظرك ياصفوت ! قال وهو يسب ويلعن .. أنا آخذ له البلوى دى

سأل الآخر هى دى زينب الغزالى ؟ فأجاب صفوت .. نعم هى دى زينب الغزالى .. وأخذ يسب ويلعن وأدخلنى حجرة بها مكتب عليه رجل كأن وجهه الليل المظلم المخيف .

انتفض الرجل واقفا كأن جنا مسه وقال لصفوت روح انته هات الرجل ، وتركنى واقفة وأخذ يذرع الحجرة ذهابا وايابا كالملدوغ . عاد صفوت ومعه رجل دخل وجلس على المكتب .

أخذ يقول : من أنت يا بنت ؟

قلت : زينب الغزالى الجبيلى !

قال : ولم أنت هنا ؟

قلت : لا أعلم .

قال : لازم تعرفى ، أنت هنا لأنك والهضيبى وسيد قطب وعبد الفتاح اسماعيل دبرتم لقتل جمال عبد الناصر .

قلت : لم يحدث هذا !

قال : اعتدلى فى كلامك ! .. الليلة قتل لا جلد ككل مرة ، أتعرفين من أنا ؟ أنا وحش السجن الحربى .. انت فاهمة .

قلت .. ليس هنا الا الوحوش والكلاب .. لم أر أحدا من الآدميين منذ دخلت السجن الا هؤلاء المظلومين من الاخوان حملة الأمانة وزعماء الحق ، فقام وركلنى برجله ودفعنى بكلتا يديه فأوقعنى ثم أخذ يرفصنى برجليه ثم أوقفنى وكان الضرب قد أتعبنى ، فاستندت الى الحائط ، فنظر الى وقال : لا نريد هذه الفلسفة اعتدلى وتكلمى !.. وضربنى بكلتا يديه على وجهى .. وأخذنى صفوت .. بيديه وأجلسنى على مقعد وخرج وأغلق باب الحجرة .. وبعد فترة دخل رجل وقال : «ايه يا زينب ماذا تفعلين بنفسك .. أنت تشتمين الناس وتسخرين بهم .. الريس قلبه كبير ويريد أن يخدمك ، نحن نريدك شاهدا فى القضية فقط وسنخرجك من الجريمة التى ألبسها اياك الاخوان المسلمون » .

قلت : «ليس هناك جريمة لدى الاخوان المسلمين .. الجريمة أنكم أنتم أيها الاوغاد تحكمون هذا البلد الطيب » .

قال : «أنت اما مجنونة أو حالتك النفسية سيئة سأتركك وأبعث لك من يعرف كيف يتفاهم معك » .

وتركنى وخرج ، وحمدت الله على أنه لم يأمرنى بالوقوف لشدة تعبى .

وبعد فترة دخل رجل وبيده سوط وكان ما يميزه أن حب الشباب يملأ وجهه .

قال : قفى يابت .. من أنت ؟

قلت : زينب الغزالى الجبيلى ..

قال : يا نهار أسود ، تبقى دى ليلتك الأخيرة مادمت حضرت هنا .

ودخل رجل آخر فقال للأول : أخرج أنت سأقعد معها قليلا .

هذا حرام ، دى فعلت خيرا كثيرا ، لكن أوقعها الاخوان ..

قال الأول : صحيح يا بيه لازم تكون عملت طيب لأنك لحقتها ،كان فاضل لها دقائق وعمرها ينتهى ..

قال الثانى : اذهب أنت ، سأقعد أتفاهم معها ، ماذا تريدون منها بالضبط ؟

قال الأول : الريس والمشير يريدان أن تكون شاهد ملك فى القضية وتعترف على الاخوان .. والاخوان كلهم اعترفوا يا بيه .

ثم خرج وبقى الثانى .

قال : يا زينب ما هذا الذى تعملينه فى نفسك ؟

ملابسك متقطعة ومتبهدلة ..

ثم جلس على المكتب وهو يقول : «أنت باين عليك الاعياء خالص .. تقدرى تجاوبى على أسئلتى ، أو نتفاهم غدا ؟»

لم أجبه .. قال : «أنا كنت مع أخيك عبد المنعم وسيف ومع زوجك هذا الصباح .. زوجك رجل طيب جدا وأنت صعبانة عليه قوى .. وأنا أريد اخراجك من هذه القضية ، وموضوع انك تصبحين شاهدة ملك موضوع جيد جدا .. »

ثم نادى صفوت وأمره أن يأخذنى الى الزنزانة لأنام وأرتاح وأفكر لنلتقى غدا .. وأخذنى صفوت ..

استراحة قصيرة

وابتلعتنى الزانزانة ، وكانت علية وغادة نائمتين ، وتنبهت علية الى دخولى فقالت أجئت يا حاجة ؟ قلت : الحمد لله .

حاولت أن أنام فلم أستطع .. وأذّن الفجر فصلينا ، وأخذت غادة تسألنى عما حدث .

قلت : الأمر لله ، أدعو الله أن يثبتنا على الحق ، انهم يريدونها فتنة ، انهم يطلبون

منى المستحيل ، قالت عليه : ربنا يعينك ياحاجة ، وأعادت غادة السؤال عن تفصيل ما حدث .. فلم أحدثها .. كنت متعبة وكان على أن أهيئ نفسى للقاء الليلة الآتية .. وفهمت علية ذلك فأسكتت غادة وانقضى النهار .

وما أقسى الليل

وجاء الليل الذى أصبحت أخافه وأخشاه ، وأخذت علية وغادة تدعوان لى وللاخوان جميعا ، وفتحت الزنزانة وأخذت ولكنى وجدت رجلا آخر لم أره من قبل ومعه صفوت ذهبا بى الى مكاتب التعذيب .

أمر الرجل صفوت بالانصراف وأمرنى بالجلوس على مقعد بجوار المكتب .

ثم بدأ حديثه قائلا :

ياست زينب أنت أتعبت الناس الذين يريدون خدمتك ، وأنا اليوم مقطوع لخدمتك وأرجو أن يعيننى ربنا وتنهدى بالله وتتركى حكاية الاخوان المسلمين وكفاية انهم أوقفوك هذا الموقف الحرج .. أنت مخدوعة فيهم ، فاكرة أنهم صحيح يريدون الإسلام ، هؤلاء طلاب حكم ، نحن نريد أن تفتحى لنا قلبك . الهضيبى قال كلاما معناه الحكم عليك بالاعدام وأيدّه سيد قطب فى ذلك .. نحن لا نصدق كلامهم ونريد اخراجك من القضية نهائيا واعتبارك شاهد ملك .. كما نريد أن تذهبى الآن الى منزلك وعندما نحتاج ليك فى الشهادة نرسل لك أو نذهب نحن اليك فى منزلك ، اذا وافقت على هذا ستقابلين المشير عامر والرئيس عبد الناصر وسيصدر قرار من الرئيس بالغاء قرار حل جماعة السيدات ، وقرار باعادة صدور المجلة ، ليس هذا فحسب بل ان الرئيس ينوى أن يعطيك مركزا كبيرا فى الدولة يجعلك صاحبة السيطرة على كل الجمعيات فى الجمهورية .. وكفى ما حدث لك من غدر الاخوان .. كل المصائب يريدون وضعها على رأسك ليخرجوا هم سالمين » ...

كان يتحدث وأنا صامته لا أنطق بكلمة ، وكان وهو يتحدث يتفرس فى ملامحى .

ثم دق جرسا على المكتب دخل بعده صفوت فطلب لنفسه شايا ثم التفت الىّ يقول : أنت تشربين القهوة فهل أطلب لك فنجان قهوة .

فقلت «شكرا .. لا أريد شيئا .. » .

قال «اسمعى يا زينب ، سأعطيك ورقا وقلما ، أكتبى فيه كل ما اتفقنا عليه

فقلت «اننا لم نتفق على شئ ، ولا أدرى ماذا أكتب .. !! » .

قال وهو يناولنى الورقة والقلم «أنت للآن لم تستطيعى أن تقدرى مصلحتك .. الرئيس جمال يريد خدمتك ، ويريد اخراجك من القضية !! » .

قلت «أى قضية ؟ !! ناس اجتمعوا ليدرسوا دينهم ، ويتفقهوا فيه .. هل هذه قضية أو جريمة ؟ !! الأولى بالرئيس وبالمشير أن يحاكما الذين ينشرون التسيب الاخلاقى ، والانحلال ، بل والتسيب الالحادى .. وينشرون الفساد فى كل مكان .. اذا كتبت فسأكتب الحقيقة الواقعة فى هذا البلد المسكين .. الحق الذى أعلمه سأكتبه !! » .

قال «أنا عارف انك سيدة فاضلة على علم ، وعقلك كبير ، ولن ترتضى أن تزيدى موقفك سوءا أكثر مما أنت فيه !! .. أنا سأتركك مع الورق والقلم .. قبل الكتابة ، ضعى أمام عينيك أن الرئيس يريد اخراجك من القضية .. القضية وضحت معالمها تماما .. الهضيبى وسيد قطب كانا يدبران لاغتيال عبد الناصر والاستيلاء على الحكم ، ويقولان ان زينب الغزالى هى التى كانت تدبر ، وتخطط ، يريدان القاء كل المسئولية فوق رأسك ويلتمسان البراءة لهما فقط ، بل أنهما يقولان انك أنت السبب فى كل ما حدث وأنت التى سببت لهما الأذى والضرر .. أكتبى .. أكتبى .. لكن فكرى طويلا فى موقفك وموقف الاخوان منك .. انهم يريدون الصاق القضية كلها بك ، واخراج أنفسهم منها .. اننا نعرف أنهم حرضوك ثم تخلوا عنك .. هل هذه شجاعة ؟ !! انها نذالة » ..

وتركنى وحدى مع الورق والقلم .. وآه من الورق والقلم مع سجين فى زنزانة !! .. وكتبت «... كنا نجتمع مع شباب الاخوان ندرس فى كتب الفقه والسنّة والحديث والتفسير ، كنا ندرس كتاب المحلى لابن حزم ، وزاد المعاد لابن القيم ، والترغيب والترهيب للحافظ المنذرى ، وفى ظلال القرآن لسيد قطب ، وملازم من كتاب معالم

الطريق .. كنا ندرس سيرة الرسول والصحابة ، وكيف قامت الدعوة الاسلامية .. وكان ذلك باذن وارشاد الاستاذ الهضيبي .. كان الغرض من الدراسة هو ايجاد لبنات سليمة من الشباب المسلم ، علّنا نستطيع اعادة مجد الاسلام وقيام أمته الفعالة فى الأرض . وبعد دراسة طويلة قررنا أن نعيد تنظيم الاخوان المسلمين فى كل مواقعها ، وان نعمل بدأب ، ومثابرة على جمع كل من نستطيع من لبنات صالحة من شباب الأمة الضائع فى المجتمع الجاهلى المحيط بالبشرية كلها ! ! وقررنا أن يستغرق هذا العمل ثلاثة عشر عاما ، بعدها نقوم بمسح للجمهورية فان وجدنا الفئة المؤمنة بمبادئ الاسلام تقل نسبتهم عن ٢٥٪ جددنا فترة الدراسة المصحوبة بالتربية ، لثلاثة عشر عاما أخرى ، ثم نعيد التقييم ثانية ، وثالثة ، ورابعة حتى تصل النسبة ٧٥٪ من مجموع الشعب .. عندها ننادى بالدولة الاسلامية .. فماذا يخيف عبد الناصر ، وماذا يخيفكم أيها الحاكمون ؟ ربما تمضى أجيال قبل أن يتحقق هذا الذى نرجوه ، فما الذى يخيفكم ؟ ! ! ليس فى حسابنا – بالمرة – قتل عبد الناصر ، فقتله ليس أمرا واردا فى قضيتنا .. القضية أكبر من قتل شخص أو أشخاص وفكرة القتل مرفوضة ولكنكم تتعللون بها لتقتلوا المؤمنين .. ! ! من الذى أمركم بتعذيبنا وقتلنا ، الصهيونية أم الشيوعية ؟ ! !

ان الأمر الذى ترتعد منه الشيوعية الملحدة ، ويخيف الغرب المنحرف ، المرتد عن مسيحيته ، ان الأمر الذى ترتجف منه الصهيونية العالمية ويجعلها لا تنام ، ولا تهدأ ، الأمر الذى يرعب كل هؤلاء جميعا ، هو عودة الاسلام بعقائده وشرائعه ومعاملاته الى المسلمين .. ! ! نعم عودة الاسلام تقلق كل هؤلاء ولذلك هم يتربصون بنا ، ويتجسسون علينا ، ثم يأمرون عملاءهم بالقضاء على المؤمنين .. ولكن الله متم نوره ، ومخزى الكافرين .. ان قتلتمونا اليوم ، فسيأتى من بعدنا من يرفع راية الاسلام ، أما مجلة السيدات المسلمات ، أو المركز العام للسيدات المسلمات ، أو الدنيا كلها اذا جاءتنا لتكون لغير الله ، فنحن نرفضها ولا نريدها .. اننا لا نطلب الا الله ، وطريقه ، وشريعته » وذيلت هذه الكلمات بتوقيع « زينب الغزالى الجبيلى » ! ! ..

ودخل صفوت الروبى وطلب منى الأوراق ، فأعطيتها له وخرج .. ومرت فترة ، عاد الى الرجل الذى كان أعطانى الأوراق والقلم ، ومعه أوراق – ليست هى التى كتبتها – ثم

مزقها وقذفني بها فى وجهى ليوهمنى بأنه مزق ما كتبت !! .. وقال لصفوت «خذوها يا صفوت .. انها لا تستحق الا الاعدام كما قرروا .. أنا كنت أريد أن أخدمها ، لكنها رفضت يدى الممدودة اليها .. دعهم يعدمونها !!» .. وانصرف ..

وتناولنى الشيطان صفوت ، وأخذ يضربنى ضربا وحشيا ، بيديه ، وقدميه ، وأغلق باب الزنزانة ..!!

اننى فى دهشة – بل فى حيرة – ان كانوا يقولون ويزعمون أن القضية وضحت كل معالمها ، وتكشفت كل عناصرها ، فلماذا لم يقدمونى الى المحاكمة العلنية ، ولا داعى للترغيب والترهيب و.. التعذيب ؟ !! أم أن القضية هى الموت البطئ تنفيذا لمخطط مرسوم

حقا لقد وضحت القضية ، ووضحت كل معالمها ، وتكشفت كل عناصرها ، بل وبان هدفها والغرض منها .. انهم يريدونها جاهلية .. جاهلية !!

الفتنة فى حقيبة ملابس .. وخطاب من عبد الناصر

أغلق باب الزنزانة ، فانتقلت الى عالم آخر .. !! كان الارهاق ، والجهد ، والألم قد سطر كل منها سطورا عميقة فى نفسى وجسدى !! .. وتكورتُ فى مكانى ، أحاول النوم ، فلم أستطع ، فقد كنت كأننى أتقلب على مسامير محمية .. فالسياط والركل والصفع قد مزقت جسمى ، والسب بأبشع الألفاظ وأقذرها قد مزق نفسى .. !!

وهكذا ظللت أتقلب حتى سمعت أذان الفجر ، فاستيقظت علية ، وغادة . وتيممنا وأدينا الصلاة .. كان حالى يغنى عن أى سؤال فنظرت الىّ علية وقالت : «الدكتور أعطانى حبوبا مهدئة ، أتأخذين قرصا يا حاجة ؟ !!»

قلت : «لا بأس ، يا علية !!»

تناولت القرص ، واستسلمت للنوم .. ولكن هيهات للنوم ان يجمع أشلاء جسد ممزق ، وشتات نفس ممزقة !! ففزعنا الى الله .. نقرأ القرآن ، ونصلى ما استطعنا .. كانت

غادة تحفر على حائط الزنزانة تاريخ كل يوم منذ مجيئها الى السجن .. قالت : «اليوم ٨ أكتوبر» . فقلت : «ربنا يفوته على خير .. »

قالت علية : «ان شاء الله .. »

وفى الضحى ، فتحت الزنزانة ، وظهر صفوت ومعه جنديان يحملان حقيبة كبيرة . عرفت من النظرة الأولى أنها من منزلى !!

فتح صفوت الحقيبة وهو ينادى : «يا زينب ! هذه ملابس طلبناها لك من البيت

وأخذ يخرج ما فى الحقيبة ويعرضه علىّ ثم أعاد ما أخرجه الى الحقيبة ثانية وأقفلها .. كانت الحقيبة كأنها أعدت لرحلة طويلة .. فسألته «من طلب كل هذه الملابس ، ومن أحضرها ؟»

فقال صفوت : نحن طلبناها ، وأختك حياة أحضرتها ..

ثم أمر الجنديين ، بالانصراف بالحقيبة !! .. ولبث قليلا ثم أغلق الزنزانة !!

انصرف الزبانية ، فأغمضت عينىّ ، ورحت فى اغماءة شديدة على أثرها هرعت الى علية وغادة تدلكان يدىّ ، وقدمىّ ، تحاولان افاقتى ، وأخذتا تهونان علىّ الأمر «يا حاجة الأمر بسيط .. هم اعتقدوا انك محتاجة الى ملابس فطلبوها .. الأمر بسيط وعادى جدا .. »

قلت : «لا يا علية انها مصيبة كبيرة !! »

فقالت علية : «لماذا يا حاجة ؟ ! انهم رأوا ثيابك قد تمزقت ، وأنك فى حاجة الى ملابس . »

فقلت : «لا لا يا علية ، هذه فتنة !! لماذا أنا بالذات التى تأتيها ملابس ؟ ، انى منقبضة وغير مستريحة الى هذا .. انى مقبلة على اختبار أكبر مما أنا فيه !! »

وأخذت أدعو الله أن يثبتنى على الحق .

وانتظمنا فى صلاة العصر ، ونحن فى الركعة الأخيرة ، دخل صفوت وجذبنى بوحشية وقال : « تعالى معى !! » وأغلق الزنزانة على غادة وعلية .

سار بى الى آخر الممر ، ثم قذفنى فى زنزانة حالكة الظلام ، كريهة الرائحة ، رطبة ، تمرح فيها فئران متوحشة !!

جلست فى رعب شديد ، وجسمى يرتعد من شدة البرد ، وبرودة الأسفلت بقسوة ، وظلمة الزنزانة تضاعف خوفى ورعبى وآلامى ! ولجأت الى الله ، لأتغلب على هذه الظروف ، فتيممت وأخذت أصلى وأصلى وأناجى ربى .. !! ألا بذكر الله تطمئن القلوب »

وفجأة أضئ النور ، ودخل صفوت ومد يده قائلا : « اقرئى هذا الخطاب يا بنت ! نظرت فى الخطاب .. فوجدت مكتوبا فى أعلاه « مكتب رئيس الجمهورية » ثم مكتوب فى صلبه بالآلة الكاتبة — « بأمر جمال عبد الناصر رئيس الجمهورية تعذّب زينب الغزالى الجبيلى فوق تعذيب الرجال ! » التوقيع ، جمال عبد الناصر رئيس الجمهورية » ومختوم بخاتم شعار الدولة الخاص برئاسة الجمهورية .. قرأت الخطاب ثم أعدته الى صفوت قائلة : « الله أكبر منكم جميعا .. نحن معنا الله .. »

أخذ يرمينى بنظرات شرسة ويقذف من فمه بقذارات من السب المقذع .. ولم أنطق بكلمة واحدة ، فأغلق الزنزانة .

بعد فترة قصيرة سمعت صفوت يصيح بأعلى صوته « انتباه » !! وفتحت الزنزانة ودخل حمزة البسيونى تتراقص الشياطين فى عينيه وقال : « آخر فرصة لك .. ساعة واحدة ، فكرى فيها جيدا ، وقدرى مصلحتك .. لقد أحضرت لك ثيابا لتقابلى المشير عبد الحكيم عامر والرئيس جمال ، ثم يتغيّر موقفك فى القضية » ونظر الى صفوت قائلا : « اقرأ عليها الخطاب يا صفوت !! » . فرفع صفوت عقيرته وقرأ « بأمر جمال عبد الناصر ، رئيس

الجمهورية ، تعذّب زينب الغزالى الجبيلى فوق تعذيب الرجال » امضاء جمال عبد الناصر .. أخذ حمزة البسيونى الخطاب من صفوت وقال وهو يناوله لى : «خذى ، خذى يا مجنونة الخطاب واعرفى ما فيه جيدا .. » .

فقلت له : «لقد قرأته !! » .

فقال : «اقرئيه مرة أخرى » ، ثم اتجه الى صفوت وقال أين السوط يا صفوت ؟ !! فأخذت الخطاب وقرأته ، ثم قذفت به الى الأرض وقلت له : «ربنا أكبر منكم يا فجرة .. اخرجوا يا كفرة !! » .

نادى حمزة البسيونى على بعض الجنود خارج الزنزانة ، فدخل جندى يحمل حقيبة الملابس ، وقال فى وحشية «سنمنحك فرصة لمدة ساعة .. وهذه ملابسك .. فكرى جيدا ولمصلحتك فقط .. حل المشكلة فى يدك أنت !! » ثم اغلقوا الزنزانة ، وانصرفوا ، أخذت استغفر الله وأدعوه الثبات على الحق .

ومضت الساعة الممنوحة لى ، فدق أذنى صوت صفوت «انتباه !! » ثم دخل حمزة البسيونى ونظر الىّ ثم قال «ألم ترتدى ثيابك ؟ !! أتريدين الموت ؟ ! » .

«لا بأس ! لقد بعت نفسك !! حسنا ، خذها يا صفوت بنت الـ .. تريد أن تقدم نفسها فداء لسيد قطب والهضيبى .. انهم يريدون التخلص منها ويخرجون هم أبرياء

جذبنى صفوت بعنف ، وخرج بى من الزنزانة ، وسار بى فى الممر ، وأثناء مرورى على زنزانتى ، قلت «الله أكبر» بصوت مرتفع حتى تسمع «علية وغادة » فكنت أعتقد أنها اللحظة الأخيرة فى حياتى ، كما قال حمزة البسيونى !! .

الباب الرابع

مع شمس بدران

زنزانة الماء !!! والجريمة

واستمر صفوت فى سيره حتى مكتب ضابط يدعى هانى وأخذنى هانى الى مكتب شمس بدران .. !! .

شمس بدران ، وما ادراك ما شمس بدران !! انه وحش غريب عن الانسانية وأكثر وحشية من وحوش الغاب !! انه أسطورة فى التعذيب والقسوة !! كان ينطلق فى لذة غريبة يضرب الموحدين المؤمنين ، بأعنف ما يمكن أن يتصوره العقل البشرى ، ظنا منه أن القسوة ، والعنف فى التعذيب يرد المسلمين عن دينهم ، وعقيدتهم !! وقد خاب ظنه ..

وسألنى شمس بدران ، فى غطرسة كأنه جامع رقاب الخلق بين أصابعه . هو انت بقى ست زينب الغزالى ؟ ! قلت : نعم !

كان مكتب حمزة البسيونى يتصل بمكتب شمس ، وكان يقف خلفى الجلاد صفوت الروبى واثنان آخران وبيد كل منهم سوط كأنه لسان من لهب !! .

قال شمس بدران وهو مازال فى غطرسته ، «يا بنت يازينب ! خلى بالك وتكلمى بعقل وشوفى فين مصلحتك خلينا نخلص منك ، ونشوف غيرك والا بعزة «عبد الناصر» ، أجعل السياط تمزقك . قلت: «يفعل الله ما يشاء ويختار»

فقال : «ما هذه الرطانة العجيبة يا بنت .. ؟!» فلم أرد عليه فقال : «ما هى صلتك بسيد قطب والهضيبى ؟» .

قلت فى هدوء : «أخوة فى الاسلام» .

فقال ، فى استنكار بليد : «أخوة ماذا ؟» .

فأعدت : «أخوة فى الاسلام» .

فقال «ما مهنة سيد قطب ؟» .

قلت «الاستاذ الامام سيد قطب مجاهد فى سبيل الله ، ومفسر لكتاب الله ، ومجدد ومجتهد» .

فقال فى بلادة : ما معنى هذا الكلام ؟ .

فقلت وأنا أضغط على مخارج الألفاظ تأكيدا لها معناه ، أن الأستاذ سيد قطب زعيم ، ومصلح ، وكاتب اسلامى ، بل من أعظم الكتاب الاسلاميين ، ووارث محمدى .

وباشارة من أصبعه انهال علىّ الزبانية ، وقال هو : ايه ياست ؟

ولم أجبه — قال : ومهنة الهضيبى ايه كمان ؟ .

فقلت «الاستاذ الامام حسن الهضيبى ، امام مبايع من المسلمين المنتمين لجماعة الاخوان المسلمين ، الملترمين بتنفيذ أحكام الشريعة ، والمجاهدين فى سبيل الله ، حتى تعود الأمة الاسلامية كلها الى كتاب الله ، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم» . وما فرغت من كلامى حتى عاود الزبانية التعذيب بالسوط ! .

فقال «هراء ، وكلام فارغ .. ما هذا يابنت الـ ..» .

وقال حسن خليل «دعها يا باشا .. توجد نقطة مهمة !!» ثم تقدم الى وأمسكنى من ذراعى وقال «هل قرأت كتاب «معالم الطريق لسيد قطب ؟» فقلت «نعم قرأته» .

فقال رجل آخر من الجالسين — وكان يدخل بعض الضباط أثناء الاستجواب ويجلسون

للمشاركة فى الاستجواب من جهة ، ومن جهة أخرى كنوع من الارهاب ممكن تعطينا موجزا لهذا الكتاب ؟ .

فقلت « بسم الله الرحمن الرحيم ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، .. » .

فقاطعنى شمس بدران فى صفاقة غريبة : أنت واقفة على منبر مسجد يا بنت الـ ؟! إننا فى كنيسة يا أولاد الـ !! » .

وقال حسن خليل : معذورة يا باشا .. أكملى يا زينب ، ماذا فهمت من كتاب معالم فى الطريق ؟ .

فقلت : كتاب معالم فى الطريق للامام المجتهد ، المفسر ، سيد قطب يدعو المسلمين لمراجعة أنفسهم مع كتاب الله ، وسنة رسول الله ، وتصحيح تصورهم لعقيدة التوحيد . فاذا وجدوا أنفسهم — وهذا هو الواقع الآن — منقطعين عن كتاب الله ، وسنة رسوله ، سارعوا بالتوبة ، وعادوا الى دينهم وكتابهم ، وسنة رسولهم . ثم يدعوهم للمفاصلة بينهم ، وبين الجاهلية المتفشية فى الأمة ، فطمست وضوح الرؤية فى فهم القرآن ، وتصور أوامره تصوراً سليما . فاذا راجعت الأمة الكتاب ومراميه ، ومقاصده ، والتزمت بدينها صحت عقيدتها . فالسيد قطب يرى ضرورة تبصير الأمة بمراجعة عقيدتها لتقرر صدقا ، من قلبها وضميرها ، أنها ملتزمة بكل ما تكلفها به شهادة أن لا اله الا الله ، وأن محمدا رسول الله ..

ولزمت الصمت بضع لحظات ، فقال حسن خليل فى تهكم أبله « انها خطيبة » .

وقال آخر « انها كاتبة كذلك » . وأخرج مجموعة من مجلة السيدات المسلمات كانوا قد استولوا عليها مع الكتب يوم القبض علىّ ، وأخذ يقرأ منها بعض جمل من مقال افتتاحى لأحد اعداد المجلة . لكن شمس بدران قاطعه ونظر الى الحيوانات المفترسة التى تحيط به ، وقال فى جاهلية : أنا لم أفهم شيئا مما قالته هذه البنت !! فنزل على الزبانية بسياطهم :

قائلين وضّحي يا بت للباشا

فقال حسن خليل ويبدو وكأنه ينسج شبكة لاصطيادى : لا بأس يا باشا .. لحظة أخرى .. ثم قال لى : أريد أن أفهم معنى ما تلزم به لا اله الا الله محمد رسول الله » .

فقلت : ان محمدا صلى الله عليه وسلم ، جاء ليخرج البشرية كلها من عبادة البشر ، وعبادة الوثن ، الى عبادة الله وحده ، وهذا معنى لا اله الا الله . وأما معنى « محمدا عبده ورسوله ، فكل ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم من الوحى ، وهو القرآن الكريم والسنة الصحيحة ، هو حق واجب التنفيذ اعتقادا وعملا ، وهذا هو التصور السليم لكلمة التوحيد » ! !

فقال شمس بدران وقد أخذته العزة بالأثم « كفى سخافات ! » ثم نزل علىّ وحوشهم بالكرابيج .

وقال حسن خليل وكأنه يحكم الحبال حول عنقى — كما يتصور — « لحظات أخرى ياباشا — من أجلى .

ونظر الىّ وقال : هل نحن مسلمون أم كفار ؟ !! .

قلت : اعرض نفسك على كتاب الله وسنة رسوله ، وستعرف أين أنت من الاسلام

فقال شمس بدران « يابنت الـ .. » وانطلقت القاذورات من فمه تكشف أخلاقيات هذا المخلوق العجيب !! أما أنا فلم أرد ، من هول السياط . وبدأ شمس بدران يمارس عملية وحش الغاب المفترس .. ان غابة عبد الناصر لا تعرف تقاليد أو عادات ، بل تسودها جاهلية حمقاء ، يظلها طغيان أهوج ، وتسرح فى دروبها ذئاب خبيثة جائعة الى نهش البشر !! .

نظر شمس بدران الى صفوت وقال : علقها يا صفوت الضرب ده مش نافع !! .

فخرج صفوت وأتى بعامود غليظ من الحديد وقاعدتين من الخشب ، وجاء ثلاثة من الزبانية يحمل كل منهم سوطا . وأعدوا الآلة ليعلقونى عليها ، فقلت لهم «أعطونى بنطلونا من فضلكم .. أرجوكم !!» .

فقال حسن خليل لشمس بدران «لا بأس يا باشا» ، فقال شمس بدران «هاتوا لها بنطلونا» . وفى سرعة عجيبة أحضر أحدالجنود بنطلونا كأنما انتزعه من تحت رجليه !!

وقال حسن خليل لشمس بدران «عفوا يا باشا» ثم التفت الى وقال «ادخلى هذه الحجرة البسى فيها البنطلون ..» .

كانت حجرة فاخرة الأثاث ، مكيفة الهواء ، بها جهاز تليفزيون وجهاز راديو !! ولبست البنطلون وخرجت اليهم !! وعلقت بأمر شمس بدران فى هذه الحديدة .. ولا أدرى كيف ربطوا يدى مع رجلى ، ولا كيف علقت .. !!

ويخرج الأمر من فم شمس بدران كضابط عظيم فى ساحة الوغى : اجلدها يا صفوت خمسمائة جلدة !! .

وتنهال السياط تسطر على قدمى وجسدى أبشع ما عرفته الجاهلية من قسوة وحيوانية .. ويشتد الجلد .. ويشتد الألم ، ويعز علىّ أن أضعف أمام هؤلاء الوحوش ، احتملت ، احتملت وأنا أضرع الى الله فى سرى .

ويتضاعف الألم ، ويتضاعف ، ولما فاض الكيل ، ولم يعد لى طاقة على الكتمان ، علا صوتى يرفع شكواى للذى يعلم السر وأخفى . أخذت أردد الاسم الأعظم : يا الله .. يا الله والسياط تشق فى قدمى مجارى الألم ، وفى قلبى ومشاعرى مجارى الرضا ، والتعلق بالله .. !! حتى فقدت الوعى . ولم أشعر بنفسى ، ورقدت جثة هامدة فوق الأرض وهم يحاولون تنبيهى ويحاولون ايقافى فلا أستطيع ، فكلما وقفت سقطت .

كان الألم فوق الاحتمال والدم ينزف من قدمى ويأمر شمس بدران صفوت بايقافى . كنت فى غاية الألم والجهد فحاولت أن استند الى الحائط فيبعدنى صفوت عن الحائط

بسوطه !! . فأقول لهم دعونى أجلس على الأرض فيقول شمس بدران لا .. لا .. أين ربك ؟ أدعيه لينقذك من يدى .. نادى عبد الناصر وانظرى ماذا يحدث .. ولم أرد عليه ، فيستمر فى جاهليته : ردى علىّ ! اين ربكم ؟ !! فلزمت الصمت فقال : ردى !! .

فقلت بصوت خافت لشدة ما أنا فيه « الله سبحانه الفعال ذو القوة المتين » وأخرجونى من مكتب شمس بدران الى المستشفى .

زنزانة الماء .. !!

خرجت من مكتب شمس بدران .. وتنفست الصعداء ، فانى أتلهف الى الراحة .. وأكاد أشعر أن أعضائى تتمزق !! .. وسرت مع جلادى صفوت الروبى الى حيث يريد أن يسوقنى !! .. وماكدت أشرف على نهاية الممر حتى نادى حسن خليل بكلمات كأنها الحمم تخرج من بركان ثائر : ارجع يا صفوت ، الباشا يريد زينب مرة أخرى !! .

ومرة أخرى دخلت مكتب شمس بدران ، وكانت المفاجأة !! اذ رأيت حميدة قطب أمامى .. !! عرفتها ، وهى لم تعرفنى ، فالسياط ، والكلاب ، والاجهاد ، والجوع ، والعطش ، والتمزق فى جسدى .. كل هذا قد غير ملامحى وغير صورتى !! .

وسأل شمس بدران الابنة الفاضلة حميدة قطب : هل هذه زينب الغزالى ؟ فدققت حميدة النظر وأجابت نعم هى .. كنت فى قمة الاجهاد والألم ، فلم أتابع الأسئلة التى كانت توجه الى حميدة قطب ، أو التى كانت توجه الىّ .. وفهمت من كل الأسئلة التى كانت توجه ، أن شمس بدران يسأل عن الأخت الفاضلة فاطمة عيسى ، التى كانت تنزل فى زنزانة . مقابلة لزنزانتى . أخذت الابنة حميدة قطب تجيب على أسئلة شمس بدران الذى أمر بخروجى .

وماكدت أخرج حتى سقطت على الأرض . فأمر صفوت جنديا أن ينادى الممرض عبد المعبود ، حضر عبد المعبود ومعه زجاجة نزع غطاءها . ومررها أمام أنفى ، فأفقت ،

ثم أوقفونى .. وأمرنى الجلاد صفوت بالسير . بل وأخذ يستحثنى بسوطه لأسرع الخطا !!
فأسقط على الأرض . فيأمرنى بالوقوف والسير ، وسوطه المجنون يصب على جسدى المكدود
نارا حامية !! وهكذا قطعت الممر أسير فأسقط ، ثم أنهض لأسير فأسقط ، وسوط الجلاد
المجنون لا يرحم !! يا الهى !! هل هذا انسان ، أم مخلوق آخر يمشى على رجلين وسوط

وسمعت صوتا ينادى : دخلها يا صفوت سجن رقم (٥) وصوتا آخر ينادى : اذهب
بها الى الماء يا صفوت !! » أدخلنى صفوت سجنا وأمرنى بالجلوس على الأرض . ثم أمر
الجندى التمورجى عبد المعبود أن يضمد جراحى .. !!

وفتح باب زنزانة ، فرأيت خلف الباب سدا حديديا يرتفع لأكثر من متر .

أمرنى صفوت أن أخلع ملابسى وأن أقفز هذا السد الحديدى ! جمّدنى الخوف
ووجدت نفسى لا أقوى على الحركة فلم أتقدم شبرا واحدا .

وتركزت عيناى على بئر من الماء خلف السد .

وجمعت كل قوتى فى فمى وقلت لصفوت : لن أخلع ملابسى أبدا !! .

فقال فى جاهلية ماجنة عابثة : ستنزلين الماء بثوب واحد ...

فقلت : أنا لابسة جلبابا واحدا .

فقال صفوت فى غرور : سأمزقه !! .. ومزق جلبابى الأوحد بمشرطة شرائح !! ..
وقال : اخلعى البنطلون يا بنت الـ .. البنطلون خسارة وأنت ستموتين بعد ساعة !! .

قلت : عندما أدخل الحجرة سأعطيك البنطلون ...

فقال فى صلف وحماقة : حجرة ايه يا بنت الـ .. اننا سنقذفك فى البئر ونخلص منك

قلت : اذن ، أدر ظهرك لأخلع البنطلون ...

وأدار صفوت ظهره ، وخلعت البنطلون الذى أعطوه لى عندما جلدونى فى مكتب شمس بدران !! .

ووقفت فى الثوب الممزق ، لا أدرى ماذا أفعل .. !! وعندما أمرنى صفوت أن أقفز الى الماء امتنعت وقلت : لا ، أنا لا أرمى نفسى فى الماء أبدا اذا كنتم مصرين على قتلى فتحملوا أنتم مسئولية هذا الأمر .. أما أنا فلن أنتحر أبدا ...

كنت أعتقد أنهم قد اعتزموا قتلى والخلاص منى حقا ، فظروف الحال كانت تؤكد عندى هذا الاعتقاد .. فالغلظة والفظاظة التى فاقت كل تصور والبئر التى أمامى والتى يطلبون منى أقفز فيها .. كل هذا أكّد عندى أن النية اتجهت فعلا الى قتلى !! فليرمونى اذا شاءوا فى البئر فالموت فى سبيل الله أسمى أمانىّ .. ومرحى بالشهادة فى سبيلك يا الهى .

وجاء الزبانية يسوقوننى بسياطهم لأقفز الى الماء فأمتنع ، فترتفع جاهليتهم ، وتزداد حمية سياطهم فأسقط على الأرض ، فقد كان العذاب فوق طاقتى بكثير .. ويهرع الى صفوت ، والجندى سعد ، وجندى ثالث يدعى سامبو ، هكذا سمعتهم ينادونه ، وحملنى الثلاثة وقذفوا بى الى البئر !! .

وأفتح عينى فاذا بى أقف على أرض صلبة !! .. وعرفت أن الماء لم يكن بئرا وانما هو زنزانة من الماء .. !! .. فأتجه الى الله سبحانه وأقول : باسمك اللهم ، سلمت لك أمرى ، وأنا أمتك ، وعلى عهدك ما استطعت .. ألبسنى أردية حبك ، وأغدق على من صبرك يا الله .

.. ويريد صفوت أن يزيد طوفان العذاب فيقول ، وسوطه ينزل على جسدى حسبما اتفق : اقعدى يا بنت الـ .. !! .

فأقول : كيف أقعد فى هذا الماء ؟ ان هذا مستحيل ...

فيقول الجلاد بلسانه وسوطه : اجلسى كما تجلسين فى الصلاة .. أظن تعرفين هذا جيدا .. أرينا مهارتك واقعدى .. انك لم ترى شيئا بعد .. فما زال فى جعبة أبى خالد الكثير ..

جمال عبد الناصر فقط هو الذى يعرف كيف يتعامل مع الاخوان المسلمين .. هيا اجلسى يا بنت الـ ..) .

وجلست فصارت المياه الى أسفل ذقنى ، وقال صفوت : اياك أن تتحركى ولو حركة واحدة .. جمال عبد الناصر أمر بجلدك كل يوم ألف جلدة بالسوط .. على كل حال أحب أعرفك التسعيرة هنا .. الحركة بعشرة سياط !! .

لشدة الهول ، نسيت أقدامى الممزقة ، بل نسيت كل كيانى . غير أن المياه أخذت تفعل بالجراح ما لم أستطع وصفه من آلام لولا عناية الله ما احتملتها .. وشغلتنى آلامى عن صفوت ، وسعد ، وسامبو ، ولكن أعادنى صفوت بسوطه الى الواقع الكثيف المرارة ! .

وقال صفوت : اعلمى — يا حلوة — لو نمت فالسوط يوقظك . هذه الجلسة فقط .. نعم تجلسين هكذا .. هل ترين الفتحة المحفورة بالباب ؟ انها للمراقبة .. اذا وقفت ، أو نمت أو حركت يدك أو رجلك فالسياط موجودة ومستعدة .. اننا وضعناك فى وسط الحجرة ، فاياك تفكرين أن تزحفى لتسندى رأسك مثلا الى الحائط ، اذا سولت لك نفسك أن تفعلى هذا فعشرة سياط .. اذ وقفت فعشرة سياط . ومد رجلك خمسة سياط ، مد ذراعك خمسة سياط .. علمت – يا حلوة — هذه التسعيرة ؟ فلينفعك الهضيبى أو سيد قطب .. أنت هنا فى جهنم عبد الناصر .. اذا قلت يارب فلن ينقذك أحد ، ويا سعادتك لو قلت يا عبد الناصر .. فستنفتح لك الجنة . جنة عبد الناصر أيضا .. أتفهمين ؟ !! أنت يا حلوة — مازال أمامك الكثير ، وما سيأتى أكثر وأكثر .. يا ليتك تعقلين .. انى مستعد أرجو لك معالى الباشا . وتذهبين اليه ، وتقولين ما يريده .. هل أنت مجنونة ؟ من أجل من تفعلين فى نفسك كل هذا ؟ من أجل الاخوان ؟ .. كلهم اعترفوا ولم يبقوا عليك .. ولفوا الحبل حول عنقك .. ».

ظللت صامتة وان كانت نظراتى اليه تقول الكثير .. ولكنه جاهل أحمق ، وحيوان مغرور !! .

فاستأنف سخفه ، أو بالاخرى استأنف اغراءه : أطيعينى ، واستمعى الى .. وانقذى نفسك .. أنت فى الصباح ستكونين مع الأموات .

وظللت على حالى من الصمت والسكون فقال «ردى يا بنت الـ ... .

فصمت ..

فقال : الامر بسيط جدا ، سآخذك الى معالى شمس بدران باشا وتقولين له كيف اتفق سيد قطب مع الهضيبى على قتل جمال عبد الناصر !.

فصرخت بكل قوتى .. كل الاخوان أبرياء ، وربنا سينتقم . منكم ليست الدنيا غايتنا ، نحن نطلب رضاء الله ، وبعده فليكن ما يكون !!

فانطلقت القذارة من فمه بأبشع ما يمكن أن يسمعه انسان ، وانطلق سوطه بأعتى ما يمكن أن يتحمله بشر من حقد وكراهية !! واستمرت قذارته واستمر حقده وكراهيته أكثر من نصف ساعة !! ثم انصرف وهو يقول : انت عارفه التعليمات والتسعيرة يا بنت الـ ... لم أستطع أن أظل فى مكانى بلا حركة ، فليس فى مقدور أى انسان مهما كانت طاقته ومهما بلغت قوة احتماله ، أن يجلس هذه الجلسة ولا يتحرك .. انه تعذيب ، وعذاب .. !!

الضرب بالسوط على كل حال أهون من التجمد فى هذه الجلسة دون حركة ، فلهيب السوط أهون من عذاب الماء .. !!

أخذت أفكر كيف أتحرك .. لو مددت رجلى سيصل الماء الى فمى ، فلم يكن بد من الوقوف وأتحمل عشرة سياط .. !! وفوضت الأمر لله ، وقلت : يارب أنت معى !! ووقفت !! .

خيل الى أن الجند نائمون .. وسمعت أذان الفجر ، فتيممت على الحائط ، لأن الماء كان قذرا جدا لا يصلح للوضوء .. وأديت ركعتى السنة ، ودخلت فى ركعتى الفرض ..

وهنا فتحت الزنزانة ، وهوى السوط على جسمى ، فجلست كما كنت فأغلق الباب ..

وأخذت أردد : حسبنا الله ونعم الوكيل ، حتى تأخذنى سنة من النوم فيوقظنى الماء الذى يصافح ذقنى .

كانت زيارة سامبو وسوطه لا تقل عن خمس مرات فى الليلة الواحدة ! ! .. فكان لابد من الحركة ، وكان لابد من السوط ! ! .

الجريمة ! !

مع الضحى ، جاء صفوت وأخرجنى من الماء ، ورمانى فى زنزانة أخرى بجوار زنزانة الماء .. ابتلعتنى هذه الزنزانة .. وتكورت فى ركن من جوفها مستندة الى حائط .. كان الحائط بالنسبة الى وسادة ناعمة محشوة بريش النعام ! ! كانت آلامى عاتية متنوعة ... آلام الجوع تفرى أمعائى .. وآلام جروحى تمزقنى .. جروح جسدى ، وجروح نفسى .. لقد صرت كتلة آلام كل جزء منها يئن ويصرخ ! !

.. ويدخل صفوت ومعه مارد أسود ! ! أخذ يتحسس سوطه بيده اليسرى ، ثم يضرب الأرض والحائط ، وكأنه يستحث لهيبه ، أو يستنفر حميته ! !

وقف صفوت وألقى أوامره وتعليماته الى هذا المارد الأسود بأن يرتكب أبشع جريمة ممكن أن يقترفها بشر .. ! ! وترك له السوط وهو يقول فى صلف وغرور : اذا وجدت منها اى معارضة فالسوط معك ...

انشغلت عن هذا السفه بالله سبحانه وسألته متوسلة اليه «اللهم انى أمتك ، وعلى عهدك ما استطعت .. أدعوك بضعفى ، وقلة حيلتى ، وانكسارى ، وهوانى على الناس ، أن تدفع عنى شر الأشرار ، وتحمينى بقدرتك ، وتعيننى على ظلمهم .. » .

أخرجنى من اغراقى فى مناجاة ربى صوت هذا الانسان المأمور بايذائى بأبشع جريمة .. ينادينى «يا خالة ! ! » ونظرت اليه .. ودهشت .. فقد تغير وجهه وأرتسمت عليه ملامح انسان ! !

ثم بصوت منخفض فيه شفافية : لا تخافى يا خالة .. لن أوذيك ، ولو قطعونى ..

فقلت بصعوبة بالغة : ربنا يهديك يابنى .. ربنا يكرمك .

فتح باب الزنزانة فى عنف ، وانطلق صفوت يضرب الرجل بالسوط ويسبه ويقول : يا ملعون ، يا ابن الكلب ، لقد أوردت نفسك مورد الهلاك ، وستقدم الى مجلس عسكرى .. هذه أوامر جمال عبد الناصر يا ابن الكلب .. أنت تكسرها ؟ ! أنقذ نفسك فورا قبل أن أذهب بك الى شمس باشا يحولّك الى مجلس عسكرى .. ثم أعاد عليه الأوامر الفاجرة والتعليمات الفاحشة بكلمات صريحة صارخة لا يمكن أن تخرج من فم انسان ، وأغلق الزنزانة وأطل من الفتحة وقال «أنا سأتركك ساعة ، ثم أعود اليك لأنظر ماذا فعلت .. أنقذ نفسك . ونفذ الأوامر ! ! »

حيا الجندى صفوت تحية عسكرية من داخل الزنزانة وقال «حاضر يا أفندم ! ! » .

كنت أستمع الى هذه الجاهلية وذلك الفجور ، فأناجى ربى بتلك الكلمات ، «انها دعوتك ، ونحن جندها ، وشهداؤها .. فغيرتك على جندك ، وأعراضهم يا الله ! اجعلنا أقوى من ظلمهم وألوان تعذيبهم » وكنت أدعو لهذا الرجل بالهداية . ظننت أن هذا الرجل — بعد الأوامر الجديدة — سيخشى البشر ، فيسلك مسلك الوحوش .. ولكنه كان رائعا ، وشجاعا وقال لى فى براءة الاطفال : لماذا يعذبونكم هكذا يا خالة ؟

فقلت : اننا — يابنى — ندعو لله ، ونريد حكم الاسلام لهذا البلد ، ولا نطلب لأنفسنا سلطانا .

وسمعت أذان الظهر فتيممت على حائط الزنزانة وأديت الصلاة ، فقال فى رجاء «ادعى لى يا خالة » . فدعوت له بالهداية وقمت لصلاة السنة ، فقال : أدعى لى أن يكرمنى الله بالصلاة يا خالة .. أنتم لستم بشرا . ربنا يخرب بيتك يا عبد الناصر ! ! .

فقلت له : هل تعرف الوضوء ؟ .

فقال : طبعا ، أنا كنت مواظبا على الصلاة .. لكن جيش حليمة لو رأونى أصلى يسجنوننى ...

فقلت له : صل ولو سجنوك ، فالله معك .

فقال ونور الايمان يملأ وجهه «سأصلى» .

وهنا ضرب أحد الجنود باب الزنزانة بعنف وقال : يا ابن الكلب ماذا تفعل ؟ !! .

فقال الرجل : ألست لم تفرغ من الصلاة .

فقال الجندى فى صفاقة : صفوت آت اليك ، وأرسلنى أنظر ماذا فعلت .

وجاء صفوت كحيوان مجنون وهجم على الرجل بوحشية شرسة ، وظل ينهال بسوطه على الرجل حتى أفقده حتى الأنين !! وجاء مساعدو الجلاد وحملوا المسكين الى مصيره ، وأغلقت الزنزانة .. على آلامى وهمومى ..آلمنى ماناله هذا الرجل بسببى ، أو لأن الله أضاء بصيرته فلم يطع الظالم !! كانت السياط التى مزقت جسده ، تمزق جسدى وتحفر أخاديد فى نفسى !! .

وهربت من همومى وآلامى الى صلاة العصر ..

الى زنزانة الماء مرة أخرى !!

وغربت الشمس ، فنشط جلادو السجن الحربى وزبانيته ، وبدأت عجلة التعذيب تدور !! أخذونى فى ستر الليل ، الى زنزانة الماء ..كانت أمعائى تصرخ من الجوع وحلقى يكاد يتشقق من العطش ، وآلام جراحى تضرب كل جزء من جسمى بعنف وشراسة .

أخذتنى سنة من النوم ، وأنا على هذه الحال ، فاذا بخلق جميل ، يرتدون حللاً من الحرير الأسود ، مزركشة بلآلئ ، داخل مخملات مطرزة بالذهب ، ويحملون صحافا من الذهب والفضة عليها ما طاب من الأطعمة من لحوم وفاكهة لم أر مثيلا لها !! .. فأخذت آكل من هذه ، وتلك !! واستيقظت من سنة النوم هذه ، فوجدت نفسى فى شبع

ورى . فلا جوع . ولا عطش !! بل ان مذاق ما أكلته من طعام كان لا يزال بفمى !! فأخذت أشكر الله وأحمده ..

مكثت فى الماء طول الليل الى ضحى اليوم الثالث . عندما دخل صفوت وشمّر بنطلونه . ونزل الى الماء وقال وهو يهزنى بقسوة : الى متى تظلين على عنادك ؟ أنقذى نفسك وأكفينا أمرك ..

احكى الحكاية .. كيف اتفق سيد قطب مع الهضيبى على قتل عبد الناصر ومتى قالا لك أن تأمرى عبد الفتاح اسماعيل بقتل عبد الناصر ؟ .. فقلت : كل هذا لم يحصل .. فخرج يسب ويلعن ..

ثم عاد صفوت مرة أخرى بعد ساعة تقريبا وأخرجنى من الماء وأدخلنى فى الزنزانة الأخرى التى تجاور زنزانة الماء وانصرف وارتعدت .. فقد اتجه تفكيرى الى ما حدث فى هذه الزنزانة فاتجهت الى الله بكل ايمانى أن يحفظنى مما يدبرون ..

ورجع صفوت وضابط بملابسه الرسمية يدعى ابراهيم .. وقال صفوت : سيادة الضابط سيتكلم معك يا ..

فقال الضابط : أخرج أنت يا صفوتثم . اتجه الىّ وقال : أليس من الأفضل أن تقدرّى مصلحتك وتعملى لها فقط ؟ .. هؤلاء القوم ليس لهم اله حتى يخشونه !! ؟ هل تعلمين ماذا فعلوا بالجندى الذى لم ينفذ الأوامر معك بالأمس ؟ لقد أعدم رميا بالرصاص .. أنهم اليوم يعدون لك فرقة من أعتى المجرمين .. أعملى كل ما يطلبونه منك وأنقذى نفسك من أنيابهم .. حسن الهضيبى وسيد قطب وعبد الفتاح رجال . يتحملون مسئولية خطئهم ..

والتزمت الصمت . فقد سئمت أسلوب المساومة والاغراء . والتهديد . ولا أظن أنى سألاقى من التعذيب أكثر ولا أبشع مما أنا فيه ..

فقال الضابط لصفوت وكأنه عز عليه أن يفشل فى مهمته : اعمل معها ما شئت انها هى ..

ودخل صفوت وأطلق سبابه الصارخ : عبد الناصر أرسل فى طلب شياطين من النوبة سينهشونك نهشا الى أين تفرين منهم ؟ .. الوقت يمضى ، وكل دقيقة تقربك من النهاية ثم أغلق الباب خلفه ..

وبعد العصر ، نقلونى الى زنزانة الماء حيث مكثت فيها طول الليل .. !! وجاء ضحى اليوم الرابع ، ولم أر أحدا غير صفوت الذى أخرجنى من الماء وأدخلنى الزنزانة الأخرى .. وبعد العصر أعادونى الى زنزانة الماء فمكثت فيها الى ضحى اليوم الخامس !! .

وهكذا كل يوم من زنزانة الى زنزانة بألوان من العذاب مختلفة !!

صرعت الوحش فى زنزانتى !!

لم يبق موضع فى جسمى الا وفيه أثر عذاب وموضع جراح !! ولم تبق ذرة فى نفسى الا وفيها جرح عميق ينزف ألما وحسرة ..!! هل كل ما يحدث هنا فى السجن الحربى يخرج من بشر .. من إنسان

غير معقول أن هؤلاء المخلوقات بشر .. !! انهم مخلوقات تسمع وترى وتنطق وتمشى على رجلين ، ولها ذراعان .. وهيكل بشرى .. !! لا .. لا .. انها مخلوقات غريبة .. من تركيبة عجيبة .. !! .. وأخرجونى من الماء الى الزنزانة المجاورة .. وحيّانى صفوت بعدة ضربات ملتهبة بسوطه المجنون .. وقال وهو يضربنى : ان ما سيحصل لك اليوم لم يحصل لكلب أجرب فى طاحونة !! وأغلق باب الزنزانة ثم انصرف .. وما هى الا دقائق قليلة حتى فتح باب الزنزانة مرة أخرى وامتلأت بحمزة البسيونى وصفوت وجنديين آخرين !! ..

وانطلقت القذارة من فم حمزة البسيونى بأبشع ما يمكن أن يتخيّله إنسان .. سب فاضح صارخ وقال «يا بنت الـ .. انقذى نفسك ، وقولى كل شئ . اعترف الهضيبى ، واعترف سيد قطب ، واعترف عبد الفتاح اسماعيل ، ووضعنا أصابعنا على كل شئ من واقع اعترافاتهم .. عرفنا منهم أن الهضيبى أمرك أن تقولى لعبد الفتاح اسماعيل بأن دم عبد الناصر مباح لأنه كافر .. كل واحد منهم تكلم ، وأنقذ نفسه وأنت ضيّعت نفسك .. ثم

قال مهددا والشرر يتطاير من عينيه : ستعرفين كيف أنتزع منك كل ما نريده .. ستتكلمين أم لا ؟ .

ثم التفت الى صفوت وقال : نفذ الأوامر يا صفوت .. ومن يعصى الأمر من أولاد الكلب — مشيرا الى الجنديين — حوله الى المكتب فورا .. وتولى صفوت افهام الجنديين مهمتهما البشعة بأسلوب داعر صارخ الفجور ، بعيد كل البعد عن الحياء .. مغمور فى الانحطاط الى أبعد ما يكون .. فقال لأحدهما فى مجون : نفذ التعليمات — يا ابن الكلب — بعد اغلاق الزنزانة ، وبعد أن يتم التنفيذ ادع زميلك ليقوم بدوره كذلك .. مفهوم ؟ ! ! ثم أغلق الزنزانة وانصرف ..

جلس الرجل يتوسل اليّ أن أقول ما يريدون لأنه لا يريد أن يؤذيني ، ومن جهة أخرى فان عدم التنفيذ يلحق به ضررا بليغا وايذاء جسيما .. قلت له بكل ما أوتيت من قوة : اياك أن تقترب منى خطوة واحدة .. اذا اقتربت ، سأقتلك سأقتلك سأقتلك ، فاهم ! !.

كنت أرى الرجل ينكمش ويتقاعس غير أنه أخذ يقترب فى خطوات ، ولم أدر الا ويداى حول رقبته ، وأنا أصرخ بكل صوتى : «بسم الله ، الله أكبر .. وغرزت أسنانى فى عنقه ، واذا به ينفلت من بين يدى ، ويسقط تحت قدمّى خائرا ، يخرج من فمه زبد أبيض كرغاوى الصابون .. سقط الوحش تحت قدمى ، جثة هامدة لا تنبض الا بهذا الزبد الأبيض .. أنا التى تتربع على قمة الألم ، والتى مزقتها الجراح التى حفرتها السياط فى كل موضع من جسمها .

أنا التى غلفها الاعياء من كل الزوايا تصرع هذا الوحش الذى أمروه بأن يفترسنى ! !

لقد بث فيّ الله جلت قدرته ! قوة غريبة صرعت هذا الوحش ! !

وكانت معركة شرسة ضاربة ، انتصرت فيها الفضيلة على شراسة الرذيلة .. كان هذا علامة صدق ، وبشرى للمخلصين فالحمد لله ولا اله الا الله .. ان الطغاة يخافون ويهزمون وأصحاب الرسالات خلف القضبان مجردون من كل شئ الا من الإيمان بالله تعالى .. غير

أن ثبات المؤمنين على الحق هو دائما شىء لا يستطيع المنهزمون فى أنفسهم وضمائرهم بتقاعسهم عن الايمان أن يفعلوه .

يا الهى ما أكرمك وما أوسع عطاءك .. أنت ربنا ورب كل شئ .. فهؤلاء الذين يأخذون بأمر الله يحارَبون .. ويقاومون .. ولكن العاقبة دائما للمتقين..

وفتحت الزنزانة ودخل رأس الزبانية حمزة البسيونى ، والجلاد صفوت وجند آخرون ، ووقع نظرهم على هذا الوحش الممدد على الأرض ، والرغاء الأبيض يخرج من فمه ..

فبهت الذى كفر ؟؟ .. خرست الألسنة ، وتبادلوا نظرات زائغة حيرى .. ؟؟ ! !

..وحملوا الجثة وأعادونى الى زنزانة الماء ..

من الفئران الى الماء وبالعكس ! !

فى زنزانة الماء ظللت حتى جاء اليوم السادس .. وفى ضحى هذا اليوم أخرجونى من الماء الى الزنزانة المجاورة ، فتوترت أعصابى انتظارا لما سيحدث .. فقد مرت بى فى هذه الزنزانة ألوان من العذاب .

فوضت أمرى الى الله ، وجلست مستنده الى حائط الزنزانة .. أحسست بأشياء تتحرك ، فرفعت رأسى اليها ، فاذا بخيوط متصلة من الفئران تنزل من النافذة كأن أحدا يفرغها من كيس ! !

أخذتنى رعدة شديدة ، وشعرت برعب مريع ! ! .. أخذت أردد «أعوذ بالله من الخبث والخبائث .. اللهم اصرف عنى السوء بما شئت ، وكيف شئت » .. ورددت هذا الدعاء ، حتى سمعت آذان الظهر ، فتيممت وصليت ، وجلست أختم صلاتى ، وأذكر الله حتى أذان العصر ، فأديت صلاته ..

وهنا دخل الوحش صفوت الروبى .. كانت الفئران قد انصرفت من النافذة من حيث أفرغت ولم يتبق الا فأر أو اثنان !! دارت عيناه فى أنحاء الزنزانة فى نظرات دهشة ، وارتسمت على وجهه ألف علامة تعجب !!

وكأن ذلك قد عز عليه فانصرف يسب ويلعن تلاحقه خيبة الأمل !! .. وأعادنى الى زنزانة الماء . ثم عاد ومعه الضابط رياض .

وقف رياض خارج الزنزانة فى محاولة يائسة لاقناعى لأقول بأن تنظيم الاخوان كان يهدف الى قتل عبد الناصر والاستيلاء على السلطة بعد قلب نظام الحكم .

فقلت له : هذا كذب وافتراء ، وما كنا نجتمع الا لنتدارس فى كتاب الله وسنة رسوله ، وتربية جيل مسلم يفقه الاسلام ، ويعمل لقيام دولته .

فقال : أنت مصرة على هذا ؟ ستعرفين كيف يكون العذاب من الآن .. ان كل ما مر عليك يعتبر محاولات الى جانب ما سيأتى . وذهب وبقيت أنا فى الماء .. !!

ثمانية أيام وأنا على هذه الحال ، حتى بلغ بى الارهاق والاجهاد درجة تفوق كل احتمال .

وبدا ذلك واضحا على صحتى التى وصلت الى حال يرثى لها !!

وفى اليوم التاسع جاء رياض ومعه صفوت وضابط آخر فى زيه الرسمى . وأخرجونى من الماء .

بدأ رياض يهددنى بأن هذه المرة هى الأخيرة والفرصة الأخيرة لانقاذ نفسى فاما أن أعترف كما يريدون . واما الخلاص منى نهائيا .

وقال : أنت فاهمة ربكم عنده جهنم صحيح !! جهنم هنا عند عبد الناصر .. الجنة عند عبد الناصر جنة موجودة حقيقية .. وليست جنة وهمية خيالية مثل التى يعدكم بها ربكم !!

«كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون الا كذبا» .

ثم أخرجونى من الماء الى الزنزانة المجاورة وأغلقوها ثم انصرفوا .. وفزعت الى الله فى صلاتى أطلب منه أن يصرف عنى شر هؤلاء . كنت فى صلاتى عندما دخل الزنزانة عدد من الجند يزيد على العشرة ومعهم ضابط بزيه الرسمى . ثم انضم اليهم حمزة البسيونى . وصفوت الروبى . قال صفوت لحمزة البسيونى : أوامرك يا باشا فى بنت الـ ...

فقال : حمزة البسيونى للجند ماذا شربتم .

فقالوا : شاى يا معالى الباشا ...

فقال : شاى يا أولاد الكلب .. خذهم يا صفوت واسق كل واحد منهم زجاجة خمر وأن يدخنوا الحشيش وأطعمهم كل ما يشتهون ثم أرم لهم ببنت الـ .. ولهم عندى أجازة ومكافأة .

وأغلقوا الزنزانة وانصرفوا .

مكثت فى الزنزانة حتى صلاة العصر .. كنت ساجدة فى الصلاة عندما فتحت الزنزانة .. ويندفع صفوت ويجذبنى من ذراعى فى وحشية ويقطع صلاتى . ويأخذنى الى زنزانة المياه ويغلقها وينصرف !

وجاء رياض ودلف الى الزنزانة . وكله علامة تعجب يحاول أن يخفيها تحت ظلال من الغرور وهو يقول تريدين أن تكونى قديسة ؟ .. الجنود الذين أعددناهم لك ذهبوا الى المستشفى .. لكنهم غدا سيأتون ينهشون لحمك نهشا . فى المستشفى حقنوهم وأصبحوا كالكلاب المسعورة .. وانها أوامر جمال عبد الناصر .. لن يتركك أبدا .. تعبنا من النصيحة . وحاولنا معك مرة ومرات وأنت لا تتزحزحين عن موقفك .. تريدين أن تكونى قديسة ؟

ردى . ردى .. أين سوطك يا صفوت ؟ » أخذ صفوت يضربنى ورياض يستحثه :

استمر يا صفوت .. قديسة يعنى أية يا بنت الـ ! تريدين بعد موتك بثلاثين سنة يقيمون

لك ضريحا فى مسجد ويقولون ان زينب الغزالى الجبيلى أظهرت كرامات فى السجن الحربى .. لكن . أنت هنا . ولا الشيطان يعرف ماذا نعمل فيك ؟ ! .

وضحكت وأنا فى قمة المعاناة ! ! كانت ضحكة سخرية من جهله وغروره . وقلت : اذا كنا نريد ما تقول . ما دفع الله شروركم عنا . ولما استطعنا المقاومة والصبر . والتغلب على ما تسمونه بأنفسكم جحيم عبد الناصر .. لكننا طلاب حقيقة . نطلب الله . ثم رضاه .. سينصرنا الله عايكم ان شاء الله وسيفرى الله أسنان الأشقياء الذين تعدوهم لنهش لحومنا .

كان صفوت قد ابتعد عن رياض . فناداه هذا مستعيناً .

«ادركنى يا صفوت بنت الـ .. بتخطب .. انها تخطب يا صفوت .. ! ! .

وأسرع صفوت لنجدة رياض وألهبنى بسوطه .

وقال : دعها لى يا سعادة البك . وغداً سنرى وتشاهد ما نزل بها ! ! .

وأجلسونى الجلسة المعتادة فى الماء ثم أغلقوا الزنزانة وانصرفوا ..

الله وحده يعلم الحالة التى كنت عليها .. لقد كنت فى قمة الألم . وقمة الاجهاد . وقمة المعاناة .. ان آلاما مبرحة تسرى فى كل جسدى .

آه ! ! مسكين يا بلدى ! ! هل آل أمرك الى هذه الطغمة التى اعتدت على كل القيم . وحطمت كل القوانين ؟ ! !

شغلنى التفكير فى بلدى عن بعض آلامى وان كان أضاف هما الى همومى .. ! ! ان ما أصابنى ويصيبنى قد أصاب ويصيب غيرى بكل تأكيد .. لقد بت أتصور أن البلد كله قد صار سجنا حربيا . يحكمه حمزة البسيونى . وصفوت . ورياض والسفاح الشرس شمس

بدران !! .. كلهم حلقات واحدة فى سلسلة متصلة تكبل هذا البلد .. !!

مسكين يا بلدى !! .. لا . لا لن تكون مسكينا يا بلدى . وفيك حملة كتاب الله . وورثة سنة رسوله . ومن يستظل بمظلة لا اله الا الله وأن محمداً عبده ورسوله .. اننا ان ذهبنا فسيأتى بعدنا وبعدنا من يرفع اللواء . وغداً .. تشرق الأرض بنور ربها . وتتفيأ البشرية ظلال العبودية لله الواحد القهار ..

من الماء الى وكيل النيابة !!

معذرة ..

على هذا التكرار ..

فالمقصود التفصيل والتوضيح ، كيف كان حال مصر : فسدت الحياة وأسنت ، ظلم رعب . اعتقالات ، مجازر ، تشريد ، .. . سيطرت قوى الشر والباطل واستبدت ، وساوت بين الجميع ، بين أصحاب القلم والفكر والرأى ، والوزراء والقادة العسكريين ، وبين المواطن العادى .

بين الشاب والشيخ .. بين الرجل والمرأة .. بين المريض والصحيح ..

كلهم أمام السياط ، وتحت السياط . والصلب . والكلاب . وجميع أنواع التعذيب . الكل سواء .. أنها اشتراكية التعذيب ! !

كلهم أمام السياط . وتحت السياط . والصلب . والكلاب . وجميع أنواع التعذيب . الكل سواء .. انها اشتراكية التعذيب !!

.. وفى صباح اليوم التاسع . أخرجونى من الماء . فى وقت مبكر وقال صفوت : أنت ذاهبة الى وكيل النيابة . وكفاك عذاباً وأنقذى نفسك .. ثم أضاف وقد بدت فى عينيه نظرة التهديد .. : طبعا أنت عارفة المطلوب منك .. وسرى ماذا تقولين !! » .

وجذبنى بقسوة . فقلت : أن ثوبى ممزق أعطى ثوبا أستتر به . فقال مساوماً : أحضر

لك جلبابا وتكتبين أن حسن الهضيبي وسيد قطب اتفقا على قتل عبد الناصر . والاستيلاء على الحكم ؟ !

فقلت : لا . لا لا . . .

فقال : اذهبي عارية . ولينفعك اسلامك .. وليراك الاخوان هكذا ..

فقلت : إن الله هو الحليم الستار .

ودخلت مبنى آخر من مبانى السجن الحربى : ثم الى حجرة مفتوحة يتصدرها رجل يجلس الى مكتب وعرفت فيما بعد أن هذا الرجل يدعى جلال الديب .

نظر الى نظرة تائهة تشعرك بأنه يحس أنه أصغر من المهمة المعهودة اليه .. وقال مشيرا بطرف أصبعه : اجلسى . فجلست على كرسى أمام المكتب ثم بدأ حديثه معى مثيرا فىّ مشاعر معينة : أنت زينب الغزالى الجبيلى الزعيمة الاسلامية المشهورة .. لماذا وضعت نفسك فى هذا الموقف ؟ هل يرضيك ما أنت فيه ؟ انى مسلم أحب لك الخير وجئت لأنقذك . أنا أسعد فخر الدين وكيل النيابة .. أنا لا أستطيع أن أتصور أن زينب الغزالى هى الجالسة أمامى بهذه الحالة التى وصلت اليها . أرجو أن تساعدينى لأخلصك مما أنت فيه . . .

فقلت : والله ما نقول الا ما يرضى ربنا ولا نبغى الا وجهه تعالى . فقطب حاجبيه ونكس رأسه وهو يسأل ما سنك الآن ؟

فقلت : أنا من مواليد ٢ يناير سنة ١٩١٧ .

فقال : مندهشا أو متصنعا الدهشة يا ساتر ! كنت معتقدا أن سنك فوق التسعين .. لماذا فعلت كل هذا ؟ !

قلت : لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون .

فقال : يبدو أنك غير قادرة على الكلام ؟ !

فلزمت الصمت ! !

فسأل : على أى شىء اتفقت أنت والشيخ عبد الفتاح اسماعيل ؟ .

قلت : اتفقنا على أن نربى الشباب على الاسلام . ونفقهه فى أصول الكتاب والسنة . حتى ننقذ هذا المجتمع من هذا الضياع الذى يعيش فيه .

قال مقاطعا لا . لا أنا لا أريد خطابة .. أنا أريد أن توضحى .

«ان الهضيبى قال لك أمرا تنقلينه الى عبد الفتاح عبده اسماعيل وقال لك أمرا ثانيا تنقلينه الى السيد قطب ما هو هذا الأمر . أظن واضح .. ؟!؟» .

قلت : أستأذنت فضيلة المرشد الاستاذ الهضيبى ليجتمع الشباب لدراسة تفسير القرآن والسنّة مع الاستعانة ببعض كتب الفقه كالمحلى لأبن حزم وكتب التوحيد لأبن عبد الوهاب وابن تيمية وكتب الاستاذ السيد قطب ومن الشباب كان عبد الفتاح عبده اسماعيل .

فقال وقد رسم على شفتيه ابتسامة حاول أن تكون ساخرة : لا ياست زينب . الموضوع ليس كذلك .. الموضوع ظهر ووضح فأنقذى نفسك وأذكرى الحقيقة فقلت : كل الذى نريده أن ننشئ جيلا صالحا ونبنى أمة مسلمة . وقالى إصرار : كلهم اعترفوا وقد ألقوا المصيبة عليك كلها » فقلت بهدوء : الله المطلع يحميى ويحميهم إن شاء الله .. من أن ننزلق الى باطل» .. فقال فى عصبية وبدأ يظهر نواياه لا . يبدو أنك مغرمة باظهار عضلاتك الخطابية . ومغرورة .. حتى النيابة لا تستطيع أن تصل معك الى قرار .

فقلت . وأنا لا أستطيع الكلام . فقد كنت فى قمة التعب والاجهاد ولكن شعورى بالظلم دفعنى الى أن أقول : لو عرفت النيابة واجبها ما .. فقاطعنى ثائرا .. « اخرسى ؟!؟ حتى النيابة تتطاولين عليها ولا تسلم من لسانك .. ثم نادى صفوت الذى كان واقفا بالباب .. لا فائدة منها يا صفوت .. انها أعتدت على النيابة سأثبت فى المحضر أنها أعتدت على النيابة

جبى صفوت بوحشية ونظر الى وكيل النيابة وقال الى أين يا سعادة البيه .. ؟ فقال وكيل النيابة بسرعة وكأنه يرد على سؤال مسبق : الى الماء طبعاً .. وعدت الى الماء وسوط

صفوت لا يكل ولا يضعف . زين له شيطانه الشر وهيأت له جاهليته الطغيان . وسولت له نفسه المريضة ذلك طمعاً فى رضا من فوقه وأملا فى القرب من حضرتهم « **وكذلك زيّنا لكل أمة عملهم** »

السوط مع الرغيف ! !

بعد العصر . فى اليوم العاشر . فتحت زنزانة الماء . وأخرجنى صفوت من الماء وأسلمنى لاثنين من الزبانية وقال لهما « الى سجن ٣ » .. أدخلونى هناك زنزانة . فارتميت على الأرض جثة هامدة مثخنة بالجراح .. كان جسمى متورما كالكرة المنفوخة .. وأحس بأن قلبى يكاد ينخلع من مكانه .. انبطحت على الأرض لا أقوى على الأنين ! ! .. وأسلمت نفسى للذى بيده مقادير الأمور .

لا أدرى كم مّر من الوقت وأنا على الأرض . حينما سمعت جلبة خارج الزنزانة . زحفت على الأرض وبصعوبة بالغة أمسكت الباب ونظرت من الفتحة . فرأيت جماعة من الاخوان . يقفون طابورا طويلا . بيد كل واحد « قروانة » من الصفيح يتقدم بها الى جندى . فيغرف هذا الأخير من « قزان » أمامه شيئا غريبا ويصبه فى القروانة الصفيح .. وعندما يتناول الاخ نصيبه من هذا الطعام الغريب . يتناول أيضا نصيبه من السياط .. كان عدد من الجنود الزبانية يتفون فى صفين متقابلين . وعندما يمر الأخ بعد أن يتناول نصيبه من الطعام . يضربه كل جندى عند مروره عليه بسوطه .. وهكذا لابد أن يدفع الاخ ضريبة اجبارية عددا من السياط بعدد الجنود . وينصرف الأخ .

شعر أحد الزبانية بى وأنا أختلس النظر الى طابور تسليم الطعام الرهيب . فدخل زنزانتى كالوحش الهائج وأخذ يضربنى بحذائه ضربا مؤلما ثم ينهال بسوطه المجنون على ما يصادفه من جسمى . فخارت قواى . وغبت فى نوم عميق على أسفلت الزنزانة ! ! .

أيقظنى الملعون صفوت ومعه أحد الجنود بيده قروانة بها قليل من الحساء أسود اللون . تنبعث منه رائحة كريهة لا تطاق .. قال صفوت : اشربى هذا وألا فسنضربك عشرة سياط

فقلت : سأشربها !!

فقال صفوت لمساعده : أتركها عشر دقائق . ثم عد اليها . وأنظر ماذا فعلت . إن لم تكن قد شربت اضربها عشرة سياط وناديني .. !!

خرجا وأغلقا الباب . ولما بعد وقع أقدامهما . وأطمأننت الى أن أحدا لا يرانى . سكبت الحساء تحت البطانية التي رموا بها على أسفلت الزنزانة .. وعاد الجندى بعد المدة المحددة فوجد القروانة فارغة فأخذها وانصرف !!

قضيت ليلتى .. ويالها من ليلة .. كنت على قمة الالم والمعاناة .. أنياب آلام تنهش جسمى كله .

وافترشت آلامى وقضيت ليلتى .. !! .

الى المستشفى

وفى ضحى اليوم الحادى عشر فتح صفوت الزنزانة وقال : تفضل يا دكتور ماجد . ودخل الطبيب ماجد فى زيه العسكرى ومعه التمورجى الجندى عبد المعبود .. كانت قدماى تنزفان دما وصديدا . وأورام وانتفاخات منتشرة فى جسمى وآلام حادة تفرى عظامى .

قال الطبيب ماجد للتمورجى : اعصر لها رجليها ونظف الجروح وانقلها الى المستشفى .. » ونقلت الى المستشفى فى حراسة اثنين من الزبانية !!

مع شمس

مكثت يوما فى المستشفى (أو الشفخانة كما يطلقون عليها) وسعدت ، لا لأننى بعدت عن التعذيب . فالتغذيب فى جسمى ضارب أنيابه . ولكننى سعدت من تغيير المكان .. نعم . كنت فى زنزانة فى المستشفى . ولكن شعورى بأننى فى مستشفى أدخل على بعض الراحة .. وحمدت الله .

تمنيت أن تمتد أقامتى فى المستشفى فترة تلتئم فيها جراحى . ويخف فيها زئير عظامى ..

واستسلمت لهذا الحلم الجميل !!

ولكن . وآه من لكن ! جاءتنى الزبانية وأخرجتنى من حلمى الجميل الى واقعى المر الأليم !!

وأخذنى الزبانية الى مكتب شمس بدران !! .. كنت أمشى على قدمّى الممزقتين بصعوبة بالغة .. بل لم أكن أستطيع أن أحمل جسمى .. ولكن السوط فى يد الزبانية خلفى يتهددنى ان أبطأت . ويهوى علّى أن تلكأت أو وقفت !! ولم أكمل الطريق من المستشفى الى مكتب شمس بدران . فسقطت على الأرض فى منتصف الطريق . فرفعنى الجند . وجرونى على الارض جرا .. وأوصلونى على هذه الحال الى مكتب شمس بدران ؟ !!

وما كاد السفاح الجاهلى شمس يرانى حتى نادى على صفوت الروبى . وفى حركة . كأنه أمام آلات التصوير . فقد أزداد احتقان وجهه . وارتسمت عليه غضبة عارمة . وتحجرت عيناه فى مقلتيه حتى صار وجهه مثل وجه البومة . واستدار الى صفوت . وذراعه ممدودة الى آخر مداها . وأصبعه تشير الّى : «علقها يا صفوت واجلدها خمسمائة جلدة ؟ !! .. وحشية ما بعدها وحشية . وقسوة غريبة لا يعرفها الا شمس بدران !! .

وعلقونى وجهزونى للجلاد صفوت .. !! وشمر صفوت الروبى عن ساعده . ورفع سوطه وأخذ فى تنفيذ أمر مولاه شمس !! خمسمائة جلدة .. وأنا أستغيث ضارعة : يا الله . يا الله » وشمس بدران يقول «أين هو الله ! » الذى تنادينه . فلينفعك اذا كان موجودا ! .. لو استغثت بعبد الناصر لأغاثك فى الحال ! .. ثم أخذ بلسانه يتطاول على جلال الله سبحانه . مما تأبى ألسنة المؤمنين التلفظ به . ولو كان اعادةً لما قاله الفاجر الكافر

.. وتم الجلد . وأنزلونى من التعليقة وأوقفونى والدم ينزف من قدمى .. وأمرنى شمس بدران أن أؤدى حركة «محلك سر» مدعين أن هذا علاج لقدمى !! .

وبعد فترة أسندت ظهرى الى الحائط . ثم جلست من شدة العناء . فجذبنى صفوت

بغلظة . ولم أستطع الوقوف فهويت على الأرض .. وهنا جاء حمزة البسيونى وحش السجن الحربى . وقال : انها تمثل يا باشا ! ! .. وأغمى علىّ وتنبهت على الطبيب حولى . فحقننى فى ذراعى وأمر لى بكوب من عصير الليمون وأسقونى اياه .. قال شمس بدران : هيه ! لن ينفعك العناد .. نفذى ما نريد والا علقناك ثانيا . وثالثا . ورابعا . ومائة مرة .. لا يخطر على بالك أبدا أننا عاجزون عن انتزاع ما نريده منك .. اننا نعطيك الفرصة فقط . مفهوم ؟ !! من يمنعنا عن دفنك وأنت حية ؟ !!

فقلت : يفعل الله ما يشاء ويختار . وله الحمد حتى يرضى .

فقال فى غيظ وضيق : لا تكلميى بهذه اللغة وهذا الأسلوب .

وقال حسن خليل محاولا أن يثنيى عن عزمى : يابنت اعقلى . واشترى نفسك .. لن ينفعك أحد من الاخوان هنا .. كل منهم يريد نفسه فقط .. انهم يفرون الى النجاة !.!

ثم أخرج ورقا وقلما واستأنف حديثه . أو نصائحه : خذها يا صفوت الى المستشفى ودعها تكتب كل ما تعرفه عن تنظيم الاخوان .. كيف عرفتهم . وكيف اتفقوا على قتل جمال عبد الناصر .. وتذكر كل أسماء الذين تعرفهم من الاخوان !! وفى الطريق الى المستشفى كان صفوت يأمرنى بالمشى . وأنا عاجزة كطفل يخطو خطوته الأولى !! وتستبد بصفوت وحشيته فكان يوقفنى بين وقت وآخر ويأمرنى أن أؤدى محلك سر !! محلك سر !! ان هذا علاج لقدميك يا بنت الـ ...

الله وحده يعلم كيف قطعت الطريق الى المستشفى .. لقد كانت رحلة عذاب ووصلت الى المستشفى ودخلت زنزانتى . أعطانى صفوت الورق والقلم وقال : طبعا عرفت المطلوب . ولا داعى للفلسفة .. اكتبى كل ما تعلموه يا اخوان ياكذابون .. وكيف كنتم ستقتلون جمال عبد الناصر .. واضح ؟ ! هيا يا حلوة .. وأغلق الباب . وانصرف .

لم أستطع أن أمسك القلم . فقد كانت يداى متورمتين . ولم أستطع الكتابة فقد مضى اليوم الأول ولم أفعل شيئا .. لم أكتب حرفا واحدا .. وعاد صفوت ليأخذ ما كتبت .

فوجد الورق أبيض لم يمر عليه القلم .

فقال : سأترك لك الورق لتنقذى نفسك يا بنت الـ .. وأنصرف .

وأخذت أكتب بصعوبة . وفى اليوم الثالث جاء حمزة البسيونى . وجمع الأوراق وانصرف وقضيت يومى بين صحوة وغفوة . لا استطيع أن أستقر على موضع .. ان وقفت نبحت قدماى . وان نمت صرخت عظامى .

وجاء صفوت . ومعه جنديان ليأخذانى الى مكتب شمس بدران وبنفس الطريقة السابقة قطعت الطريق سيرا على قدمى مع الوقوف على فترات فى « محلك سر » بأمر صفوت الروبى !!

ودخلت مكتب شمس بدران فنظر الىّ فى وحشية وقسوة وهو يمزق أوراقا ويلقيها فى سلة المهملات ثم قال : يا بنت الـ .. ألم يكفك كل هذا العذاب ؟ !! ماذا كتبت ؟ كلام فارغ .. أجلدها مرة أخرى يا حمزة !

فقال حمزة البسيونى وحسن خليل : سنعيدها للكلاب أحسن يا افندم . فقال شمس بدران فى عصبية : أحضر الكلاب هنا يا صفوت !!

أسرع صفوت وعاد ومساعده نجم بكلبين كالوحشين من مجموعة الكلاب المدربة التى كانت لى معها سابقة فى اليوم الأول من أيام « باستيل مصر » .. السجن الحربى .. وقال شمس بدران : اطلق عليها الكلاب يا صفوت !!

وهجم علىّ الوحشان . فأغمضت عينى . وأنا أقول : حسبى الله ونعم الوكيل . اللهم أكفنى السوء بما شئت وكيف شئت . وظل الكلبان ينهشان جسمى كله بأنيابهما ويشعلان فيه نارا موقدة .. وشمس بدران لا يكف عن سبابه يا بنت الـ .. اكتبى أنكم اتفقتم على قتل جمال عبد الناصر .. كيف كنتم ستقتلونه ؟ اكتبى .. اكتبى يا بنت الـ .. !! .. وصار عدد الكلاب ثلاثة .. اثنان ينهشانى وشمس بدران يسلقنى بلسانه القذر السليط !!

ويبدو أن شمس بدران قد شعر بأن لا جدوى من الكلاب فصرخ فى صفوت . وجسمه كله يهتز من الثورة : أصرف الكلاب يا صفوت . وجهز بنت الـ .. للجلد !!

واستدعوا الطبيب . فحضر ثم فحصنى وقال لشمس بدران : «اذا سمح الباشا يؤجل جلدها اليوم فحالتها «لا تتحمل !!».

وقال : شمس بدران لحمزة البسيونى «خذها الى ٢٤ . وأريد يا حمزة أن تحمل الىّ جثتها !» .

وحملونى الى رقم ٢٤ .. بناء لم أدخله من قبل . ثم أوقفونى فاقشعر بدنى . وتسمرت فى مكانى !! .. رقم ٢٤ هذا زنزانة فى وسطها نار موقدة . وعند كل ركن من الأركان الأربعة يقف جندى بيده سوط كلسان الأفعى .. وتناولنى الجندى بسوطه وهو يأمرنى بأن أدخل فى دائرة النار فإذا اقتربت منعنى الجندى القريب منها ى . فيتلقانى الثالث .. وهكذا . والنار المشتعلة قريبة منى . يلفحنى لهيبها .. ظللت ما يقرب من ساعتين وأنا بين لهيبين . لهيب النار المشتعلة التى أخشى الوقوع فيها . ولهيب سياط الزبانية وكلا اللهيبين مر .

ويدخل حمزة البسيونى . ونظرة بلهاء بلا معنى فى عينيه ويقول وأنا فى وسط هذا السعير : اكتبى أنكم ستقتلون جمال عبد الناصر والا قذفناك فى النار !! .

ونظرت اليه نظرة كلها صمود . وصرخت فى وجهه صرخة بدون صوت . وبكيت بدون دموع .. لقد كان العذاب فوق ما أحتمل . وأغمى علىّ ولم أفق الا وأنا فى المستشفى !!

مشهد تمثيلى بالاكراه!!

فى صباح يوم . أخرجونى من زنزانة المستشفى . فرأيت مصورين وآلات التصوير معدة . وأجلسونى على مقعد . وأمرونى أن أضع ساقا على ساق . وأضع سيجارة فى فمى . ليصورونى على هذه الحالة فقلت : مستحيل أمسك سيجارة . لا فى يدى . ولا فى

فمى !! فوضعوا المسدس فى ظهرى وفى أم رأسى لأمسك السيجارة فرفضت ونطقت بالشهادتين وقلت : افعلوا ما تشاءون — لن أفعل !!

ضربت بالسياط .. أعادوا المسدس الى رأسى . وأعادوا الأمر بمسك السيجارة ووضعها فى فمى . فرفضت وأصررت على الرفض !! .. فلما يئسوا صورونى ..

فى اليوم الثانى . طلبوا منى أن أذهب لأتحدث فى التليفزيون على أن يملوا علىّ كلاما من زورهم وبهتانهم على «الاخوان» . فقلت : لن أقول الا الآتى اذا ذهبت الى التليفزيون .

«ان جمال عبد الناصر كافر يحارب الاسلام فى شخص جماعة الاخوان المسلمين .. ولذلك نحن نحاربه . لأنه قال ان الحكم بالقرآن رجعية وتأخر وتعصب مقيت . ولأنه يستورد مواد أحكامه وتشريعاته من الدب الأحمر الشيوعى ومذهبه الإلحادى الذى يقول لا اله والحياة مادة .. لهذا نحن نحاربه ..

فقال : ستتكلمين والمسدس فى ظهرك ونافوخك .. لابد أن تقولى ما نريده نحن ..

قلت «بالأمس لم أرض أن أضع سيجارة فى يدى أو فى فمى وأنتم تهددوننى بمسدسكم وتضعونه فى رأسى وفى ظهرى ومصوروا صحافتكم واعلامكم يشهدون فهل تظنون اليوم أن أقول غير الحقيقة .. لا .. والله اننا لحملة رسالة .. وأمناء أمة وورثة كتاب ..

فجُلدت وأعدت الى الزنزانة .

الحجرة ٣٢

كثيرا ما تردّد فى نفسى سؤال . وكثيرا ما حيرّنى .. !!

المفروض أننى مقبوض علىّ لجريمة معينة . محددة .. فاذا كان الأمر كذلك . فلماذا يطلبون منى أن أكتب اقرارا بأنى اتفقت على قتل جمال عبد الناصر . بل ودبرت لهذه الجريمة . .. اذا كانت كل أركان الجريمة متوفرة .. فلماذا يطلبون منى هذا الاقرار ؟ لماذا

يطلبون مني أن أقدم دليلا على جريمة ليس لها واقع الا فى مخيلتهم ؟! أليس هذا الاعتقال وهذا التعذيب الوحشى . لغرض آخر وهدف آخر هو محاربة الاسلام . وابادة دعائمه

وأعادونى الى مكتب شمس بدران .. وما كاد يرانى حتى قال فى دهشة مصطنعة ايه أما زالت على قيد الحياة بنت الـ .. أنا قلت يا حمزة هات لى جثتها ..

فقال حمزة البسيونى فى رجاء : معذرة يا باشا .. قل لها تعليماتك وهى مستعدة لتنفيذها

فقال شمس بدران : اكتبى يا بنت !! » .

فقلت : لن أكتب الا الحقيقة .. اذا أردتم فاقتلونى .. انها شهادة تكتب عند الله ان شاء سبحانه .

فقال حسن خليل : لن نسمح لك بهذه الشهادة ؟!!

فقلت : ان الشهادة من عند الله . اذا أرادها لأحد من خلقه أعطاها له .

فقال شمس بدران وقد أثاره اصرارى : علقها يا صفوت .. واجلدها خمسمائة جلدة !! لتعرف من ربها .

وعلقونى . وجلدنى الزبانية .. سخاء فى الوحشية وكرماً فى القسوة .. خمسمائة جلدة على انسان فى قمة الألم . وقمة المعاناة ماذا بعد ؟! وأعادونى الى الزنزانة .

ولم يمض وقت حتى أخذونى ثانية الى مكتب شمس بدران الذى قال :

اجلسى هنا ؟!! وأشار الى كرسى أمام مكتبه .. ثم قال : هل أنت فاهمة أن قلوبنا جامدة لا تحس .. أنا متأثر جدا لحالتك .. أنا والدى شيخ فى الأزهر !!

نظرت اليه نظرة ذات مغزى كبير فى الازدراء والاحتقار !

وعاد الى طبعه الوحشى قائلا فى عصبية مهددا :

يابنت الـ .. !! . اسحبها يا حمزة الى ٣٢ ..

ودخلت زنزانة وجدت بها عمودين من الخشب متصلين من أعلى بعمود أفقى تتدلى منه حلقتان . أوقفونى على كرسى . وأمرونى بالسوط أن أمسك الحلقتين . عندئذ أزاحوا الكرسى من تحت قدمى فصرت معلقة فى الهواء ..!!

لم أستطع أن أستمر فى الحلقتين أكثر من عشر دقائق فهويت على الأرض وتلقفنى الزبانية بسياطهم المجنونة . وأعادونى مرة أخرى الى الحلقتين . فسقطت . فتعمل فىّ السياط المجنونة ما شاء لها هوى الزبانية .. وظلت هذه العملية تتكرر ما يقرب من ثلاث ساعات .

شموخ الايمان وذلة الباطل

أعادونى الى مكتب شمس بدران . فأشار بطرف أصبعه . فى حركة تمثيلية . الى كرسى أمام مكتبه . فجلست .. ثم أخذ جلال الديب . وحسن خليل يحاولان اقناعى بأن أكتب ما يريده الباشا .. ويكرران بأن ذلك فى مصلحتى !! قلت لهما : لن أكتب شيئا لا أعرفه .. فقال لى : اننا عرفنا كل شئ . واعترف الاخوان بكل شئ . اقرأ لها الملفات !!

ملف عبد الفتاح اسماعيل وملف مجدى عبد العزيز . وأحمد عبد المجيد وملف سيد قطب . وملف محمد هواش . وصبرى عرفه . وعبد المجيد الشاذلى . وفاروق المنشاوى . ومرسى مصطفى مرسى . وعلى حد زعمهم . ثم قال شمس بدران : اقرأ لها أقوالهم . وقرأ جلال الديب أقوال على عشماوى !! أذهلنى ما سمعت !!

ولما فرغ قال شمس بدران وهو يغمض أحدى عينيه ويهز رأسه : ما رأيك فى هذه الأقوال ؟!

فقلت على الفور : هذا كله كذب وافتراء .

فقال شمس بدران : تريدين أن تنكرى أنك أسست تنظيم الاخوان ؟ اليك كلام

شيخكم يقطع بأنك أنت التى أسست التنظيم .. اقرأ لها أقوال الهضيبي يا جلال .. وبعد عدة دقائق قال له . : انتظر .. أترك هذا الملف واقرأ لها أقوال عبد الفتاح اسماعيل . وأخذ جلال يقرأ .. وبعد قليل سألنى شمس بدران : ما رأيك ! ! .. لم أجب .. قال يا جلال اقرأ لها أقوال مخطط الاخوان سيد قطب ..

فأخذ جلال يقرأ ثم ينتقل من ملف الى ملف ولما فرغ قال شمس بدران : ما رأيك فيما سمعت .. هل تكتبين ما نريد ؟ فقلت : هذا باطل ؟! فقال فى تهكم : وما هو الحق يا نابغة الزمان .

قلت : كل ما سجل هنا لعلى عشماوى . أعتقد هو الباطل .. أما بقية اخوانى فهم أهل الدعوة وأهل الحق والمسطر هذا مزور عليهم .. قال شمس : علقها يا صفوت وأنت يا حمزة هات على عشماوى وحضر الكلاب .

وجاء على عشماوى .. كان على عشماوى يلبس « بيجامة » من الحرير المهفهف نظيفة . أنيقة . شعره ممشط لا يبدو عليه أى أثر للتعذيب . فلما رأيته واستعرضت فى ذهنى حالة الآخرين . وحالتى علمت بل تيقنت أن هذا المخلوق خان أمانة الله . وشهد على اخوانه زوراً فهوى فى مهاوى الفساق . الفجار . الظالمين . وأصبح من رجال شمس بدران وذنبا من أذناب جمال عبد الناصر . الذين لا يعرفون قيما ولا أخلاقا ولا دينا .

قال له شمس بدران : يا على . ماذا أخذت من زينب الغزالى فى آخر يوم توجهت فيه اليها . وماذا قالت لك ؟

قال على عشماوى : أعطتنى ألف جنيه . وقالت لى .. النقود ستكون عند غادة عمار لتسليمها الى بيت الهضيبي أو بيت قطب . اذا قبضوا علىّ اتصل بغادة أو بحميدة ستعرف أين النقود اذا احتجتم اليها » .

فقال شمس بدران : كم كانت النقود يا زينب الغزالى ؟ ولماذا كنت خائفة عليها ؟

فقلت : كانت النقود أربعة آلاف جنيه . وهى قيمة اشراكات مجموعة من الاخوان

فى السودان . والسعودية . لمساعدة أسر المسجونين . ومصاريف الطلبة فى المدارس والجامعات . وايجار بيوت . صرفنا منها فى العيد الماضى الف جنيه على العائلات .. وهذا الواقف أمامكم هو الذى أخذ الألف جنيه ليعطيها لعبد الفتاح اسماعيل لحساب الأسر .

وقال شمس بدران : أنت يا على . ماذا أكلت عند زينب الغزالى آخر مرة ؟ فقال على عشماوى : أعطتنى طبق أرز بالكبدة وقالت لى : كل . ربنا يعينك ..

ثم قال : كفاية !! أخرج يا على . فخرج على عشماوى مصحوبا بسلامة ورعاية شمس بدران !!

وقال شمس بدران : هات عبد الفتاح . يا حمزة .

وبعد لحظات عاد حمزة البسيونى بعبد الفتاح اسماعيل .. كان يكسوه وقار الصادقين . ونور الموحدين . يلبس حلة سجن زرقاء . ممزقة . وآثار التعذيب تنطق بمدى ما لاقاه هذا المجاهد الصادق المؤمن الموحد .. وقال يوجه القول الىّ «السلام عليكم» .

فقلت «وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته» .

وقال شمس بدران : ماذا كنت تعمل عند زينب الغزالى يا عبد الفتاح ؟ لماذا كنت تذهب اليها ؟

ويرد عبد الفتاح بلسان صدق وحق غريب على الجاهلين : أختى فى الله .. كنا نتعاون على أن نبنى الشباب المسلم على مبادئ القرآن والسنّة . وبطبيعة الحال كان ذلك سيفضى الى تغيير الدولة . من دولة جاهلية الى دولة اسلامية ..

ويقول شمس بدران فى غلظة : أتخطب ؟! أنت لست على المنبر يا أبن الـ .. أخرج . أخرج .. ويخرج عبد الفتاح اسماعيل كما جاء .. بعد أن وجه القول الىّ «السلام عليكم ورحمة الله وبركات» .

فقلت «وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته» .

وأخذت شمس بدران ثورة عارمة فجرت القذارة على لسانه فانساب بأبشع الألفاظ وأقذرها !!

واسترحت .. نعم استرحت لشموخ الرجولة فى عبد الفتاح اسماعيل . مأخوذة بذروة الايمان فيه . وقلت فى سرى «الحمد لله» ان لله رجالا .. اللهم احفظهم لدعوتك يا الله . ان خان على العشماوى فهناك الموحدون الصابرون .. رواد الطريق وطلاب الحقيقة .

وتنبهت على صوت شمس بدران وهو يصرخ : خذوها بنت الـ .. وبكره تيجى ومعها الورق مكتوب . وأعطى حسن خليل لصفوت ورقا وقلما وأعادونى الى المستشفى وأمسكت بالورق والقلم . ماذا أكتب ؟ ماذا يريدون منا ؟ أيريدون أن نغضب ربنا ونخالف ديننا !! ؟ لا والله لن نكتب الا أننا فى سبيل الله قمنا وتحت راية القرآن سرنا لا اله الا الله . محمد رسول الله . لن نشرك بربنا ولا نعبد الا اياه . ربنا أفرغ علينا صبرا وثبت أقدامنا وتوفنا مسلمين . وأنتم يا فراعنة العصر اقضوا . انما تقضون هذه الحياة الدنيا . وغدا سيرى الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون .

وفى اليوم التالى جاء حمزة البسيونى ورياض وصفوت وأخذوا الأوراق وانصرفوا : وعادوا بعد ساعة تقريبا . وحملونى فى عربة لعجزى عن الحركة الى مكتب شمس بدران : الذى رأيته يمزق أوراقا يلقيها فى سلة المهملات وهو يقول : هذه أوراقك أنا سآخذ كوز دم من جسدك وتكتبين ما أريده بالدم .. وأعادونى الى المستشفى .. !! تحت اللعنات وضرب السياط .

عبد الناصر أمر بإعدامى !!

مكثت بالمستشفى عدة أيام تحت العلاج . فقد كنت قاب قوسين أو أدنى من الموت !!

وذات يوم قبيل الغروب اخذونى إلى مكتب شمس بدران .. لكنهم لم يدخلونى . بل أمرونى أن أقف ووجهى إلى جهاز كهربائى . يخرج صوتاً مزعجاً . وينبعث منه هواء ساخن ..

ظللت واقفة . ووجهى إلى هذا الجهاز اللعين . ليلة كاملة ! ! وفى الصباح أعادونى إلى المستشفى . دخل الدكتور ماجد ونظر إلى وجهى وقال لعبد المعبود التمورجى : «وجهها شديد الاصفرار .. هل أخذوها مرة أخرى الليلة ؟ فقال عبد المعبود : «نعم !

وبعد نصف ساعة أحضر لى عبد المعبود نصف رغيف أفرنجى وبداخله بعض المربى . وقال : الدكتور أمر لك بهذا ..

وعند الغروب أخرجت من المستشفى لأوضع فى حجرة قريبة من مكتب شمس بدران . ثم حضر الزبانية حمزة وصفوت ورياض وصاروا يتداولون فيما بينهم هامسين . وانصرف الأولان وبقى الأخير الذى انقلب إلى مسخ مشوه يلطم وجهه ويشد شعره ثم يفتعل حركات كما لو كان يريد تمزيق ملابسه ويصرخ عاويا متهما إياى بالجنون والغفلة . مهدداً بأنى إذا لم أطع شمس باشا اليوم فان حياتى سوف تنتهى . ثم يتساءل ان كنت أعلم أين ذهب عواد ورفعت واسماعيل الفيومى ؟ ويضيف أنهم يدفنون كل يوم فى السجن عشرة كلاب من الاخوان . يدفنونهم فى جحيم عبد الناصر . فلما علّقت على هلوسته تلك بأن قتلانا شهداء فى الجنة . زاد من لطم وجهه وصاح مادام الكلاب والماء والنار والسياط وكل هذا العذاب لم ينفع معك .. فاليوم الباشا سيذبحك ... أخذ الأمر من جمال عبد الناصر ... ماذا ستفعلين .. ؟ !

قلت : الذى يفعل هو الله .

فقال فى بله : أنت تريدينا أن نفعل مثلكم ونخيب خيبتكم ؟ أنت تريدننا أن نترك روسيا التى تحكم نصف العالم ونتصاع لكلام شخص مثل الهضيبى أو سيد قطب أو حسن البنا ؟ أنتم مجانين .. إننا لسنا مثلكم .. ردى علىّ .

فقلت : «انهم كانوا اذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون . ويقولون أئنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون» وكانت هذه الآلهة هى الأصنام . والحكام سدنة الأصنام . وهم الذين رموا محمداً الرسول «صلى الله عليه وسلم» سيد ولد آدم . رموه بالجنون وهكذا يعيد

التاريخ نفسه فتقولون لمن يدعونكم إلى الله انهم مجانين : ويسيّركم الطاغوت الذى استخدمكم فى الباطل . وتسيرون خلفه أذلاء بثمن بخس : أرضيتم المخلوق وأغضبتم الخالق.

فجن جنونه وثارت ثائرته وهو يقول : أتريدون أن تعيدوننا إلى الجمود والتأخر ؟

وفتح الباب واندفع جند كالوحوش يلهبون جسدى بالسياط . وهو يضحك فى بله ويقول : والله يا زينب أنا خايف عليك ومشفق عليك ... وأنا أقول : «حسبنا الله ونعم الوكيل» .

قلت فى سخرية : شفقة وخوف ؟! ما هذا !! أنت تخاف ؟!

القضية كما تقولون وضحت كل عناصرها .. فماذا يهمكم اعترافى أو إقرارى ؟!! نعم وضح كل شئ .. وضح زوركم . وكذبكم . وإلصاق الجرائم بالأبرياء . لأغراض قد وضحت كذلك ..

أخذ المجنون رياض يضرب صدره . ويشد شعره ويصرخ : بأى قوة تعيشين ؟!!

كدنا نفقد عقولنا فيك .. الأطباء يقولون إذا لم يدخل لك طعام ستهلكين ..

ودخل حمزة البسيونى وصفوت . وقال حمزة : خيراً يا رياض .. ماذا فعلت معها ؟ أظن عقلت ؟!

ملأت نظرة بكل السخرية وصوبتها إلى حمزة البسيونى وقلت : لا أدرى من المجنون ؟

فنظر إلى حمزة فى جمود ولم يعقب . ثم استدار إلى صفوت وقال : هاتها يا صفوت إلى مكتب الباشا !!

فى مكتب الباشا

أجلسنى شمس على كرسى وقال : أعتقد أنه لا داعى للاستمرار فى العناد . أريدك أن

تكتبى ما نريد . فقلت : أتريد أن أكتب أننا كنا سنقتل عبد الناصر ؟ هذا أمر مستحيل والله ما كنا لنجتمع إلا لدراسة القرآن والحديث لنبيّن للناس كيف يخرجون من طاعة لطواغيت البشرية إلى طاعة الله فيعبدوه وحده ويقيموا دينه . لا يأتمرون إلا بما فى الكتاب والسنة . لا يعصون الله فيما أمرهم . ولكن يتحرون دوماً . ويجتهدون ألا يعصوه . وإن عصوه تابوا . واستغفروا .. ومع ذلك نحن نعتقد أن الحكم القائم حكم جاهلى يجب أن يزول . لا بالحديد والنار بل بوجود قاعدة إسلامية عريضة فى الأمة . فكيف تقولون اننا كنا سنقتل عبد الناصر ؟! .. لابد أن نخرجكم أولا من الجاهلية .. فعندما توجد هذه القاعدة ستقوم الدولة الاسلامية حتما انهالت السياط من مردة الانس فصرخت بأعلى ما استطعت : «لن أكتب لن أكتب . فاقتلونى . فالدنيا لا تساوى عندى شيئا ..

والتفت الىّ شمس بدران يسأل : الورق الذى مزقته لم تذكرى فيه شيئا عن عبد العزيز على . فسألت : ومن عبد العزيز على ؟ فقال شمس بدران : عبد العزيز على باشا الذى عينه عبد الناصر وزيراً ولم يحفظ هذا المعروف وعض اليد التى أكرمته . وتنكر لعبد الناصر.

فقلت على الفور وقد طفا الاسم إلى ذاكرتى : عبد العزيز على . صاحب حركة اليد السوداء ضد الانجليز ؟ عبد العزيز على من كبار رجال الحزب الوطنى . لقد كان عبد الناصر وزملاؤه يجلسون على الأرض أمامه يستمعون منه دروساً فى الوطنية .. اننى أعرف أنه رجل عظيم . وهو صديق زوجى . وأخى فى الله . وزوجته من أعضاء المركز العام لجماعة السيدات المسلمات وصديقتى وأختى فى الله » فسأل فى تهكم : ألم تضميه إلى تنظيم الأخوان ؟!!

أجبت : كان يشرفنا ذلك إنه كما قالت الخنساء . علم فى رأسه نار .. » .

فصرخ شمس بدران فى عجرفة تخجل منها عجرفة الجاهلية : وايه كمان عندك من الكلام الفارغ ؟! .. ونزلت السياط ..

بعدها فترة راحة وتشاور هامس فيما بينهم . ثم قال حسن خليل :

نريد أن نعرف . لماذا عرّفت عبد العزيز بعبد الفتاح عبده اسماعيل . وأين تم هذا التعارف ؟

أجبت : عندما كسرت رجلى بفعل رجال مخابراتكم . كان يزورنى فى المستشفى هو وزوجته . واستمرت زياراته فى البيت عندما تركت المستشفى . وتصادف يوماً أن جاء عبد الفتاح عبده اسماعيل لزيارتى وكان عبد العزيز على موجوداً فتعارفا .. هذا كل ما أتذكره بالنسبة لهذه الواقعة .

فقال حسن خليل : ياست زينب . سنسلّم معك أن تعارف عبد العزيز على وعبد الفتاح عبده اسماعيل كان مجرد لقاء عابر . فكيف تعرّف عبد العزيز على فى بيتك وبواسطتك بفريد عبد الخالق ؟

فقلت : عندما جاءت الممرضة لإجراء العلاج الطبيعى لساقى المكسورة . خرج عبد العزيز على وجلس فى الصالون . وفى هذه الأثناء حضر فريد عبد الخالق فجلس فى الصالون . وكان لا يعرف عبد العزيز على بعد . وعندما انتهت جلسة العلاج . وانصرفت الحكيمة . دخل فريد عبد الخالق ليرانى . ودخل عبد العزيز على ليستأذن فى الانصراف . فقدمت كلاً منهما للآخر » فصرخ شمس بدران وكان فى قمة للضيق : نادوا صفوت ! !

ولم أفق إلا فى المستشفى . وقدماى فى الضمادات وآلام حادة تدق عظامى . وتفرى كل جسمى ! ! ..

الوهم الكبير !..

مكثت بضعة أيام فى المستشفى تحت العلاج . ثم حُملت إلى مكتب شمس بدران ! !

ويصر شمس بدران على وهمه الكبير . ويلف ويدور حوله . حتى يخيل إلىّ أنه من كثرة ترديده هذا الوهم . قد وقر فى نفسه حقاً . وأصبح حقيقة واقعة فى عقله ..

(الاخوان المسلمون دبروا واتفقوا على اغتيال جمال عبد الناصر !! ؟!)

وينظر إليّ شمس بدران ودهشة كبيرة تملأ عينيه . وتملأ قسمات وجهه . ويقول مستنكراً : أأنت على قيد الحياة ؟!!

ثم يقول متعجباً : «بعد كل ما جرى عليك ولك ؟!! » .

فأرد : قال الله تعالى (**قتل أصحاب الأخدود**) والذين قتلوا أصحاب الأخدود كانوا محانين بالباطل والزور والبهتان . أما الذين قُتلوا فى الأخدود . وبأيدى أصحابه . فكانوا أصحاب رسالة . وحملة أمانة .. مصرين على أن يؤدوا أمانتهم . ويبلغوا رسالتهم .

فقال شمس بدران : إننا لا نفهم هذا الكلام ولا يستهوينا هذا الأسلوب يامجنونة ! أمازلت تعتقدين فى وجود إله ؟! أنتم مهزومون من سنة ١٩٤٨ إلى الآن — انهزمتم لما قاومتم فاروق . وانهزمتم عندما قاومتم الثورة فى سنة ١٩٥٤ وانهزمتم عندما قاومتم الثورة فى سنة ١٩٦٥ . فأين ربكم الذى تزعمون ؟!!

فقلت : إننا انتصرنا فى سنة ١٩٤٨ . وانتصرنا فى سنة ١٩٥٤ وانتصرنا فى سنة ١٩٦٥ .

فقال : إننا نعلقك كالدجاجة .. نرميك فى الماء .. نرميك فى النار .. نقذف بك إلى الكلاب . لماذا لم يمنعنا ربكم عنكم . إن كان موجوداً يامهزومين ياأولاد الـ ..؟!

وقلت : **أما كونكم منتصرين علينا بهذا الجلد . وبتلك الألوان من العذاب فهذا أمر تتوهمونه . أنتم تخافون منا !!** .

فقال غاضباً : أسكتى ! أنتم مجرمون .

فقلت : كلا .. لسنا مجرمين . نحن حملة رسالة . وأمناء أمة . ودعاة حق . وعلامات على طريق النور .

فقال : أريد أن تشرحى لى كيف أنكم منتصرون علينا !

فقلت : نحن منتصرون عليكم ، طالما نحن أغنياء بالله ، أقوياء به سبحانه ، متوكلون عليه ، مكافحون ، مقاتلون مجاهدون فى سبيله . ولكن أمراً واحداً يثبت أننا منهزمون لو تخلينا عن اعتقادنا بوجوب الجهاد لرفع راية التوحيد وإعلاء كلمة الإسلام ..إن الإسلام فى حقيقته : دين ودولة ، سياسة داخلية ، سياسة خارجية ، نظام أمة ، نظام مجتمع ، سلامٌ يملأ الدنيا عدلاً ، وحرب تُخلّص العباد من عبادة الفرد إلى عبادة الله الواحد القهار ، ولا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق .. إن العبد الذى أسلم وجهه لله تعالى بصدق ويقين أصبح متصلا بالله سبحانه رب كل شئ ، فكيف يخاف خلقه من اتصلت روحه بعالم السماء وتعلق قلبه بالفردوس فهانت عليه الدنيا فقد عرفها .. أما أنتم أيها الضالون المكذبون ماذا تستطيعون ؟ تمزقون أجسادنا ، تقتلوننا ، ترهبوننا ، تمنعون عنا الماء والطعام .. السياط فى أيديكم ، وسائل التعذيب رهن إشارتكم ، كل ذلك فى ضمائرنا شىء هين ، تفرقون منا خوفا .. لماذا ؟ لأننا حزب الله وأنتم حزب الشيطان «**إن الذين يحاربون الله ورسوله أولئك فى الأذلين كتب الله لأغلبن أنا ورسلى إن الله قوى عزيز**»[1] .

أثارت لغة الإيمان وأثار منطق التوحيد ، جاهلية شمس بدران وحيوانيته ، فصرخ كالملدوغ : صفوت صفوت ! ! علقها واجلدها خمسمائة جلدة ! ! وجُلدت .. وأنزلت ، وسئلت نفس الأسئلة ، وأصررت على ما أجبت به .. فيعود شمس بدران إلى صراخه «علقها يا صفوت واجلدها مائتين وخمسين جلدة ! ! وعُلقت ، وجُلدت .. وأفقت من غيبوبتى لأجلنى فى المستشفى محاطة بعدد من الأطباء يقومون باسعافى وتضميد جروحى ! !

مكثت فى المستشفى عدة أيام تحت العلاج ، ثم حملونى إلى مكتب شمس بدران على نقالة ! ! ..

رفعونى على كرسى أمام مكتب شمس بدران ، وقال : يابنت الـ .. لن ينفعك العناد .. إنزلى عن عنادك حتى يمكن أن ننتهى من التحقيق معك ونرسلك للنيابة .

نظرت إليه بكل ما تبقى لى من رمق ، قائلة فى استنكار : نيابة ؟!! وأنت من ؟

قال : إننا نجهزك للنيابة !!

فقلت : ماذا تريد منى ؟

قال مهدداً : إعتدلى فى إجابتك فلم يعد بك قوة للجلد .. وصفوت كما تعلمين على أتم استعداد .. !!

قلت : الله الفعال والمعين.

قال : محمد قطب . وشباب الاخوان كانوا يجتمعون فى بيتك ، لماذا ؟

قلت : اعتاد الأستاذ محمد قطب وشقيقتاه أمينة . وحميدة ، زيارتى ..

فقاطعنى شمس بدران وقد كست ألفاظه ما تعودته منه من بذاءات وفحش : أنا أقول . محمد قطب . وشباب الأخوان . أولاد الـ .. كانوا يجتمعون عندك . لماذا ؟

أجبت على بذاءته : الشباب الفاضل . المسلم العامل . اعتاد بعضه أن يزورنى . وقد يلتقون بالأستاذ محمد قطب صدفة ..

فيصرخ : يابنت الـ .. أنا أقول . كان الشباب يطلبون منك أن تهيئ لهم الاجتماع بمحمد قطب . فكان يحضر عندك للغداء هو وهؤلاء الشباب . وبعد الغداء يتم اللقاء وينعقد الاجتماع .. لماذا ؟

فأرد بكل ثبات وطمأنينة : لما أصدر الأستاذ محمد قطب كتابيه «جاهلية القرن العشرين» «والتطور والثبات» طلب بعض أبنائى . واخوانى من شباب الدعوة أن يجتمعوا بالأستاذ محمد قطب ليسألوه عن بعض أشياء فى الكتابين استغلقت على فهمهم . واستجاب الأستاذ لدعوتهم عدة مرات .

ثم يسأل : ولماذا كان يحضر عبد الفتاح عبده اسماعيل هذه الاجتماعات ؟

فأرد : لأنه من خيرة شباب الإخوان المسلمين . ومن صفوة رجالها ..

فيجيب فى سخرية جاهلة : والله عال من الصفوة يابنت الـ !! »

ثم يزيد : فى أى أجتماع من هذه الاجتماعات اتفق هو ومحمد قطب على قتل عبد الناصر؟ قلت : قصة قتل عبد الناصر هذه أنتم اخترعتموها .

قال شمس بدران : لماذا لم تشتغلى بالمحاماة وتكفينا قرفك هذا !

فقلت : الحمد لله الذى أقامنى فى خير ما يقيم فيه عباده .. داعية إلى الله وسأظل بفضله إن شاء الله .. فقام مسرعا يركلنى وهو يقول : نهايتك على إيدى اليوم .. يابنت الـ ..! ثم بعد فترة : إيه التنظيم الذى أفتيه مع محمد قطب ؟ اتفقتم على من يقتل جمال عبد الناصر ... عبد الفتاح عبده اسماعيل أو الولد الفيومى ؟

فقلت : الفيومى قتلتوه خلاص ..

فضحك ضحكاً عالياً وقال : ما انت عارفه أهوه كويس ! ياصفوت .. ياصفوت وديها للفيومى !..

فأخذ صفوت يصب علىّ نار سوطه المجنون !! .. فأسقط فى إغماءة وأنقل الى المستشفى لمعاودة إعدادى وتجهيزى لسماع مهاترات شمس بدران وعصابته ولمزيد من التعذيب والتنكيل وإهدار الانسانية على مذبح شهوة السلطان !..

إصرار شمس بدران على وهمه

مرة أخرى نقلونى إلى مكتب شمس بدران !! .. لقد عاد إلىّ الوعى بعد أن فقدته تحت سياط الزبانية .. فلا بأس من العودة الى مكتب التعذيب .. مكتب شمس بدران !! .. نعم ، حملونى على نقالة الى مكتب شمس بدران !!

كان شمس بين عصبة من أعوانه . وبادرنى عندما أجلسونى على كرسى أمام مكتبه : يا بنت الـ .. لم يعد بك أدنى احتمال لأدنى قدر من التعذيب ، فارحمى نفسك ، وإلاّ

قسماً برأس عبد الناصر أدفنك مع الفيومى وغيره .

وأضاف واحد من الأذناب : اسمعى يازينب . ردى على سعادة الباشا . وفكرى فى مصلحتك . لننتهى معك إلى حل ..

واسترسل شمس بدران : تذكرى جيدا . جاء إليك شخص من طرف فؤاد سراج الدين . وطلب منك أن تتفق مع الاخوان المسلمين ليتعاونوا مع الوفد لإزالة حكم عبد الناصر . وقال لك هذا الشخص بأن هناك رجالاً فى مكتب المشير عامر سيتعاونون معكم ومع الوفد .

فقلت وأنا أضغط على الكلمات من فرط دهشتى على قدرة هؤلاء الشياطين على التلفيق والتزوير : هذا محض كذب . إن فؤاد سراج الدين لم يرسل إلىّ أحداً فى مثل هذا الأمر ولا فى غيره . ولم ألتق بفؤاد باشا من حوالى أثنتى عشرة سنة .. ولكى أكون دقيقة فى شهادتى . فإن زوجى الحاج محمد سالم سالم كان فى مزاد . والتقى . مصادفة . بمعالى فؤاد باشا سراج الدين . فسأل زوجى عن صحتى وأحوالى . وكلفه أن يبلغنى سلامه وتمنياته .

وهوت السياط الملعونة . كأنها ألسنة لأفاعى جائعة تصب زعافها أينما حطت . أو كألسنة اللهب تشوى ما يصادفها .. وكانت قدماى لا تزالان ملفوفتين بالضمادات . وجروحى لم تلتئم .

ويتساءل الزبانية وسياطهم تتصارع على قدمى وجسدى : فؤاد سراج الدين أرسل اليك أم لا ؟ » .

وأرد : لم يرسل إلىّ !!

فيأمر شمس بدران بزيادة وطأة التعذيب . فيغمى علّى . ويوقف الجلد وأنقل على نقالة إلى المستشفى !! .. ثم تبدأ الدائرة من جديد . وأعود إلى مكتب شمس بدران مرة ثالثة .. !! ويقول شمس بدران . وقد أخذته العزة بالإثم : افهمى أنه لا يقف أمامنا أى

شيء .. إننا ندفن منكم كل يوم عشرين كلباً . وصحراء السجن الحربي بطنها مستعدة لبلع مئات الألوف .. وقسماً برأس عبد الناصر إن لم تسلكى كما نريد . لأدفنك مثل الكلاب التى أدفنها كل يوم ..

لم أنظر اليه . ولم يبد علىّ أى أثر أو تأثير من سفاهته وجاهليته . فاستشاط غضباً وقال : ردى علىّ وإلا علقتك وجعلت نهايتك تحت السياط

فقلت : لا إله إلا الله الفعال وحسبنا الله ونعم الوكيل . ربنا أفرغ علينا صبراً وتوفنا مسلمين .

فقال شمس بدران : هات الكلاب ياصفوت ؟!!

ويحضر صفوت كلبين من الكلاب المدربة . ويطلقها علىّ . فيهجمان علىّ كما يهجم الوحش الجائع على فريسته .. !!

وأستعيذ من أذى الوحشين بقولى : اللهم إنى أعوذ برضاك من غضبك . اللهم فادفع السوء عنى بما شئت وكيف شئت .

وقال حمزة البسيونى : يا باشا وجهها أصفر وأشرفت على الموت .

وقال شمس بدران فى غطرسة : اخرج الكلاب ياصفوت . وخذوها ارموها تموت فى المستشفى ..

وعدت إلى المستشفى على نقالة !!

وفى منتصف الليل .. فى جنح الظلام . ومرة رابعة إلى مكتب شمس بدران !! إنها الحقيقة .. الحقيقة المرة المؤلمة التى تجرّع كأسها فريق من المواطنين إشباعا لشهوة الانتقام . وتخطيطا لهدم الدين الإسلامى بإبادة دعاته . وحتى تنطوى ، فى زعمهم ، مظلة لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله . وتنتشر مظلة الكفر ويعم تيار الإلحاد ..

وما كادوا ينزلوننى من النقالة إلى مقعد فى مكتب شمس بدران ، حتى أغمى علىّ

فأحضروا عصير ليمون وأسقونى إياه . وحقنونى فى ذراعى فارتد إلىّ الوعى ..!

وقال شمس بدران : يابنت اتعدلى ، يازينب أنت صعبانة علينا إننا لسنا وحوشا كما تقولين .. والرئيس جمال عبد الناصر قلبه كبير وسيغفر لك إذا قلت الحقيقة .. اعملى لمصلحتك فقط .. قولى الحقيقة يازينب .. فقلت : الحقيقة .. قولوا لعبد الناصر انكم المغتصبون المعتدون على سلطان الله توبوا إليه وارجعوا . اخرجوا من باطلكم إلى الحق ، من ظلمكم إلى العدل . ومن ظلامكم الى النور ..

إن الذين يؤيدونكم فى باطلكم وتستعملونهم مخالب باطل ، وعدوان ، وجريمة قلوبهم مريضة . وأنتم مرضى .

وتساءلوا فى دهشة مشوبة بثورة أو فى ثورة مشوبة بدهشة :

هىّ دى الرسالة اللى عايزانا ننقلها لعبد الناصر ؟!!

فقلت باصرار وبغيظ : انى لم أقلها الا لتنقلوها اليه !!

وكان الجواب على « تطاولى » هذا الهاب جسدى بالسوط .. ثم يردد عدد منهم فى استنكار وارتعاد : دى بكل تأكيد مجنونة .. مجنونة .. مجنونة .. فى حاجة الى علاج بالجلسات الكهربائية !..

وما أن ينتهى المرتعدون الذين قلوبهم هواء من استنكارهم (لتطاولى) على سيدهم ، حتى يعلو صوت المسخ المسمى شمس بدران : الكلاب اللى مجوعينها من امبارح .. فين يا حمزة ؟!

ويردف حسن خليل بصوت تمثيلى : يازينب حرام عليك ، إنت قريبة من الموت .. انقذى نفسك . محدش من الاخوان راح ينفعك كلهم عملوا لمصلحتهم وأنقذوا أنفسهم .. أرجو أن يسمح الباشا بإحضار على عشماوى ليذكرها بالشخص الذى جاء اليها من طرف فؤاد سراج الدين .

وقال شمس بدران : تذكرى يابنت الـ .. وإلا واجهناك بعلى عشماوى ..

فقلت : على العشماوى باع نفسه لطواغيت الباطل والجريمة بثمن بخس ، فخسر الدنيا والآخرة .. وقصة سراج الدين قصة مدبرة المراد بها أن تذلوا الرجال.. رجالاً ذوى قلوب . وضمائر . ورؤوس مرفوعة ..

ودخل حجرة التحقيق ضابط يدعى سعيد عبد الكريم اشترك معهم ثم قال : يازينب . سأفكرك بشىء قد يساعدك فى موضوع سراج الدين .. ألا تعرفين الحسينى عبد الغفار . كان فى الاخوان المسلمين ثم انشق عنهم مع شباب سيدنا محمد . وتفاهمت أنت معه عدة مرات ليعود إلى صفوف الاخوان المسلمين . لأنك حريصة على أن يبذل جهده داخل صفوف الجماعة ؟

فقلت : حسبنا الله ونعم الوكيل الحسينى عبد الغفار هو أخى فى الله . وكان فى الأخوان المسلمين كما كان فى شباب سيدنا محمد . وتكلمت معه فعلاً ليعود إلى صفوف الاخوان المسلمين . ولكنه اعتذر عن ذلك . وليس له علاقة بسراج الدين ولا بالوفد .. وكان رئيس شباب الأحرار الدستوريين يوما وذلك يجعله مناوئا للوفد لا متفقا معه .

فقال حسن خليل : هذا صحيح لكن عندما تكون المسألة اتفاق الدستوريين والسعديين والوفديين والإخوان المسلمين تكون المسألة فى طريقها الطبيعى ! !

فقلت : ليس هذا حق . وهناك مسافة بين الإخوان وغيرهم الذين لم يدرسوا النظرية الإسلامية بتكتيكها الإلهى . وأيدلوجيتها الربانية . وأشار شمس ونزلت علّى السياط . وقال عبد الكريم : نرجوك يا باشا خليها تكمل قال عبد الكريم : كملى يازينب قلت :

أما الاخوان المسلمون فيأخذون الإسلام عقيدة يبحثون فى منابعها ويدققون فى مصادرها . تلقوها من الله تعالى على يد رسوله صلى الله عليه وسلم .. بمعايشتهم للكتاب والسنة . والأرض عند الإخوان لها وزنها وقدرها مادامت أرضا للإسلام فى سبيلها يستشهدون وعن حياضها يذودون . يحررون الأرض لله كما يحررون البشر لله . يعيدون

الأرض لله كما يعبدون البشر لله .

وعلى الأرض المعبدة لله وبالبشر المعبد لله تكون الأمة ويكون المجتمع المسلم .

لم يحرر محمد صلى الله عليه وسلم عند بعثته الأرض ثم يدعو الناس إلى التوحيد ، ولم يدع ولم يناد بالاصلاح الاجتماعى ثم يدعو الناس إلى التوحيد ، ولم يدع الى تقسيم المال بالسوية ثم يدعو الناس للتوحيد ، لم يدع لاصلاح جزئى . ولكن محمداً صلى الله عليه وسلم ، دعا إلى التوحيد فأسلم رجال وآمنوا بأنه لا معبود إلا الله ولا حاكم إلا الله ، ولا رازق إلا الله ، ولا ضار ولا نافع إلا الله ، وهو المحيي المميت ، ولا مدبر ولا مشرع الا الله ثم كانت الهجرة إلى المدينة بالسابقين السابقين الأولين من المؤمنين .

ثم كانت بدر الأولى نداءاً لقيام الأمة ، وتوالى نزول القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم بالتشريعات وبالحدود ، وبالحلال والحرام . وقامت الأمة فعلا ، وملأت الأرض عدلاً ونوراً وحقاً ..

قال شمس : بعد الدوشه دى هاتحكى حكاية سراج الدين ؟ قلت : أمر لفقتوه .. إن الذين قالوا ذلك مأجورون مزورون ، ليس عندى ما أحكيه عن فؤاد سراج الدين إلا أنه كان رجلا وطنيا يخدم بلاده وأعتقد أنه الآن معتزل أى نشاط ..

قال شمس : هات الكلاب يا صفوت !!

قفزت علىّ الكلاب والوحوش البشرية تشبعنى ضرباً ونهشاً والدماء تسيل هنا وهناك .. سارع الطبيب الواقف معهم بوقف جلدى ولكن هيهات .. هيهات .. انطلق أذان الفجر ينير سكون الليل فأحسست ببرد وسلام مع هذه السياط التى لا تلين ولا تكف فتذكرت أمر الله : **«يانار كونى بردا وسلاما على ابراهيم»**

تباركت يارب وتعاليت فأنا حفيدة ابراهيم أول الموحدين وجد النبى ، أن رحمتنى من أبالسة يسوؤهم أن أقول : ربىّ الله لا أشرك به أحداً .. **«قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون ..»**

أفقت لأجدنى فى المستشفى . لا أدرى للمرة الكم . وإن كنت واعية تماماً لما ينتظرنى .

تسلط الأقزام وتحكم الهوى

عندما تصير الأمور إلى الأقزام .. عندما يكون الحل فى أيدى الجهلة الغافلين . تنقلب السلطة تسلطاً . ويكون الرأى وبالاً . والحكم غبناً . لأنه يصدر عن هوى . ويشبع ميلاً . ويقيم زيفاً ..!!

وهكذا . كانت الأقزام متسلحة بالسلطة تتسلط على الرجال . فتحطم «الكرامة» . وتمزق الكبرياء . وتذل الإباء والشمم . فى أيام كان القانون فيها فى سبات عميق .. والإنسانية فى أجازة طويلة .. والرحمة رحلت عن ديارنا .. !!

وسألنى شمس . و سألنى أعوانه . عندما حملونى إلى مكتبه : قولى يا بنت يا زينب .ما رأى الحسينى عبد الغفار فى الكلام الذى بلغك من فؤاد سراج الدين . ومن الذين كانوا سيتعاونون مع فؤاد سراج الدين من مكتب المشير عامر ؟ وماذا طلب من الإخوان المسلمين للقيام بالإنقلاب ؟

فأجبت : الحسينى عبد الغفار أخى فى الله . ولا أعلم شيئاً عما أسمع من إفك وكذب .

فتساءل حسن خليل وسعد عبد الكريم : اسمعى يازينب . ألم يقابل الحسينى عبد الفتاح اسماعيل فى بيتك ؟ . ألم تكلمى الحسينى لينتظم فى صفوف الاخوان المسلمين ؟

قلت : أنا تكلمت مع الحسينى ليعود الى صفوف دعوته وليس هذا جريمة . الحسينى رجل مؤمن بدعوة الاخوان . وإن لم يكن منتظماً فيها . فإنه يتمنى أن تتحقق مقاصدها . وأن تهتدى الناس إلى مقاصد الكتاب وغاياته . وإلى مراد السنة وأهدافها . وقد تقابل الحسينى مع عبد الفتاح اسماعيل فى بيتى وأخذا يتحدثان عن الإسلام وما أصاب المسلمين من انحطاط وتأخر ثم انصرف الحسينى عبد الغفار . وقد تقابل الحسينى مع عبد الفتاح اسماعيل فى بيتى مصادفه ثم قال لى عبد الفتاح عبده اسماعيل : الحسينى رجل

صالح وطيب وعالم مخلص . وله مع الصوفية إستغراقات وتجولات .

فقال أحدهم : الحسينى قال كل شئ . لكن أنت تريدين أن تكونى الفداء لكل الاخوان المسلمين . وحتى الحسينى وفؤاد سراج الدين . وتبعديهم عن المسئولية .. اننا نمنحك فرصة أخيرة لتراجعى فيها نفسك بخصوص رجال الوفد . وبعض رجال مكتب المشير عامر .. ما رأيك فى هذه الفرصة .. وسنواجهك بالحسينى وفؤاد سراج الدين ولكن بعد أن نخرج عينيك وتصيرين عمياء .

فقلت : الحمد لله نرى بقلوبنا «**انها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور**» .

وصرخ شمس بدران كمن لدغته أفعى : «هات الكلاب ياصفوت !!

فتدخل أحد الأعوان يهدئه : لا عليك ياباشا . إنها لا تدرى أين مصلحتها ولا تقدر النهاية !!

فقلت : النهاية بيد الله وليست بأيديكم . الله الفعال ذو القوة المتين .

وقال آخر من شلة الضباط المحيطين بشمس بدران : يأمر الباشا بإحضار الحسينى عبد الغفار» . ثم نادوا صفوت لإحضاره . وقال شمس بدران فى كبرياء الجاهلية : خذوها إلى المستشفى الآن !!

إنهم كالخفافيش يعشقون الظلام . ولا ينشطون إلا فيه .. فى الليل حملونى وأجلسونى على مقعد فى مكتب شمس بدران . وبعد لحظات دخل الحسينى عبد الغفار .. كانت ذراعه مكسورة ملفوفة فى جبيرة ومعلقة إلى صدره .. وكانت قدماه فى ضمادات سميكة .. وكانت آثار التعذيب الوحشى — بل الجاهلى — بارزة على كل جزء من جسده .

قال الحسينى عبد الغفار عندما دخل السلام عليكم .

وقلت وعليكم السلام .

ونظر إليه شمس بدران فى سخرية وسأل فى تهكم : ياحسينى . ما هى قصتك مع زينب ؟

وقال الحسينى : الورق مكتوب فيه كل شئ .

فأخرج شمس بدران أوراقاً وأعطاها للحسينى وأمره بقراءتها .

كنت غير مشغولة بالأوراق التى بين يدى الحسينى . ولكنى كنت أفكر كيف أجيب على هذا الشيطان بما يخفف عن الحسينى أو يرفع عنه العذاب . ويقينى أن الحسينى عُذّب حتى يكتب ما يريدون . وأخذ الحسينى يقرأ فى الأوراق التى أعطاها له شمس بدران . أشياء كثيرة لم أحس يوما أن الحسينى يعتقدها أو يدعو لها أو يتكلم بها . كل ما قرأه لم يكن صحيحاً ولا واقعاً وانما خيالاً مريضاً .. سألنى شمس : ما رأيك ؟ قلت : انه الاكراه للاخوان والبطش والعذاب حتى يقولوا ما تريدون !

فقال شمس : وهل ما سمعتيه كذب ؟

أجبت : الحسينى لا يكذب . ولكنى على يقين أنه قد عذّب حتى .. فصرخ شمس مقاطعاً غاضباً . ماذا تقصدين ؟ الكلام الذى قرأه الحسينى ألم يقله لك ؟!

وقال حسن خليل : إننا نريدك أن تقولى هل ما سمعتيه من الحسينى حصل أم لا ؟

وقال آلآخر : هل ستحرقين نفسك من آجل الحسينى كما حرقتيها من أجل الاخوان ؟

فأجبتُ : أنا لا أحرق نفسى ولكن أحييها .

قال شمس بدران : أنت يا حسينى بلغت زينب رساله من فؤاد سراج الدين ؟

فقلت وأنا أوجه الكلام إلى الحسينى : أنت ياحسينى بلغتنى رسالة من فؤاد باشا سراج الدين ؟

فقال الحسينى : فؤاد سراج الدين الصغير وليس معالى الباشا .

فقلت : أنا لا أعرف إلا فؤاد باشا سراج الدين من هو فؤاد الصغير ياحسينى .

فقال الحسينى : ابن عم فؤاد باشا .

فقلت للحسينى : وما تلك المسألة ياحسينى .

فقال : أنا قلت إن المسألة كانت عبارة عن نكتة رواها لى على سليمان وأنا ذكرت هذه النكته أمام الحاجة زينب !!

فقال شمس بدران للحسينى : اخرج ياحسينى .

فقلت لشمس بدران : حسبنا الله ونعم الوكيل ! .. النكته صنعتم منها مؤامره !..

وفؤاد باشا سراج الدين لم يسلم منكم يا ظلمه .

ثم نادى شمس على صفوت وعادت السياط لتنهال من جديد .

ثم قال شمس : خذها يا حمزه للمستشفى .

عذاب ..!! وفى المستشفى

فى اليوم التالى دخل زنزانتى فى المستشفى حمزة البسيونى ومعه رجل يرتدى الملابس العسكرية برتبة لواء ومعهما التمورجى عبد المعبود — وقال حمزة البسيونى لعبد المعبود : اذهب وأحضر كرسياً ومنضدة صغيرة . وفى لحظات عاد عبد المعبود بالكرسى والمنضدة .

وضع حمزة البسونى ورقاً أبيض على المنضدة وقال لعبد المعبود : اجلس إلى هذه المنضدة واكتب كل ما ستمليه عليك .

وجاء صفوت الروبى يحمل ملفات متضخمة . أخرج حمزة من كل ملف ورقة وقال لى : كل هذا الكلام تدونيه فى أوراقك . هو من كلام الهضيبى . وسيد قطب . وعبد

الفتاح اسماعيل . وهواش . وأحمد عبد المجيد . ومرسى مصطفى مرسى ، وصبرى عرفة . وفاروق المنشاوى . وعبد العزيز على . فقلت لهم : سأكتب ما أعرفه . ليس لى علاقة بهذا الكلام .. اننى لا أصدق ولا أعتقد أنها للاخوان الذين تدعون أنها لهم ..

قال حمزة البسيونى : ردى كما ينبغى . سنرسلك إلى مكتب شمس باشا . وتذوقين العذاب ألواناً كما تعرفين .

وما أمليت على عبد المعبود الا ما يرضى الله ربنا هو ولينا ونعم النصير ..

وفى صباح اليوم التالى أخذونى إلى مكتب شمس بدران ووضعونى على مقعد . أخد شمس بدران أوراقا وأخذ يمزقها ويرمى بها فى سلة المهملات . وقال فى أسلوب يترفع أى مخلوق فى أدنى درجات الإنسانية ويتمتع بأقل قسط من الأخلاق أن ينحدر اليه : انت يـا بنت الـ .. تريدين أن تهدمى كـل التحقيقات وتبطلى كـل أقوال الاخوان؟ الكلام الذى قاله الاخوان مضبوط . إجابات الاخوان أنت ملزمة بتأييدها فى أقوالك . أنت ملزمة بكل ما قاله الاخوان ..

فقلت : أنا ملزمة بالحق الذى أعتقده . اننى لست ملزمة أن أقول إلا ما أعتقده ، وغير ملزمة بأن أصدق أن هذه الإجابات من أقوال اخوانى . **واجهونى بهم جميعا** . **ان سياطكم وتعذيبكم قد انتزعتها منهم .. انتزاعاً** ..

فصرخ شمس بدران : خذها ياحمزة . أنا أريدها جثة أوقع تصريح دفنها ! ..

أخذونى إلى حجرة وأغلقوها علىّ . وبعد ساعة أخرجونى منها . وأوقفونى تحت سياط الكرابيج ووجهى إلى الحائط أمام جهاز تكييف— وظللت واقفة ما يقرب من الست ساعات وكأننى كنت واقفة على مسامير محماة . فقد كانت آلآلام حادة تفرى قاع قدمى من نوبات الجلد المستمرة .

وفى منتصف الليل— **ودائما الليل**— أعادونى الى مكتب شمس بدران الذى قال

لى : يازينب . اسْلكى معنا .. الرئيس جمال عبد الناصر سيغفر لك .. وأكثر الاخوان اعترفوا .. إن سلكت ستقابلين جمال عبد الناصر صباح غد . وتعودين إلى بيتك فوراً . وبعدها سيلغى قرار حل المركز العام للسيدات المسلمات . وسيتقرر إعطاؤك **خمسين ألف جنيه** كإعانة للجماعة . وكدفعة أولى لبناء أرض الجماعة فى مصر الجديدة . وعشرة آلاف جنيه لإعادة صدور المجلة .

وسأل رجل من الجالسين بالمكتب : هل جماعة السيدات المسلمات لها **أرض** فى مصر الجديدة يازينب ؟

فأجبت : نعم . عندها ستة آلاف متر .

فقال نفس الرجل — والذى عرفت أنه صلاح نصر فيما بعد — وماذا كانت ستفعل الجمعية بهذه المساحة الكبيرة من الأرض ؟

فقلت : كانت الجمعية ستبنى داراً لتربية الفتاة المسلمة . ودار ضيافة للمسلمات وقاعه محاضرات . وداراً للمركز العام . ومسجداً . وجمعية لتحفيظ القرآن الكريم . ومدرسة اعدادية وابتدائية ومعهدا للواعظات .

فتساءل : ومن أين لكم بالأموال ؟

فأجبت : من **التبرعات — والعمل على مراحل** .

فقال : إذن . إنها فرصة جميلة يمنحها لك الرئيس جمال .. تعودين إلى بيتك وتعود الجماعة .. وثقة الرئيس نتائجها كبيرة ! !

فقلت : ثقتنا فى الله أكبر .. الله أكبر فى نفوسنا من الأرض ومن المال ومن كافة طواغيت الأرض المعتدين على حق الله وحق عباده أنا لا أريد أى شىء منكم . ولن أقبل أبداً أن أقابل عبد الناصر ولا أصافح اليد التى غمست فى دم اسماعيل الفيومى ورفعت بكر ومحمد عواد وغيرهم كثير وعبد القادر عودة وزملائه . لن أصافح اليد التى غمست فى هذا

الدم المبارك . إن هذا الدم سيقود على مدى السنين أجيال المسلمين الذين سيعودون إلى ماضيهم الزاهر المجيد . إلى مقعد المسئولية فى هذا العالم .. وتنهال اللكمات والركلات والضربات فأقع هامدة على الأرض . ويقول شمس بدران : ياحمزة خذها إلى رقم ٣٤ .

وأدخلت رقم ٣٤ !! .. زنزانة ضيقة مظلمة كالقبر الموحش ..!!

وأدخلوا معى كلبين . وأغلقوا الزنزانة .

تيممت وأخذت أصلى . وأنا لا أدرى أين القبلة .. وأنتهى من صلاة وأدخل فى أخرى . انشغالاً بالله لعله يصرف عنى ما أرادوه . وتسلق الكلبان ظهرى فى ركوعى وسجودى . وأخذا يخمشان رأسى . ووجهى .. وأنا أصلى وأستغرق وأسبح فى عالم الدعوات والتضرعات .

وبعد ساعة فتحت الزنزانة وسحبوا الكلبين وحملونى إلى المستشفى .

بعد العشاء أعادونى إلى مكتب شمس بدران .

قال شمس بدران : يازينب . انعقد فى بيتك اجتماع كان يضم أكثر من خمسين رجلاً من الاخوان المسلمين من كافة أنحاء الجمهورية — هذا الاجتماع كان منذ ثلاث سنوات . ماذا جرى فى هذا الاجتماع ؟

فقلت : صلينا المغرب جماعة . وصلينا العشاء ، ثم التراويح .

فقال : أنا أسألك . ما الغرض من هذا الاجتماع ؟

فقلت : لا أتذكر .

سأل : تناولوا الافطار عندك !

فقلت : عدد منهم .

فسأل : ولماذا كان الاجتماع ؟

فقلت : كنا ندرس الاسلام . وكيف نُقَاوم تيارات الإلحاد التى تغذيها وتنفخ فيها أجهزة الجاهلية وإعلامها .

قال : ولماذا عندك بالذات ؟

أجبت : لأننى من المسلمين إن شاء الله .

سأل : وأى جاهلية . وأى اسلام . وأى إلحاد ؟!

فقلت : لو قمت بجولة فى البلد لرأيت على أرصفة الشوارع أكوام الجرائد . ومجلات الإلحاد ونشرات الانحلال التى توزع بأثمان رمزية لنشر الشيوعية . والإلحاد والانحلال والتسيب فى كل شئ ..

فقاطعنى فى شبه صراخ : كفى . كفى .. كلام فارغ . هى أسماء المجتمعين عندك ؟

فقلت : لا أتذكر أسماءهم .

سأل : أحد المجتمعين ترك الاجتماع وقابل الهضيبى ثم رجع مرة أخرى بعد إتصالك تليفونيا بمنزل الهضيبى . من هذا الرجل ؟

فقلت : لا أتذكر . وكل ما يعلق بذاكرتى فى هذا الخصوص أنه سألنى أن أستأذن الهضيبى لمقابلته .. فماذا فى هذا ؟

سأل : كنتم مجتمعين لماذا ؟ أنا أسهل لك الاجابة ! الرجل الذى ذهب إلى الهضيبى أسمه عبد الفتاح الشريف أليس كذلك ؟

ثم أردف : سأعلقك إن لم تجبنى ثم أكمل ..

اتفقتم على قلب نظام الحكم وقتل جمال عبد الناصر.

فقلت : إتفقنا على محاربة الجاهلية . والتسيب والانحلال والالحاد . والعمل على نشر تعاليم القرآن وإقناع المسلمين بوجوب حكم القرآن والسنة .

فسأل مستنكرا : وماذا يعمل الأزهر؟ انطق ما هي وظيفة الأزهر ؟

علقها ياصفوت واجلدها .

وأنا تحت السياط أقول يا الله . يا الله . وأخذت أكرر الاسم الأعظم حتى أغمى عليّ .

الباب الخامس

وسمع فرعون

أفقت .. يا الهى .. اننى ما زالت على الأرض أمامهم جثة هامدة .. انهم أسعفونى .. وبصعوبة شديدة حاولت النظر فى الحاضرين فاذا بجمال عبد الناصر يتكئ على كتف عبد الحكيم عامر ويمسك فى يده نظارة سوداء .

عندما رأيت جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر . نسيت ألمى . ودبت فى جسدى يقظة غريبة . وانتابنى نشاط غريب ! !

أعطونى كوباً من عصير الليمون فشربته . رفعونى من فوق الأرض على مقعد . ثم أحضروا لى فنجان قهوة فلم أتردد فى تناوله ..

كان إحساسى بأن هناك شيئاً خطيراً سيحدث . فكل ما يدور حولى يقوى عندى هذا الإحساس ..

وقال شمس بدران وهو ينفخ : يا بنت يا زينب . أريد أن تجيبى على كل سؤال أوجهه اليك بصراحه والا .. ! !

افترضى يا زينب .. أن الإخوان المسلمين هم الذين يحكمون البلد . وأننا نقف أمامكم تحاكمونا . فماذا كنتم تفعلون بنا ؟

فأجبت فى قوة وشجاعة : نحن لا نسكن فى مساكن الذين ظلموا أنفسهم ولا نلوث أيدينا بما لوث به الظالمون أيديهم . نحن لا نغمس أيدينا فى الدم .. نحن لا نجلس فى مقاعد طواغيت الأرض .

فقال : اخرسى ! أنا باسألك . إن كنت جالسة على هذا الكرسى مكانى ماذا كنت تفعلين معى ؟

فقلت : نحن طلاب حقيقة . ورواد طريق . ليس فى حسابنا أن نصل إلى الحكم . إننا حملة لواء «**لا إله الا الله**» **نفتديه بالأموال والأرواح** .

«**إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة**»

فقال شمس بدران : اخرسى يا بنت الـ .. أنا أكرر لك السؤال ..

ماذا كنتم تفعلون بنا لو وصلتم إلى الحكم ؟

فقلت : إننا لسنا طلاب حكم ! .. ولا يعنينا أن نكون فى قمة المسئولية أو عند السفح حراساً للطريق المؤدى إلى الرجل الذى حمل الأمانة وبايعته الأمة . عبداً لله حاكماً بما أنزل الله ولتكن هذه الدار دار البعث .. البعث الإسلامى .

فصرخ شمس بدران متشنجاً : إخرسى .. إخرسى .. إخرسى ؟ !

أريد إجابة واحدة : افترضى إنك جلست على الكرسى الذى أجلس عليه الآن ماذا تفعلين معى وأنا متهم أمامك .. ؟

فقلت : ربما تنتهى أجيال وأجيال حتى يحكم الاسلام . نحن لا نتعجل الخطى . ويوم يحكم الإسلام ستكون مواقع المرأة المسلمة فى مملكتها الطبيعية لتربى رجال الأمة .

فقال شمس بدران كنائه يضرب فى الصحراء فى يوم عاصف : يا بنت الـ .. أنا أقول افترضى جدلاً أنك جالسة مكانى ماذا تفعلين معى ؟

فقلت : الإسلام عدل ونور ورحمة . فلا سياط ولا قتل . ولا تعذيب ولا سجون . ولا نفى . ولا دفن للأحياء . ولا تمزيق لأجساد الشهداء .. رفعت بكر ومحمد عواد واسماعيل الفيومى .. لا تشريد أطفال . ولا ترمل نساء . لا فراعنة ولا وثنية .. ولكن الحق والعدل .. الكلمة تواجهها الكلمة والحجة تواجهها الحجة ..

صرخ شمس كالصريع : اخرسى .. اخرسى علقها يا صفوت اجلدها .

وعلقنى صفوت . وعلى لفائف الشاش . أخذت السياط المجنونة تهوى على كل جزء

فى جسمى . والدم ينزف .. ولا أدرى .. فقد رأى الطبيب انزالى وقال : ان حالتها خطرة .. انها تموت يا معالى الباشا ! !

قال شمس .. فى ستين داهية .

قال أحد الضباط : إننا نريد أن تكون حية حتى تقف أمام المحكمة ! !

فقال شمس بدران : نعم . نعم نريدها تعيش لتذهب إلى المحكمة ! ! ويتفرج عليها الشعب وتكون عبرة ..

وقال الطبيب : اننا فى حاجة إلى أدوية وعقاقير غير موجودة ! !

فقال شمس بدران : اطلبها من صيدلية المشير عامر ! !

ونقلت إلى لمستشفى ولم أدر ماذا حدث فى تلك الليلة . فقد رحت فى غيبوبة أفقدتنى الإحساس بالألم . كما أفقدتنى الاستمتاع باسترجاع الحوار مع شمس بدران على مسمع من جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر . لقد قلت ما أردت أن يعرفه .. وقد عرفه ! !

أصل المؤامرة .. نكته ! !

أسعفت بالعلاج . لأنهم كانوا يحرصون على حياتى .. فأنا متهمة من وجهة نظر من ينسجون القضية ويؤلفون فصولها ويصنعون أبطالها .. فلا غرابة اذن . أن يصرف لى دواء لأستطيع حضور المحاكمة ! ! أمضيت ثلاثة أيام فى غيبوبة ..

وفى مساء يوم سمعت صوت مراد وصفوت يخرج من زنزانة الأخ أحمد كمال ويسألونه عن عنوان سيف البنا .. وأعطاهما العنوان . وبعد ما يقرب من ثلاث ساعات عاد إلى الزنزانة الأخ أحمد كمال وسألاه عن عنوان مكتب سيف البنا .. ! !

وسيف البنا هو نجل الامام الشهيد حسن البنا . أخذت أدعو لسيف وأمه واخوته . فأمه مريضة بالقلب . وسيف هو العائل الوحيد للبيت والأسرة .

أخذت أضرع إلى الله سبحانه أن يصرف عنهم كيدهم ..

رفعونى على نقالة إلى مكتب شمس بدران .. وسألنى شمس بدران سؤالاً . تأكد لى منه أن سيف الإسلام البنا نجل الإمام الشهيد حسن البنا فى السجن الحربى ! ! وشغلنى جداً أمر وجود سيف البنا فى السجن الحربى ..

وقال شمس بدران لحمزة البسيونى : ألم أقل لك ان هذه البنت لا تدخل مكتبى وهى حيه ؟ لماذا أحضرتها وفيها نفس يتردد ؟ ! ثم وجه الكلام إلىّ وكل عضلات وجهه تهتز فى عصبية : أما زلت على قيد الحياة ؟ لماذا لماذا ؟ فقلت : ليس بإرادتك . ولا بإرادتى أن أعيش أو أموت . ولكنها إرادة الله وهو المحيى المميت ..

فصرخ قائلا : إخرسى . إخرسى .. ردى على سؤالى فقط .. من الذى كان سيغتال جمال عبد الناصر فى طريق الاسكندرية من رجال الجيش ؟

فقال حسن خليل : قرب لها المسألة قليلا يا باشا . أو اسمح لى أن أفهمها الموضوع .

فقال حسن خليل . بعد أن أومأ إليه شمس بدران برأسه : هناك شخص حكى لك عن جماعة تربصوا لجمال عبد الناصر فى الطريق الصحراوى وكان مسافرا بالسيارة إلى الاسكندرية . من حكى لك هذه الروايه ؟ ومن كان فى السيارة الجيب لاغتيال عبد الناصر ؟

فقال شمس بدران : ردى بسرعة ! !

فقلت : ما أتفه ما تعذبون الناس من أجله ! ويلكم من الله ! ثم ويلكم من التاريخ ! ثم ويلكم من الناس جميعا وهم يتزلون عليكم لعناتهم ! .. وكان جزائى على ذلك قاسيا : دم يسيل وعظام تكسر .

وكان شمس يقول :

إن علقناك الآن ستموتين . ولكننا سنسامحك ان أخبرتِ عن الحكاية ! ! إحكى لنا الحكاية من أولها .. يا بنت الـ .. الحكاية اللى قالها لك سيف البنا . فقلت : آه .. النكتة التى قالها سيف . فقام شمس مسرعاً يركلنى ويصفعنى وهو يقول : أيوه ياختى النكته !

وقلت : كنت فى بيت الشهيد البنا وقال سيف الإسلام . يقولون كان جمال عبد الناصر مسافراً فى الطريق الصحراوى بالسيارة إلى الأسكندرية وكمن له جماعة من الجيش فى سيارة جيب ليغتالوه . وفى اللحظة الأخيرة تغير نظام سفر عبد الناصر . وسافر بالقطار . والغريب فى الموضوع أن السيارة الجيب هربت فلم يستطيعوا القبض عليها ولا على من فيها .

فقلت لسيف : حقا إنها نكتة .. لكن ليس هو الفراغ الذى جعل الناس يقولون ذلك كما تقول يا سيف . .. أنا لا أعتقد أن هناك سيارة جيب والأمر كله من صنع جهاز المخابرات .. هناك كل يوم مؤامرة مزعومة لاعتيال عبد الناصر . مرة من الجيش ومرة من الشعب . وهلم جرا ونسمع عن ذلك .. ويقبض على آلاف الناس .

وقال سيف : لا .. لا .. دى مجرد نكت الناس بتعملها وخلاص .

فقلت : الناس لا يفكرون فى قتله ــ قتل الحاكم الظالم لا ينهى المشكلة .. القضية أكبر من قتل عبد الناصر . القضية تخليص البلد من حكم جاهل . عاتٍ متجبر.

وأجابنى سيف : من الأفضل للناس أن يشغلوا أنفسهم بمصالحهم الشخصية وتربية أنفسهم .

فقلت : على أى حال لم يقتل هذا البلد غير النكت .. لم يستطع الناس أن ينفسوا عما فى صدورهم الا بالنكتة .. وبها قتلت الرجولة وقتلت المسئولية .

وانتهى الحديث مع سيف الإسلام البنا .

فقال شمس بدران : هذه الحكاية ــ حكاية اغتيال عبد الناصر فى طريق الاسكندرية الصحراوى . دار حديث فيها بينك وبين عبد الفتاح إسماعيل وعلى العشماوى فى بيتك .

ودرستم تخطيطها . والأخطاء التى وقعت فيها . لماذا ؟

فقلت : ما حصل غير ذلك . أنا نقلت نكتة لعبد الفتاح عبده اسماعيل عن سيف

الإسلام .. لم تدرس الحكاية .. دى نكته فقذفت بركلات وشتائم ..

قال شمس بدران : أنت حكيت هذه الحكاية لحسن الهضيبى . لماذا ؟ نكت الناس بتقولها وحكايات بترويها .

قلت : جائز وإحنا من الناس فيها حاجة دى ؟ ! ..

وعملت السياط عملها

قال شمس : جميل . نترك موضوع سيف الآن . وننتقل الى موضوع آخر . كان عبد العزيز على هو المسئول عن تنظيم الإخوان حتى خروج سيد قطب من السجن . قولى لنا كيف أتى هذا ؟ قلت : لم يحصل . فقال : كيف ؟ عبد العزيز على كان يجتمع مع على العشماوى وعبد الفتاح اسماعيل وضياء الضوبجى . ويحيى حسين . وعبد المجيد الشاذلى . ومجدى عبد العزيز . واجتمع مع سيد قطب عدة مرات بعد خروجه من السجن .

قلت : لا أدرى شيئاً عن هذه الاجتماعات .

فقال شمس بدران : ومن يدرى بها غيرك ؟ ! ! أنت تعرفين جيداً أنهم كانوا يجتمعون .

فقلت : هذا محض افتراء ..

وقال شمس بدران : من الذى حمل أمر الهضيبى بزعامة عبد العزيز على للتنظيم غيرك ؟

فقلت : هذا محض افتراء ..

فقال شمس بدران مهدداً : يبدو أننا حنشوف شغلنا معاك . لا بتعقلى ولا بتشوفى مصلحتك .

وقال أحد الجالسين على طريقة السماسرة .. واحد يشد وواحد يرخى : لحظة واحدة يا باشا . أنا سأحاول مع زينب . ثم اتجه إلى وقال : يا زينب . الهضيبى اعترف .

وعبد العزيز على اعترف . وأنا سأحاول أفكرك بحكاية يمكن تجعلك تتداركين الأمر . كلهم اعترفوا ولا داعى للإنكار .. ما هو السم الذى أعده عبد العزيز على ليستعمله اسماعيل الفيومى فى قتل جمال عبد الناصر؟ ما هى حكاية السم وكيف دار الاتفاق عليها؟

فصرخت : يا عالم أنتم مجانين بأمر اسمه قتل عبد الناصر ! ؟ إن كنتم تريدون قتله فاقتلوه وأريحونا وعلى كل واجهونى بعبد العزيز على . واجهونى بالأستاذ حسن الهضيبى !

فقالوا : لا . سنواجهك أولا بعلى العشماوى ! !

فقلت : على العشماوى كذاب أشر . وسأبصق فى وجهه لأنه كذاب مأجور ..

فقال شمس بدران : أليس على العشماوى واحداً منكم؟ قلت : واجهونى بالرجال الأفاضل .. عبد العزيز على . وحسن الهضيبى .

فقال حسن خليل : لا مانع . سنواجهك بهما ! !

وقال شمس بدران : اسمعى ! متى استشرت الهضيبى ليتولى عبد العزيز على زعامة الاخوان المسلمين نيابة عنه؟

فقلت : لم يحصل !

فقال شمس بدران : يا صفوت هات على العشماوى !

ودخل على العشماوى يرتدى الحرير الهفهاف ممشط الشعر . تبدو عليه آثار المعاملة الحسنة .. ! !

وقال له شمس بدران فى رقة : ماذا حصل يا على . عندما ذهبتم إلى الهضيبى وكانت رجلها مكسورة . ولم تنزل من العربة . وذهبت أنت لبنت الهضيبى لتعرف رأى أبيها؟

وقال على العشماوى : نعم حصل . لقد قلت لبنت الهضيبى أن تسأل أباها عن ثقته فى عبد العزيز على وما إذا كان المرشد يرشحه لتولى الأمر نيابة عنه .. وعادت وهى تحمل

موافقة الهضيبى على ترشيح عبد العزيز على .

فقال شمس : ايه رأيك يا بنت الـ ؟

فقلت لعلى العشماوى : أنت كذاب . والحقيقة أنك قلت لى بأن هناك واحداً من الاخوان تقدم لخطبة حفيدة عبد العزيز بك على . وهذا الأخ يريد أن يعرف رأى الهضيبى وأنا كنت خارجة من منزلى دون اتفاق مسبق . فركب على العشماوى معى . وقلت له انى لا أستطيع الصعود إلى بيت الهضيبى نظراً لكسر رجلى . والأفضل أن تذهب معى . وكان رد الأستاذ الهضيبى إن أسرة عبد العزيز على لا يسأل عنها . فهى أسرة مسلمة طيبة . وعلى بركة الله .

فقال شمس بدران : هل هذه هى الحقيقة يا على ؟

فقال على العشماوى : إن هذه اصطلاحات يا باشا . والحاجة تعرف هذا جيداً .

فقلت لعلى العشماوى : أنت كذاب أشر . وهيئتك تفضحك .. الاخوان على الأعواد تقطع السياط أجسادهم . وتنهشهم الكلاب . ويتقلبون فى ألوان من العذاب وأنت على هذه الهيئة .. أنت مأجور رخيص .. أنت عميل كاذب . ولذلك يسمع لك .

فقال شمس بدران : اخرج أنت يا على ! .. ثم اتجه الىّ وصوته يحمل التهديد : يا زينب إننا نمنحك فرصة أخيرة . اشرحى لنا صلة عبد العزيز على بالتنظيم . وما هى الرسائل المتبادلة بين الهضيبى وعبد العزيز على بواسطتك ؟

فقلت : أنا مصرة على مواجهة عبد العزيز على والهضيبى ! !

قال شمس بدران : خذها يا صفوت . إلى أن نحضر عبد العزيز على والهضيبى .

وخرجت مع صفوت من مكتب شمس بدران . وأوقفنى صفوت ووجهى إلى الحائط . ثم أدخلونى مرة أخرى مكتب شمس بدران . غير أنى لم أجد الهضيبى أو عبد العزيز على .

فقلت : أين الهضيبي . وأين عبد العزيز على ؟

فقال شمس بدران فى حدة : هل نعمل على هواك يا بنت الـ .. ؟ سنحضر مَنْ نريد . ووقت ما نحب .. يبدو أننا سنرجعك إلى أول التعذيب ..

فقلت : ما دمتم لا تستحون من الله فهل تستحون من الخلق ؟ !

وقال حسن خليل : يا بنت اعقلى . الباشا يريد أن يحولك إلى النيابة . فاعقلى . واعملى لمصلحتك ..

فقلت : نيابة ؟ ! أية نيابة ؟ وأنتم من تكونون ؟

فقال شمس بدران : إننا نجهزك للنيابة ..

نعم التجهيز للنيابة ! ! .. السياط . الكلاب . النار . زنزانة الماء . التعليق على الأعواد كالذبائح . إيلام النفس بأقذر الألفاظ وأفحشها . التجويع . العطش . الحرمان من استعمال دورة المياه فترات طويلة . الذهاب إلى مكاتب التحقيق صباحاً ومساءً مع استمرار أنواع التعذيب . تحطيم الأعصاب بالآت التعذيب .. كل هذه وسائل التجهيز والإعداد للمثول أمام حضرة صاحبة الجلالة النيابة ! !

محمد قطب

وفى مكتب شمس قال حسن خليل : اننا نريد ياباشا قبل النيابة أن ننتهى من موضوع تنظيم محمد قطب . ونرى موضوع الولد المدعو الدكتور مسعود ! !

فقال شمس بدران كمن عثر على شئ كان قد فقد منه : نعم . نعم تنظيم محمد قطب يازينب .

فقلت : أنا أجبت عن هذا الموضوع من قبل .. لقد قلت أن محمد قطب لم يؤسس تنظيما . وأنه كاتب اسلامى . وكل عمله أن يبيّن للناس الطريق الصواب . وأين الدائرة

التى يقف فيها المسلمون . وللناس بعد ذلك أن يتصرفوا حسب ما يرون وحسب ما يعتقدون .

فقال شمس بدران : خذها ياحمزة . يبدو أنها تريد أن تعود إلى المياه ، والكلاب ، والنار والجلد .. و.. و

وأخذنى حمزة البسيونى إلى حجرة تبعد عن حجرة شمس بدران قليلا . وأغلقها علىّ ثم انصرف .

وبعد نصف ساعة جاءنى حسن خليل قال : اسمى يازينب . أنا حضرت اليك لأنصحك . أنا مندهش لأننى أراك تلفين الحبل حول عنقك ، كل الأخوان عملوا لأنفسهم . وعرفوا طريق السلامة . لقد ألقينا القبض على مائة الف . الباق عندنا الآن عشرون ألفاً . كل واحد من هؤلاء اعترف بالحقيقة ، ومن يعترف. ، يخلى سبيله فورا . ونصف العشرين ألف اعترفوا بكل شئ واعتذروا عما فعلوه وقبلنا عذرهم وأخلى سبيلهم .. حتى المرشد حسن الهضيبى . وعبد الفتاح اسماعيل . وسيد قطب . كل هؤلاء اعترفوا واعتذروا .. أنت تعملين لحماية المرشد وهو ألصق بك كل شئ . وعبد الفتاح اسماعيل وسيد قطب كذلك .. أنت تحرقين نفسك من أجل أشخاص كلهم تنكروا لك . أنت لازم تغيرى موقفك .. الرجال عرفوا السلامة وعملوا لها وألقوا المسئولية كلها عليك .. الهضيبى شتمك . سيد قطب شتمك . عبد الفتاح اسماعيل شتمك . محمد قطب شتمك ، كل الاخوان شتموكِ .. إن موقفك محل تقديرنا وإعجابنا . ونحتقر موقفهم ، ودعك من سباب الباشا . ومن حمزة البسيونى والولد صفوت .

إننا احتقرنا الاخوان عندما سبوك وازداد احترامنا لكِ وإعجابنا بكِ .. خسارة هذه الشخصية القوية تنتهى بهذا الشكل .. شمس باشا مُصر على أن يعيدوا التعذيب من جديد من نمرة واحد .. أنا أخذت على عاتق التفاهم معك لأعود إلى الباشا برأى يخرجك من هذه الورطة .. استرسل متسائلا :

كنت تتناولين الغداء مع الهضيبي يومين فى الأسبوع أو يوماً على الأقل بانتظام . وهذا باعتراف الهضيبي فى التحقيق . وكنت تحملين الأوامر والتعليمات إلى عبد الفتاح اسماعيل . أرجو أن تعطينا نموذجاً من هذه الأوامر . الهضيبي وعبد الفتاح اسماعيل اعترفا بهذا. سيد قطب عندما خرج من السجن كنت حلقة الاتصال بينه وبين الهضيبي .. اننا لا نتكلم من فراغ ياست زينب . كانت فى يده ورقة ينظر فيها ثم يتكلم .. ألقى نظرة اليها ثم استطرد : مثلا أموال الجماعة كانت عندك فى البيت فنقلتيها إلى بيت الهضيبي . ثم عادت مرة أخرى إلى بيتك . ثم نقلت إلى بيت الهضيبي ثانية وعادت اليك أخيراً . كل هذا ذكره الهضيبي فما معنى إنكارك له ؟!

كل الأمور ياست زينب انكشف سرها والناقص هو أن تضعى النقط فوق الحروف . وطبعاً ستكتبين فى كل هذاً وعن أشياء أخرى . وسنرفع إلى عبد الناصر ونوضح له أنك تغيرت ثم نحولك إلى النيابة وينتهى التحقيق عند هذا الحد . وسيفرج عنك بعد يومين . **ثم يتم تعيينك وزيرة للشئون الاجتماعية . حكمت أبو زيد مغضوب عليها الآن** . **ما رأيك ياست زينب ؟!** وضغط على زر جرس صغير فحضر جندى فورا ووقف أمامه منتصب القامه . فقال له هات كوب عصير ليمون . وأخذ يشرح ويفتح أمامى موضوعات . موعزاً الىّ بالكتابة فيها .

وعاد الجندى بكوبى ليمون فقال : اتفضلى كوب الليمون . ثم أمر الجندى أن يحضر فنجانى قهوة .. واستأنف الكلام وأنا صامته .. يبدو أنه اطمأن لما قال . والتفت الى الجندى قائلاً : إنت تحت أمر الست زينب . ثم قال لى : سنطلبك عند الباشا بعد ساعة وشوفى مصلحتك بقه ..

وجلست الى المكتب وجرى قلمى على الورق بالآتى : بسم الله الرحمن الرحيم وأصلى وأسلم على محمد وأهله وصحبه . أما بعد فأحمد الله تعالى وأشكره وأعجز عن احصاء الثناء الواجب لجلاله سبحانه وتعالى . فقد اختارنى — بغير استحقاق منى — لأكون على الطريق الذى اختاره لعباده .. طريق القرآن والسنة . طريق الحق الذى دعا اليه البشرية كلها

بقوله تعالى «**يا أيُّها الناسُ قَدْ جاءتْكُمْ مَوْعظةٌ مِنْ رَبِكُم وَشِفَاءٌ لِماَ فِي الصدورِ**» وبقوله تعالى «**يا أَيُّها الناسُ اعبدُوا رَبكُّم الَّذِي خَلَقكُم والذِينَ مِنْ قَبْلِكُم**» . الحمد لله الذى أوقفنى تحت مظلة قوله تعالى «**رَبَّنا إننَا سَمِعْنَا مُنَادِياً يُنَادِي للإيمان أَنْ آمِنُوا بِرَبِكم فآمَنَّا**» الحمد لله الذى أوقفنى تحت مظلة قوله تعالى «**إنَّ اللَّه اشتَرى مِنَ المُؤمِنينَ أَنْفُسَهم وأموالَهم بأَنَّ لَهُم الجَنَّة**» . والحمد لله الذى اختارنى من بين رجال مؤمنين . ونساء مؤمنات . واجتبانى بصحبة رجال مؤمنين ونساء مؤمنات لنكون شهداء ان رسالة الله التى أوقفنا حياتنا على نشرها والدعوة اليها والجهاد فى سبيلها بكل مرتخص وغالٍ تحقيقاً لقوله تعالى «**إنَّ اللَّه اشتَرى مِنَ المُؤمِنينَ أَنْفُسَهم وأَموالَهم بأَنَّ لَهُم أَلجَنَّةَ يُقَاتِلونَ فِي سَبِيلِ اللَّه فيَقْتُلونَ ويُقْتَلونَ**» وتحقيقا لقوله تعالى «**كُنْتُم خَيرَ أُمة أُخرِجت للنَاس تأمرونَ بالمَعْروف وتَنْهَون عَنِ المُنْكر**» .

بذلك كلة أكرر وأؤكد أننا لازلنا على طريق شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبد الله ورسوله . ملتزمين بشطرى الشهادة . حفظة لكتاب الله . حافظين لأحكامه وحدوده . داعين لقوه تعالى : «**وأنزلنا عليك الكتاب ليحكم بين الناس**» حافظين متفقهين فى قوله تعالى لمحمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم ثم لورثته من بعده : «**لتحكم بين الناس بما أراك الله**» فنحن أمناء رسول . وأمناء دين ..

اللهم اشهد أننا ثابتون على الطريق لا مغيرين ولا مبدلين . فانصرنا على كل ظالم أشرك بك . وعَطل كتابك . وعادى دينك . وحارب أهل دينك ، حماة كتابك وحماة سنة رسولك .

اللهم بذلك أحيا وعلى ذلك ألقاك إن شاء الله . فتقبلنى سبحانك فى أهل التوحيد ، أهل الكلمة الصادقة . أهل خشيتك والحياء منك .

اللهم ارزقنى الحب فيك ، والبغض فيك ، والجهاد فى سبيلك .

هذا هو طريق أيها الناس فافعلوا ما تريدون وكما تشاءون .

سأدعو اليه على بصيرة فلا تجهدوا أنفسكم لترمونا فى نقائصكم وتغمسونا فى ظلمات فجوركم وشرككم بالله . ومحاربتكم للإسلام وأهله . إنّا برءاء منكم ومما تعملون .. إنا مقاومون لباطلكم حتى نلقى الله »

امضاء (زينب الغزالى الجبيلى)

ودخل حمزة البسيونى وقال : ايوه يازينب !! ان شاء الله يكون ربنا هداك وعرفت مصلحتك !! زوجك رجل طيب .. الحاج سالم صديق .. إنه رجل على خلق .. أنا لا أعرف كيف وقعت فى براثن الاخوان المسلمين .. على فكرة ! هل انتهيت من الكتابة ؟ فناولته الأوراق

فقال : تعالى معى عند الباشا .. وذهبنا الى مكتب الباشا شمس بدران !!

قال شمس بدران : اجلسى يازينب . اطلبوا ليموناً وقهوة لزينب !! أخذ الورق وشرع يقرأ . وأخذت قسمات وجهه تترجم إحساسه وشعرت.أنه يكاد ينفجر !!

وخرجت سهام نارية من عينى شمس بدران الى حمزة البسيونى ومن معه . وقال وهو يضغط على الألفاظ : ما هذا؟ ألف سوط يا صفوت . البنت سخرت منا كلنا .. أين كنت يا حمزة أين كنتم جميعا ؟ .. فانهالت السياط كالعادة . وألقى الأوراق إلى الأرض واستطرد : البنت سخرت منا . لعبت بعقولنا كلنا ياحمزة .. إنها أكثر من خطيبة على منبر.. يابنت الـ ..!!

جمع أحد الضباط الأوراق المبعثرة فى الحجرة وقرأ منها سطوراً وقال : ايه القرف ده هو انت ايه .. افعل معها ما شئت يا باشا . أوقفوا السياط وحكموا علّى بقراءة الأوراق . وقال أحد الجالسين : انظر بنت الـ .. خطيبة وكاتبة وضيعت نفسها ومستقبلها .. يابنت الـ .. إنها تستحق أكثر مما وقع لها . وأمر شمس بدران بتعليقى وجلدى !!

قدماى ممزقتان ملفوفتان بضمادات .. وكل موضع فى جسمى استوفى نصيبه — وفوق نصيبه — من السياط ومن ألوان العذاب الأخرى . ورغم ذلك رفعنى الزبانية على التعليقة

كالذبيحة . وانهالت السياط المجنونة تنفذ أمر الباشا المحموم !!

وانبثق الدم من الضمادات فأمر الطبيب بإنزالى .. رمونى أمام حجرة شمس بدران ما يقرب من الساعة . ثم حملونى على نقالة إلى المستشفى ..

جاء مراد وحمزة البسيونى وقالا فى جاهلية الجاهلين : قرر الأطباء ان الموت قاب قوسين منك أو أدنى . ولكن لابد أن تذهبى إلى المحكمة لتسمعى حكم الإعدام بأذنيك وتجنى ثمرة ما زرعت . إننا سنرسلك إلى النيابة باكر . واعلمى أنك إن لم تستجيبى لكل ما تقرره النيابة . ستعودين لنا مرة أخرى . ثم نادى حمزة ، صفوت وقال له: باكر خذها النيابة الساعة ٩ !! وانصرفوا ..

النيابة !!

لقد مررت بكل درجات التعذيب درجة درجة . من الجلد بالسياط المجنونة كألسنة اللهب إلى نهش الكلاب المدربة ، إلى زنزانة الماء . إلى زنزانة النار ، ثم تكرار عملية الجلد والصلب والتعليق على الأعواد كالذبائح . إلى عذاب يحطم الأعصاب ، والأرواح .

وجاءت النيابة . لتستكمل المهزلة فصولها . ويعاقب المظلومون فى ظل العدل وسيادة القانون .. !!

دخلت خيام المحققين من رجال النيابة !!

وإنهم جميعاً لمخططٍ واحد ينفذون !! فى خيام التحقيق كان التهديد مستمراً من المحقق الذى يطلب من المتهم أن يوقع على ما يسجل من زورٍ وبهتان فى أوراق التحقيق تحت نظر وسمع كبار القضاة والمستشارين المنتدبين للإشراف على التحقيقات .

والحق أن كل شئ فى هذه الأمة يمتهن ويمسخ ، كل ما فيها ومن فيها . حتى رجال القانون ورجال القضاء الذين روى التاريخ نزاهتهم فى كل عصر وكانت شجاعتهم فى الحق

مضرب الأمثال . رأينا بعضهم فى السجن الحربى مسخاً مشوهاً وباطلاً مزوراً ، يكذبون فى شجاعة ويسجلون الباطل ويدافعون عنه فى جرأة . يهددون المتهم إذا لم يوقع على ما يسجلونه ويقر بكل ما يكتبونه ــ بالعودة إلى مكاتب التحقيق بالسجن الحربى !! نظر وكيل النيابة إلىّ وضمادات الشاش تغلف قدمّى . ويغلف نفسى اعياءٌ وضعفٌ .. لا يكاد صوتى يخرج من بين شفتى .. ووكيل النيابة يجلس خلف جبل من الدوسيهات .. أمامه أوراق مكتوبة . سكرتير النيابة جالس إلى مكتب صغير وأمامه كومة من الأوراق البيضاء وبيده قلم مستعد لتنفيذ الأمر .. أملى عليه وكيل النيابة اسمى . وسنى ومكان مولدى ، وسكنى .

والتفت إلىّ وكيل النيابة بوجهٍ جامد ثم قال : يازينب . فى هذه الملفات والدوسيهات أقوال الأخوان المسلمين كلها . وواضح فيها موقفك جيداً . سأترك أقوالك فى المكاتب . وأريد الحقيقة منك أنت وهذه حقيقة قالها حسن الهضيبى . وقالها سيد قطب . وقالها عبد الفتاح اسماعيل وقالها جميع الإخوان .. أريدك يازينب أن تتخلى عن عنادك وألا تضيعى وقتنا فيما لا يفيد .. والأمر بسيط جداً إعادتك إلى المكاتب مرة أخرى !!

وأخذ يوجه إلىَّ الأسئلة وأنا أجيب . لكننى لاحظت عجبا !! كنت إذا أجبت على سؤال ببضع كلمات أجده يملأ صفحة كاملة على أنها إجابة منى !!

أثارنى ما لاحظته فقلت لوكيل النيابة المحقق : ماذا يا أستاذ قناوى ؟ إننى أجبت على سؤال واحد فى كلمات قليلة ..

فقال : إننى أساعدك لأن كل كلمه منك ستعرض على سيادة رئيس الجمهورية . كلامك أنت بالذات طلب أن يعرض عليه يومياً !! فقلت : هذا أمر لا يهمنى فى قليل أو كثير . إنما ما أهتم به . الاَّ يكتب باسمى إلا ما أقول .

فقال : ساقرأ عليك فيما بعد كل شئ .

وقلت فى هدوء : وماالداعى مادمت تكتب من عندك . لا داعى لأن أتكلم وليكتب

كاتب النيابة ما تريد على أن يكون فى علمك . أننى لن أعترف إذا كان هناك محكمه . إلا بالذى أقوله أنا لك ..!!

وعاد إلى سؤالى . قال : أنت قلت : عبد الناصر كافر وحكومته كافرة والمجتمع كافر أيضاً .

قلت : نحن لا نكفر أهل القبلة .

قال : ومن هم أهل القبلة ؟

قلت : الذين يقولون : لا اله الا الله محمد رسول الله ثم يلتزمون بما جاء به رسول الله . صلى الله عليه وسلم من عند ربه .

قال : أريد أن تشرحى صفات أهل القبلة .

قلت : « الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويصومون رمضان ويحجون البيت إن استطاعوا اليه سبيلا ويلتزمون بأحكام الكتاب والسنّة . لا يشرّعون من عند أنفسهم ولا يحكمون بغير ما أنزل الله » .

قال : هل تعتبرين جمال عبد الناصر وحكومته والمجتمع من أهل القبلة .

قلت : عبد الناصر نفسه لا . لأنه حاكم يستطيع أن يحكم بكتاب الله لو أراد إلا أنه عمل على تعطيله . فهو يشرّع للناس من عنده ويعطل كتاب الله وقد قال عبد الناصر صراحة : انه لا يقيم حكومة دينيه .

قال : أنا أريدك أن تقولى لى بصراحة : عبد الناصر والحكومة كافرين . ولّا رأيك ايه

قلت : لقد أجبت ومن شاء أن يعلم حقيقته مع الله فليعرض نفسه على كتاب الله وكان قد كتب حوالى خمس صفحات فولسكاب .

ثم عاد يسألنى سؤالاً آخر قال : أنتم كنتم تريدون قتل أم كلثوم وعبد الحليم حافظ .

قلت : ان المشغولين بالدعوة لدين الله وعودة الأمة الإسلامية إلى حياة الناس لا ينشغلون بهذه الأمور السخيفه . يوم يعود المسلمون لدينهم عودة يقظة وعودة حقيقة فستنتهى كل هذه الرذائل . وستتخلص الأمة من هذا التسيب المقيت . وعبادة الشيطان فى هذه الصور المختلفة التى فتنت الأمة وانهارت بها هذا الانهيار الذى جعلها غثاء كغثاء السيل .

كان وكيل النيابة محمد القناوى يسمع منى كلاما ويكتب غيره أو يحرفه أو ينقل كلاماً آخر من الملفات المرصوصة أمامه . وهكذا كانت خيمة النيابة على هذا النمط الغريب العجيب عشرة أيام . وكان المستشار محمد عبد السلام يتردد على الخيمة ويسأل القناوى عن الوضع ويقول له : أبذل جهدك .. وينصرف . وفى الخيمة قلت للقناوى : إنى أرى شيئا عجباً . أرى رجال القانون والقضاء فى غابة يتعايشون مع وحوشها . يلقون عن أنفسهم ثياب القضاء ويرمون من فوق أكتافهم أردية القانون والعدل .

قال : نحن نحرص على تخليصك وإنقاذك من الاخوان ليس لك بعد أقوال الهضيبى وسيد قطب وعبد الفتاح اسماعيل إلا شئ واحد هو الإعدام . وما رأيك فى كلام الهضيبى وسيد قطب وعبد الفتاح اسماعيل ؟

- أنتم تختلفون عليهم الكذب وهؤلاء هم طليعة الجماعة المسلمة

- وهل نكذب على أحد ؟

قال : نعم أنت لا تقولين الحقيقة وتكذبين

قال : أكذب على من ؟

قال : على الحكومة وعلينا نحن رجال النيابة

قال : أنت مصدق أنك من رجال النيابة ومن رجال القانون ؟

قال : سأقفل التحقيق وأعيدك إلى مكاتب التعذيب.. وبعد ذلك تحضرين لنا مرة أخرى

وطلب قهوة وأخذ يشربها . وبعد ما شرب القهوة قال : ايه يازينب ؟ أتريدين الرجوع

إلى المكتب ؟ إن عبد الناصر مستعجل أوراقك ليطلع عليها ..

أمرنى بالتوقيع على ما كتب .**فرفضت** . فأعادنى إلى المكاتب . وجلدت من جديد وأعادونى ثانية إلى التحقيق .. وانتهت مهزلة التحقيق ولكن ..

الجولة الثانية مع النيابة

بعد يومين ُطلبت للنيابة مرة أخرى . وهناك وجدت عدداً من الشباب أفناهم التعذيب وكساهم ثوب عذاب .

فسألنى قناوى : متى التقيت بهم . ومتى تعرفت اليهم . وما هى أسماؤهم ؟

وأنظر إلى الشباب وأقول سائلة : متى رأيتكم ؟ هل التقيتم بى حقا ؟ هل تعرفوننى قبل اليوم ؟ ما أسماؤكم ؟

ويصرخ وكيل النيابة معترضا مدعياً أننى أوجههم بأسئلتى . فأرد عليه طالبة منه أن يسألهم متى التقوا بى لا أن يسألنى متى التقيت بهم ؟

ويسألهم الواحد بعد الآخر وتكون الاجابة واحدة لم تلتق بها .

فيقول القناوى : ولكنكم قلتم فى التحقيقات انكم التقيتم بها .

يجيبون : تحت سياط التعذيب كنا نقول أى شئ .

ثم نعاد جميعا إلى المكاتب !! مكاتب التعذيب !!

عشرات وعشرات المرات عرض علىّ الشباب الصابر ما بين خيام النيابة ومكاتب الألم والعذاب والقهر ..

عودة الى المكاتب

لقاءات جديدة فى مكاتب شمس بدران وأعوانه .

كانوا يأخذوننى ليلا إلى مكتب شمس بدران أو أحد زبانيته . يهددوننى أولا بإعادة التعذيب . ثم يعرضون علىّ شباباً فى سن الزهور ورجالاً وشيوخاً ويسألوننى متى : التقيت بهم ؟

ويكون الجواب من هؤلاء الذين تسألوننى أين التقيت بهم . ومتى ؟ اسألوهم هم إن كانوا قد التقوا بى ! أسألوهم إن كانوا يعرفوننى !

وتنتهى المواجهة بصور جديدة من التعذيب : كالوقوف فى مكان مظلم وأحد العساكر خلفى يضرب بالكرباج على الأرض ويأمرنى أن أستمر فى خطوة «مكانك سر» فإذا بلغت الاعياء ولم أستطع الاستمرار فى تلك الحركة . وأقدامى ممزقة ومربوطة بأربطة الشاش . ضُربت عشرة أو عشرين سوطاً على جسدى كيفما اتفق .. ثم إلى زنزانة المستشفى .

وسأضرب أمثلة للتعذيب بعد انتهاء النيابة من التحقيق لتعرفوا ماذا كان عبد الناصر وماذا كان انصاره وأعوانه .

١ ــ التعذيب

أخذونى فى منتصف ليلة من لياليهم السوداء إلى مكتب مجاور لمكتب شمس بدران كان يجلس فيه أحد شياطينه «جلال الديب» الذى أخذ يسألنى ..

قال : اشرحى يازينب ياغزالى اتصالاتك بخالدة الهضيبى و أحمد ثابت زوجها وما دورهما فى التنظيم ؟

قلت : نشاط خالدة الهضيبى معى كان محصوراً فى مساعدة أسر المسجونين.

قال : أى نوع من المساعدات ؟

قلت : مساعدات مالية أو عينية . وشرحت له نوعية العينية . بعد سؤاله أنها

كالأقمشة والدقيق والقمح والأرز والسمن والفاصوليا .

وعاد يسألني عن زوجها أحمد ثابت . ولما أوضحت له أنه لم يكن له من عمل إلا الحضور إلى المركز العام للسيدات المسلمات ليوصل الأشياء التى أرسلها لخالدة لتسلمها للأسر دون أن ينزل من العربية . رفض تصديق وأسلمنى إلى صفوت فأوقفنى ليتصرف وتصرف صفوت فأوقفنى ووجهى للحائط مكرراً السؤال عن صلة خالدة وزوجها بالتنظيم ، ولما مضت ساعة دون أن أغير من موقفى بدأ يهددنى بالكلاب وبالضرب وأصررت على أقوالى . ودخل حمزة البسيونى فطلب منه جلال الديب أخذى إلى الكلاب .

وأخذونى إلى حجرة مظلمة وأدخلوا كلباً معى وتركونى أكثر من ساعتين مع الكلب ثم أعادونى إلى المستشفى .

وفى الليلة الثانية أعادوا استجوابى عن علاقة خالدة وزوجها بالتنظيم وأصررت على موقفى السابق . وتركنى جلال الديب فى الغرفه وخرج ليرسل لى صفوت فيضربنى بقدميه وبيديه حيثما اتفق ثم يغلق علىّ الحجرة ويخرج ليعود بعد ساعتين فيعيدنى إلى المستشفى .

٢ ــ المال

ومرة أخرى طلبونى لمكتب شمس بدران وقال شمس :

لقد أتينا بالزينى من غزة ، وقد تعرف عليه المرشد ومأمون الهضيبى . وهو الذى أتاك بالمال واذا لم تتعرفى عليه سنرجعك للتحقيق من الألف للياء ! أنت فاهمة ؟ والمهم يابنت يازينب أن الزينى قد اعترف .

وأخذونى إلى حجرة وجدت فيها رجلاً فى صورة لا يمكن معها أن يتعرف عليه أحد وأخرجونى وأعادونى إلى شمس .

وقال شمس : من هذا ؟ قلت : لا أعرفه .

قال : ولقد تعرف الكل عليه : انه صادق الزينى ، يابنت الـ ..

وتدخل جلال الديب ليطلب من شمس أن يسألنى عن المال لأى غرض هو ؟

وسألنى شمس وأجبته بأنه للأسر : للأكل ، للكساء ، للتعليم ، للعلاج . لأسر الأسود خلف قضبان سجونكم .

وجن جنون شمس فصاح بحمزة : خذها وألقها للثعابين لا للكلاب » . وخرجت مع حمزه وصفوت . وأخذانى إلى المستشفى . وطلب حمزة كرسياً فجلس عليه ثم قال :

أنت صعبانة على يازينب . لن آخذك إلى الثعابين ، قولى لى لأى غرض كان المال .

قلت : لقد حققتم معى بخصوص هذا الموضوع .

وكان جلال الديب قد وصل ليسأل : هل اعتدلت أم لا ؟

وكان جواب حمزة : اتركها لى ياجلال . يبدو أنها اشتاقت للكلاب .

الكلاب .. لقد كانت فى نظرى أرق منهم شعوراً وأسمى وأكثر ادراكاً للتحقيق كنت كلما حبسونى مع الكلاب أحسست عمق بشاعتهم ويزداد احتقارى وأصبح الأمر لا يشغلنى كثيراً . **بل أصبحت أفضل أن أظل مع الكلاب على أن أبقى ثوانى مع شمس أو حمزه أو جلال ..**

وذات ليلة أخذونى إلى مكتب شمس بدران بعد العشاء وجلدونى لا أدرى كم ، ولكن أغمى علىّ . فأسعفونى بالحقن وأعادونى إلى المستشفى . **وبعد ثلاثة أيام** أخذونى ثانية إلى مكتب شمس بدران الذى **أقسم برأس عبد الناصر أنه سيعيد تعذيبى** من رقم ١ إلى رقم ٣٤ إن لم أجب بصراحة على ما يوجه إلى من أسئلة . وكانت هذه الأرقام قد مرت علىّ بصنوف من التعذيب مختلفة الصور ، متعددة الألوان .

وابتدأ حديثه بقوله : يابنت يازينب أنا سأذكر لك حادثتين حصلوا معك . حادثة فيها محمد قطب وزوجة الهضيبى وأخوات محمد قطب . وحادثة فيها على عشماوى ومأمون الهضيبى .

وبنقول لك إن هذه الحاجات اعترف بها حسن الهضيبي وزوجته ومحمد قطب راح تكديبنا . لكن من أين كنا سنعرفها ؟.. الحادثة التي فيها على عشماوى ستقولين : ان على كذاب .. لكن الثانية ليس فيها على ..

قال شمس بدران : فى يوم كلمت محمد قطب ونزل لك من حلوان بالليل . فأعطيته مصاغك وخمسمائة جنيه . وقلت له : الخمسمائة جنيه سلمهم للوالدة «تقصد حرم الهضيبي» ومصاغى هذا أنا متبرعه به لأسر الإخوان . خذهم يامحمد أعطهم للست الوالدة فى الوقت المناسب .

قلت : نعم . هذه الحادثة حصلت . ومالذى يصيبنى فيها ؟ مصاغى أتبرع به كما أشاء وقد تبرعت إلى أكرم وجه للخير . لجماعة الإخوان المسلمين إعانة للأسر . أما المال فقد كان للإخوان وكان علىّ أن أرده لأصله عندما أخشى عليه .

قال شمس : الخمسمائة جنيه كانوا للتنظيم لا للأسر.

قلت : لا . للأسر.

قال : على عشماوى قال : إنها للتنظيم .

قلت : على عشماوى كذاب .

قال : محمد قطب قال إنه لا يعرف الغرض من الخمسمائة جنيه . لكن أنت بعثت بها مع المصاغ وقلت له : أعطها لحرم الهضيبي .

قلت : واجهونى بمحمد قطب . لقد قلت له : إن الخمسمائة جنيه مساعدة للأسر.

قال : طيب . وكيف جاءت هذه الخمسمائة جنيه .

قلت : فى يوم جاءنى على عشماوى يطلب منى ورقة لأخ من السعودية ليتمكن من مقابلة المرشد أو مأمون وأفهمته أن الأخ مأمون لا يحتاج إلى واسطة وأن المرشد فى الاسكندرية . إلا أن مأمون موجود وبإمكانه أن يقابله . وعاد إلىّ على عشماوى بعد ذلك

وقال لى إن هذا الأخ قابل مأمون وتبرع بهذا المبلغ وأن مأمون طلب منه إعطاء المبلغ للحاجة زينب الغزالى . فكلف الأخ الذى من السعودية حسب رواية على عشماوى أن يوصل على عشماوى المبلغ اليّ . وأن المبلغ مساعدة للأسر.

قال شمس بدران : المبلغ لم يكن للأسر .لأن محمد قطب قال ذلك .

فقلت مؤكدة : إننى وحدى القادرة على تقرير الحقيقة وأنه لابد أن يكون الأمر قد التبس على الاستاذ محمد قطب إن كان قد قال ذلك .

قالوا : سنعيدك للتعذيب . هتتكلمى ولا يخدك صفوت .

قلت : واجهونى بمحمد قطب .

ولما واجهونى بالأستاذ محمد قطب . قال :إننى سلمته المال والمصاغ ليوصله الى الوالدة . وحاولت أن أذكر حضرته بما قلته له من أن المبلغ كان للأسر وكان عندى أمانة لم يستطع أن يتذكر . الا أنه قال : مادامت الحاجة متأكدة أنها قالت لى هذا فان قولها صحيح .

وأوقفونى إلى الصباح ووجهى للحائط ثم أعادونى للمستشفى.

وبعد يومين أخذونى إلى مكتب شمس بدران الذى بادرنى بقوله : نحن نريدك يازينب أن تعترفى بالتنظيم الذى كان محمد قطب قد أسسه .

وأجبت : لقد سئلت من قبل فى هذا . وأجبت بأن محمد قطب لم يؤسس تنظيما . فقال لصفوت : علقها يا صفوت !

وعلقنى صفوت وجلدونى على قدمى ! ..

ثم أُخذت لمكتب مجاور لمكتب شمس بدران . وقال لى رجل من رجاله لا أعرف اسمه . كان يجلس بجانب حسن خليل دائما :

يابنت يازينب : انت عبيطة ! انتى لا تعرفى تخلصى نفسك . الإخوان كذبوا عليك

كثيرا . فلماذا لا تتفاهى معنا وتعطينا بعض المعلومات عن محمد قطب ؟

ونحن سنحفظ لك هذا الجميل ونبدأ نتفاهم معاك .

قلت : كيف أتفاهم معكم ؟ أنا أحتقر طرقكم وباطلكم ! أنتم عملاء للشيطان . لن تستطيعوا أن توقعوا بيننا . نحن عباد الرحمن ! نحن لا يصدق الأخ منا فى أخيه شيئا مهما حاولتم الوقيعه والدسيسة . أريحوا أنفسكم .

قال : سنعيد التعذيب من جديد . وستحقق النيابة معك مرة أخرى .

قلت : النيابة منكم وأنتم منها . أنتم جميعا لا تعرفون طريق الله . أنتم من الضالين . المغضوب عليهم ..

ودخل حمزة البسيونى وفى يده ورقة وضعها أمامه وسأله : هى لسه مغلباك ياباشا ؟

وخرج حمزه وابتدأ هو يتكلم فى موضوع محمد قطب ثانية .

وخرج وجاء صفوت وضربنى بالسوط حيثما اتفق ثم خرج ووجهى للحائط .. بعد ساعة تقريبا دخل شيطان آخر أخذ يشرح لى ما سيترتب على تعاونى معهم باعطائهم معلومات عن التنظيم الخاص بمحمد قطب من نتائج فى صالح زوجى وأشقائى وصالحى شخصياً .

ولما لم يتغير موقفى أخذونى إلى حجرة الكلاب .

وفى هذه المرة كان مع الكلب فى الزنزانة رجل قال له حمزه البسيونى : إن لم يأكلها الكلب فكلها أنت ياولد . وأغلقت الزنزانة لساعتين لم أكف فيهما عن قول :«حسبنا الله ونعم الوكيل ». **أما الرجل والكلب فكأن خرساً لحق بهما حتى فتح الباب وأخذت إلى المستشفى .**

وفى اليوم التالى أخذت إلى مكتب رياض إبراهيم الذى سألنى عمن قابلت من كرداسة

أجبت : أنا لا أعرف شيئا عن كرداسة هذه .

قال : ألم يقابلك أحد منها أبداً ؟

أجبت : لا فذكر أن أحمد عبد المجيد من كرداسة .

ثم قال مهدداً بأنه ذاهب إلى الباشا ليرسل لى من يتفاهم معى وخرج . ودخل عسكرى أمرنى بالوقوف وأن أدير وجهى إلى الحائط وضربنى على ظهرى بالسوط .

وبعد مرور وقت طويل أخذونى إلى المستشفى .

كل هذا أيها القارئ العزيز بعد تحقيق النيابة .

وبعد أيام طلبونى لمكتب رياض — ثانية — وواجهنى بسيدات لم أرهنَّ من قبل وسألنى عمن تكون زوجة السيسى من بينهن قلت لا أعرفها — وإذا بهم يدخلون شابا صغير السن والعسكرى خلفه بالسوط ويسألونه : أين هى زينب الغزالى ؟ فنظر الشاب وقال : لا أعرف ولما سألوه ثانية عن زوجة عباس السيسى أجاب ثانيه : لا أعرف . فسألوه عمن قابلته من السيدات الموجودات فأجاب لم يقابلنى أحد . فأخرجوه كما أدخلوه بالسوط يلسع ظهره .

ثم فوجئت بحميدة قطب تدخل وخلفها صفوت . وسألوها عن زوجة السيسى قالت «لا أعرفها» .

ثم أخرجوا السيدات الأربع وأخرجوا حميدة . وبقيت مع رياض .

قال : اسمعى يابنت يازينب . ألا تعرفين واحداً من الاخوان متزوج من أربعة ؟

قلت : لا .

قال : هل تعتقدين أنى أقول لك فزورة . هناك واحد من الاخوان متزوج أربعة إن لم تقولى من هو ستضربين.

قلت : إفعل ما تشاء .

أمرنى أن أضع وجهى فى الحائط وقام وضربنى عدة كرابيج وتركنى فى الحجرة وخرج . وبعد ساعتين عاد ومعه صفوت الروبى الذى أخذنى إلى المستشفى .

علبة اللحم المفروم

قرر الأطباء أن حالتى الصحية متدهورة . وإن لم يسمحوا لى بأكل من المنزل فإن حياتى يخشى عليها . ولا أستطيع الذهاب إلى المحكمة . فسمحوا لى بدخول الأكل . وكان عبارة عن فاكهة ولبن زبادى فقط .

وفى يوم احتالت أختى لتدخل لى لحماً . فأفرغت علبة لبن جاف وملأتها لحماً مفروماً وأدخلتها على أنها لبن جاف . ولم يكتشفها أحد حتى أنا . وكان معها بعض الزبادى والبرتقال . وأخذت نصيبى وأخذ عبد المعبود الترجى يوزع الباقى على الاخوان المرضى فى المستشفى . وكان معنا الأستاذ عبد العزيز على . وزير البلديات السابق . وكنا نتقاسم كل واحد برتقالة وكل اثنين سلطانية زبادى . وبعد التوزيع ناديت الممرض ورجوته أن يوزع هذه العلبة على الاخوان . كل واحد كوب لبن . فخرج بها ثم عاد إلى مرة ثانية وهو يقول : هذا ينفعك أنت ياحاجة . دى فيها لحم مفروم . فرجوته أن يوزعها : كل واحد يأخذ ملعقة . ففعل وعاد وفى العلبة بعض اللحم المفروم . ورجوته أن يوصله إلى الاستاذ عبد العزيز ومعه علبة زبادى . وسأل عبد المعبود لم أختص بهذا ؟ فأجبت من زنزانتى :

الحمد لله الذى يرزق عباده ! فأجابنى : الحمد لله . إنه هو الرزاق ذو القوة . ولما انصرف الممرض سألنى : كيف صرح بدخول الطعام ؟ وأوضحت له ما فعله الطبيب ونصحته أن يطلب من الطبيب أن يدخل له طعام . وطلب فعلاً من الطبيب .

وكان الإخوان يدخرون من ضروراتهم القليلة ما يعاونون به إخوة لهم تمزقت أجسامهم من التعذيب فهم يحتاجون إلى غذاء خاص وعناية خاصة . مما جعلنا نفرح لأى شئ يصلنا من الخارج . ولو كان ذلك شيئا عاديا فى حياة الناس .

هذا ما فعله القهر والظلم .

التجويع حتى فى المستشفى

مر ما يقرب من عام على اعتقالى ولم يسمح لى بالأكل من الخارج إلا قبل المحاكمة

بثلاثة أشهر خوفاً من أن أموت قبل أن يحاكمونى بأباطيلهم وزورهم . وتلك كانت طريقتهم فى الحياة مبنية على الخداع والزور والبهتان ..

أبشع من هذا ما عرفته بعد ذلك عندما زارتنى أختى ووالدتى قبل المحاكمة بأيام وقالت لى : إن صفوت الروبى كان يطلب منهم من الأيام الأولى لاعتقالى أكواماً من الطلبات من الأدوية والفاكهة والملابس . وكان يشترط أن تكون الملابس جديدة .

لقد كانت خطة مدبرة لاستنزاف قدراتنا . معاشر المجاهدين . بإرهاق أسرنا فى الخارج .

أرادوا أن يقولوا للناس الذين سيسمح لهم بدخول محكمتهم : إن معاملتنا للمتهمين على أحسن ما يرام بدليل أنهم بصحة جيدة وأن الأكل يدخل لهم من الخارج . وهكذا من مفترياتهم التى لا تنتهى ..

أما التعذيب والتنكيل والتهديد فحدث عنه ولا حرج . وإن لم يكن فيما ذكرته الكفاية مما لقيت فإنى سأضرب لك أيها القارئ بعض الأمثلة على ما كان يعانيه المسجونون من الجوع وخاصة المرضى .

ذات يوم دخل شاب من الاخوان ، جسمه ممزق من التعذيب ، وحضروا به إلى المستشفى لعلاجه وأخذ الطبيب يبحث عن قطعة سكر ، ولكنه لم يجد فى المستشفى . وسمعت الهرج والسؤال عن **قطعة السكر** ، فطرقت باب زنزانتى ، ولما فتحوا رجوتهم أن يأخذوا برطماناً صغيرا كان به عسل نحل جاءنى مع الطعام من الخارج ، أخذ الممرض العسل . وأمره الطبيب أن يعطى ملعقة للمريض ..

وهذا يحدث بطبيعة الحال بعيدا عن أعين الزبانية . فمثل هذا من الممنوعات فى المستشفى !! ..

ومرت الأيام . ووصلت بهم الحال إلى تعذيبنا بمنع الماء عن المريض ، فيظل طوال الليل لا يشرب نقطة ماء ونحن فى أشهر الصيف ، حتى أصبح الحصول على نصف كوب

ماء من المعجزات ، وكنت مريضة جدا وحالتي الصحية سيئة ، فسمحوا لى بدخول بعض الماء ، وكان بجوارى أخ كريم فى الزنزانة المجاورة فكنت أقتسم معه هذا القليل من الماء ، ولن تصدق أيها القارئ إذا ذكرت لك الطريقة التى كنت أوصل بها الماء اليه — **لن تصدق أنى كنت أضع الماء فى كيس نظارتى وأناوله اياه من فرجة بين الحائط الورق وجدار الزنزانة . ليطفئ ظمأه ولو قليلا . كان جسمه ممزقاً من سياطهم وكان أحوج ما يكون إلى هذا القليل ! ..**

لقد تفنن الظالمون فى وسائل التعذيب .. لم تبق طريقة قديمة أو حديثة الا استعملوها وأضافوا اليها ..

وثاب الوحش

وسأقص عليك . أخى القارئ ، قصة حدثت وأنا بالمستشفى تجعلك تزداد يقينا بأن فى هذا الشعب خامات طيبة وقلوباً طاهرة لو وجدت التوجيه السليم لآتت ثمارها وعبدت ربها ودافعت عن عقيدتها بكل ما تملك من جهد ومال ..

كان معنا فى المستشفى عسكرى ممرض اسمه : صلاح ، وكان مكلفاً بإعطاء الحقن للمرضى ومراقبة الزنزانات . وذات يوم كنت ذاهبة الى دورة المياه . وإذا بالهواء يرفع بطانية كانوا يستعملونها بابا لزانزنة الأستاذ الامام الشهيد سيد قطب ، لأنها كانت بغير باب خشبى . وتصادف مع رفع البطانية مرورى أمام الزنزانة ، وقامت الدنيا فى المستشفى . كيف تحدث هذه الجريمة البشعة . وترى زينب الغزالى سيد قطب وهو جالس فى زنزانته ، وقام المدعو صلاح يشتم ويسب . ومما زاد الموضوع بشاعة أن صفوت الروبى كان داخلاً إلى المستشفى فى هذه اللحظة . فأراد العساكر أن يثبتوا له أنهم حريصون على تنفيذ الأوامر . ولا يسمحون لأحد أن يرى أخاه . ولو كان ذلك صدفة بسبب بطانية رفعها الهواء .

كان صلاح أشبه بوحش كاسر لا إنسانية ولا عقل ولا دين ، وكان الأستاذ سيد قطب

يلاطفه ويخبره بأنه لا دخل له ولا ذنب فى رفع البطانية وظل يكلمه بكلام هادئ حلو حتى جعل هذا الوحش يلين ويستحى ويسكت.. . ثم يأتينى بعد أيام نادماً يقول : إنه يريد أن يسلم من جديد . ويسألنى ماذا عليه أن يعمل حتى يكون مسلماً صحيحاً ..

وسألته : هل تستطيع أن تحتمل مثل ما ترى مع الاخوان ؟

قال : إذا أسلمت إسلامهم فسيصبّرنى الله إن شاء ويقوينى .

سألته تقول : لا اله الا الله محمد رسول الله ؟

قال : نعم . ثم رددها أمامى ..

فقلت إذن . لا تفعل ألا ما يأمرك الله به ولا تطع أمر الطواغيت من البشر مادام ذلك فى معصية الله .

قال : أنا أريد أن أفهم الإسلام الحقيقى . الإسلام الذى جعلكم تتحملون كل هذا العذاب بصبر لا يستطيعه بشر.

فطلبت منه أن يرجو الأستاذ سيد قطب أن يفهمه الإسلام حين يذهب إليه ليعطيه الحقن وأرسلت معه تحية للأخ العزيز..

وقرب موعد المحاكمة

وانقضت أيام . وجاءت عريضة الاتهام بموعد المحاكمة . وكانت مهزلة لم يشهد لها التاريخ مثيلاً . ولقد أخبرونا أن الأحكام فى درج شمس . وقد حرمونا حق الدفاع ومقابلة المحامين فحين طلبت انتداب الأستاذ أحمد الخواجة قيل لى : إنه ممنوع من الدفاع فى هذه لمصة

فقلت . إذن لا أريد محامياً . سأدافع أنا عن نفسى .

فانتدبوا لى محامياً مسيحياً ليتولى الدفاع عنى ، وصرحوا لأهلى بزيارتى قبل المحكمة ، فجاءت والدتى وأختاى اللائى كاد يغمى عليهن لما رأيتنى من تغير صورتى وضعفى .الشديد وشجعتهن وجلست معهن . ومعنا صفوت وحمزة البسيونى مشرفين على الزيارة ، وطلبت من أهلى ألا يوكلوا عنى . ولكنى علمت منهم أنهم وكلوا الاستاذ حسين أبو زيد واتفقوا معه على ألف جنيه . نصفها قبل المحاكمة ، فأوصيتهم بعدم إنفاذ الاتفاق ، إلا أنى فوجئت يوم المحاكمة بالمحامى حسين أبو زيد يدافع عنى ، وفى مساء اليوم السابق للمحاكمة أخذت إلى مكتب شمس بدران الذى قال لى : المطلوب منك ألا تعترضى على أى شئ جاء فى التحقيقات . وأن تصدق على كل كلمة وردت فى الأوراق ، وإذا اعتذرت إلى المحكمة بأن الاخوان خدعوك وأظهرت ندمك على ما فعلت فإن المحكمة ستخفف عنك الحكم ..

إياك أن تعترضى على أى كلمة جاءت فى التحقيقات ، نحن نريد أن نخدمك فاذا قررت أنك تتبرئين من الاخوان المسلمين وأنهم خدعوك فإننا سنخدمك خدمة عظيمة » .

قلت له : «يفعل الله ما يشاء ويختار . ما كان لهم الخيرة من أمرهم » .

قال : كلميني بالعربى ما «ترطنيش .. أنا لا أفهم ما تقولين . الظاهر أنك لا تنوين الخير . نحن نريد أن نخدمك .

قلت له : «وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو ويعلم ما فى البر والبحر وما تسقط من ورقة الا يعلمها ولا حبة فى ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا فى كتاب مبين » .

قال : خذها ياحمزة وهى حرة تفكر فى مصلحتها أو لا تفكر .

قال حمزة : اتركها يابيه . أنا سأتفاهم معها .

وخرجت من مكتب شمس بدران إلى مكتب مجاور له . وأخذ حمزة البسيونى يقنعنى بأن يكون موقفى فى المحكمة البراءة من الاخوان المسلمين ، ويعيد على مسمعى ما سبق أن كرروه مرات ومرات من أن المضيبى وسيد قطب وعبد الفتاح اسماعيل قد غرروا بى . وبذل

لى الوعود بأنهم سيسلموننى النقود التى صودرت منى كهدية بسيطة أولى لى ، وعلى قدر كلامى فى المحكمة عن تغرير الاخوان بى ستكون هدية جمال عبد الناصر لى . ونصحنى أن أتعقل وأعود معه الى شمس باشا لأعده بتنفيذ رغباته ويكفينى ما حدث .

سمعت كل ما قاله ولم أجب . لم أملك حين كرر أنه يريد تخليصى من الحكم بالاعدام الا أن قلت له : أنت لا تستطيع أن تستخرج من جسمك البول إذا أنحبس منك يامسكين ! .. أرجعنى إلى الزنزانة وأخذت أفكر فى أمر هؤلاء للطواغيت وفى استعداد المحكمة لتنفيذ كل ما يريدون !! .

ولم أستطع أن أفهم — والأمر بيدهم والمحكمة بيدهم — هذا الحرص على ألا نتكلم فى المحكمة أو نغير أقوالنا . يبدو لى ياعزيزى القارئ أن التمثيلية لا تتم الا بهذا الفصل الأخير وهو **مهزلة المحكمة** التى يريدون عرضها أمام الشعب المكبل بالقيود . وكأنهم يريدون أن يقولوا له : انظر . هاهم الاخوان يريدون قتل الرئيس وقد شهدوا على أنفسهم بذلك . ولكن خيّب الله ظنهم فجاءت النتيجة عكس ما يتوقعون ... لقد كانت مهزلة .

وأى مهزلة أكبر من أن يأتوا بأمثال الفريق الدجوى ليجلس فى منصة القضاء !.

بشرى

وفى غمرة تلك الأحداث رأيت فيما يرى النائم . أنى أقف فى ساحة قيل إنها المحكمة التى سنحاكم فيها ،وأنا واقفة إذا بالحوائط تزول وإذا بى وسط ساحة كبيرة مساحتها الأرض كلها . وإذا بالسماء تظلل الأرض وتنطبق عليها كأنها خيمة أطبقت على الأرض ، وإذا بالنور يغمر الأرض كلها . نور يصل ما بين السماء والأرض ، واذا بى أرى رسول الله صلى الله عليه وسلم يقف أمامى متجهاً إلى القبلة ، وأنا خلفه وأسمعه يقول : استمعى يازينب لصوت الحق . وسمعت صوتاً يخترق أقطار السموات والأرض يقول : ستنعقد هنا محاكم الباطل وستصدر أحكام الطواغيت وسيحكم عليكم ظلماً وعدواناً أنتم حملة الأمانة ورواد الطريق (**فاصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون**) .

كانت هذه بعض الكلمات التى سمعتها تخترق أقطار السموات والأرض ببلاغة لم أستطع أن أعيها لقوتها وشدة تأثيرها وأخذها بالنفس والقلب والجوارح .

وعندما انتهى هذا الصوت ، التفت إلىّ حضرة النبى صلى الله عليه وسلم وأشار إلى جهة اليمين ، نظرت فإذا بجبل تقارب قمته عنان السماء ، غير أنه كالبساط الأخضر تكسوه أرض خضراء .

فقال لى حضرة النبى صلى الله عليه وسلم : يازينب ! اصعدى هذا الجبل فستجدين عند القمة حسن الهضيبى ، بلغيه هذه الكلمات ، ونظر الىّ نظرة عميقة أخذت بكل كيانى غير أنه — صلى الله عليه وسلم — لم يتحدث بكلمات منطوقة ولكنى أحسست أنى حملت الكلمات فعلاً ، وفهمت ما يريده منى ، ورفع الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه يده الى الجبل ، فوجدت نفسى أصعده ، وأنا صاعدة التقيت فى طريق بخالدة الهضيبى وعلية الهضيبى سألتهما : هل أنتم معنا فى الطريق ؟ أجابتا : نعم ، وتركتهما وواصلت السير وعلى بعد أمتار التقيت بأمينة قطب وحميدة قطب وفاطمة عيسى فسألتهن : أأنتم معنا على الطريق ؟ قلن : نعم ، وأخذت طريقى فى الصعود حتى وصلت الى القمة ، فوجدت أرضا مبسوطة فوق قمة الجبل وفى وسطها ساحة مفروشة بالبسط وعليها الأرائك والمساند والهضيبى يجلس فى الوسط ، فلما رآنى وقف وأقبل على يحيينى وهو فرح بقدومى عليه فلما صافحته قلت له : أنا مكلفة من حضرة الرسول أن أبلغك كلمات أمانة من الرسول ، امانة منه عليه الصلاة والسلام ، قال لى : انها بلغتنى والحمد لله . وجلسنا وكأن هذه الكلمات تنقل عن طريق الأرواح لا عن طريق لفظ مصور فى كلمة منطوقة . ولما جلست إلى الهضيبى رأيت على الأرض فى سفح الجبل قطاراً فيه امرأتان عاريتان ، فنبهت الهضيبى ، فنظر إلى ما فى القطار ، وكنت متألمة جداً لما أرى فقال لى : أتعترضين عليهن ؟ قلت : نعم ، قال : هل تعتقدين أن الذى وصلنا اليه بأيدينا وبأنفسنا . إنه بفضل الله علينا فلا تشغلى نفسك بهما . قلت : علينا أن نقاوم حتى نقومهن !

قال : هل بنفسك تستطيعين؟ قلت : بالله .

قال : فلنحمد الله على ما أعطانا .

ورفع يديه وكأنه يحمد الله . ورفعت يدى وحمدت الله معه .

ونحن نكرر الحمد لله استيقظت من النوم .

ولم يعد هناك ما أخشاه . وأكاد أحس ببرد وسلام وراحة واطمئنان وغسلت تلك الرؤية ما بى من ألم وأذهب ما بقلبى من حزن « **فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم وأوذوا فى سبيلى وقاتلوا وقتلوا لأكفرن عنهم سيئاتهم ولأدخلنهم جنات تجرى من تحتها الأنهار ثواباً من عند الله والله عنده حسن الثواب . لا يغرنك تقلب الذين كفروا فى البلاد . .. يأيها الذين آمنوا أصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون** » .

اليوم الموعود

القضية الأولى من سبع قضايا قدمت للمحاكمة

أستيقظنا يوم المحاكمة وأخرجونا إلى المكاتب فى انتظار العربات التى ستقلنا إلى المحكمة وحوالى الثامنة إمتلأت ساحة السجن الحربى برجال البوليس ضباطاً وجنوداً وكأنهم ذاهبون إلى ساحة القتال وجاءت عربة وصعدنا فيها وتكدس حولنا الحراس من ضباط وجنود وذهبنا إلى المحكمة وهناك أدخلونا القفص كنا ٤٣ ثلاثة وأربعون :

(١) سيد قطب إبراهيم

(٢) محمد يوسف هواش

(٣) عبد الفتاح عبده اسماعيل

(٤) أحمد عبد المجيد عبد السميع

(٥) صبرى عرفه إبراهيم الكومى

(٦) مجدى عبد العزيز متولى

(٧) عبد المجيد يوسف عبد المجيد الشاذلى

(٨) عباس سعيد السيسى

(٩) مبارك عبد العظيم محمود عياد

(١٠) فاروق أحمد على المنشاوى

(١١) فايز محمد اسماعيل يوسف

(١٢) ممدوح درويش مصطفى الديرى

(١٣) محمد أحمد محمد عبد الرحمن (٢٨) مرسى مصطفى مرسى
(١٤) جلال الدين بكرى ديساوى (٢٩) محمد بديع عبد المجيد محمد سامى
(١٥) محمد عبد المعطى ابراهيم الجزار (٣٠) محمد عبد المنعم شاهين
(١٦) محمد المأمون يحيى زكريا (٣١) محمود أحمد فخرى
(١٧) أحمد عبد الحليم السروجى (٣٢) محمود عزت ابراهيم
(١٨) صلاح محمد محمد خليفة (٣٣) صلاح محمد عبد الحق
(١٩) السيد سعد الدين السيد شريف (٣٤) حلمى محمد صادق حتحوت
(٢٠) محمد عبد المعطى عبد الرحيم (٣٥) إلهام يحيى عبد المجيد بدوى
(٢١) إمام عبد اللطيف عبد الفتاح غيث (٣٦) عبد المنعم عبد الرؤف يوسف عرفات
(٢٢) كمال عبد العزيز العرف سلام (٣٧) محمد عبد الفتاح رزق شريف
(٢٣) فؤاد حسن على متولى (٣٨) زينب الغزالى الجبيلى
(٢٤) محمد أحمد البحيرى (٣٩) حميدة قطب إبراهيم
(٢٥) حمدى حسن صالح (٤٠) محيى الدين هلال
(٢٦) مصطفى عبد العزيز الخضيرى (٤١) عشماوى سليمان
(٢٧) السيد نزيلى محمد عوضية (٤٢) مصطفى العالم

وليعلم القارئ أن المكمل للعدد «على عشماوى» الذى اعتبر شاهد ملك ببيعه دينه بحياة ذليلة .

فلما دخلنا القفص وحضر من يسموهم القضاة . نادى الدجوى أسماءنا واحداً واحداً سائلاً كلا منا : هل لك اعتراض على المحكمة ؟

ويجيب الأخ : ليس لى اعتراض على الأشخاص . ولكنى أعترض على القانون الذى نحاكم به لأنه قانون جاهلى . ونحن لا نحتكم إلا لشرع الله .

ولما فرغ من سؤالنا جميعا . قال : قررت المحكمة ان نحاكم زينب الغزالى وحميدة قطب محاكمة خاصة فأخرجونا من القفص . فأشرنا إلى بعض أهالينا الموجودين بالقاعة بالتحية . ثم أدخلونا حجرة أغلقوها علينا حتى انتهت الجلسة فأخرجونا إلى العربة ومنها إلى السجن الحربى .

كان ذلك يوم ١٩٦٦/٤/١٠ . ومكثنا فى الزنزانات حتى يوم ١٩٦٦/٥/١٧ . لتعاد مسرحية المحكمة . كما سبق أن ذكرت من أن تلك « المحاكمة » هى الفصل الأخير الذى يريدون عرضه أمام الشعب ..

الباب السادس

محكمة !!

فى يوم ١٩٦٦/٥/١٧ أخذونا إلى المحكمة . وأدخلونا القفص . هيئة المحكمة يتقدمها الفريق الدجوى منتفخ الأوداج وجلس أعضاء النيابة فى مكان عن يمينه . تلى منصة النيابة منضدة عليها عدد من الصحفيين . كانوا قد حضروا قبل هيئة المحكمة . وأخذوا يصورننا . وكان معهم صحفى يدعى عبد العظيم . طالما جاء ليلتقط بعض الصور لنشاط المركز العام للسيدات المسلمات فقلت له : يا عبد العظيم احتفظ بهذه الصور لعلنا نحتاجها يوماً ما . ولعله أن يكون قريبا . قال : حاضر . وكانت هذه شجاعة منه ولكنه ارتعش واصفر وجهه وتغير لونه وهو يجيب . وبعد دقائق لم أره فى القاعة والتفتُّ إلى الصحفيين أسألهم : ماذا تفعلون ؟

وابتدأ الدجوى المحاكمة بأن نادى اسمى فخرجت من القفص كى أرد على أسئلته وكانت كل الأسئلة التى وجهها لا تمت بصلة لكلامى فى التحقيق . فكنت أقول له : هذا الكلام لم أقله فى التحقيق ..

وأكتفى هنا بسؤالين أجبته عنهما :

قال لى : إن حسن الهضيبى قال : أن الأربعة آلاف جنيه التى أعطيته اياها سرقتها من زوجك .

قلت : الأربعة آلاف جنيه اشتراكات وتبرعات من الاخوان المسلمين . لحساب أسر المسجونين لإطعامهم وكسوتهم وتعليمهم . آلاف الأسر التى شردها جمال عبد الناصر بعد محاكمات ١٩٥٤ وهو ما قلته فى التحقيق .

فارتبك وارتعد وكأن عقرباً لدغه وسأل : عندما كسرت رجلك كنت خائفة على هذا المبلغ فلماذا ؟! ولما جاءك عبد الفتاح اسماعيل فى المستشفى أرسلتيه ليأخذ المبلغ من الخزنة فى منزلك ويسلمه للهضيبى فلماذا ؟

قلت : لأنها أموال الدعوة الاسلامية . حق المسجونين المجاهدين الذين شردتم أسرهم وهى فى خزانتى ولو مُت سيأخذها الورثة وهى ليست ملكى . لكنها ملك الدعوة .

قال : هى ملك التنظيم حتى تشتروا بها سلاحاً . والهضيبى قال إنه لا يعرف مصدر هذه الأموال . إلا أنك أخذتها من زوجك .

وتدخلت النيابة وقال : سيد قطب يقول إنه قال لحميدة بأن الضربة تكون شاملة وعلى أوسع مدى .

أجبت : هذا لم يحدث .

قال وكيل النيابة : وهل يكذب سيد قطب ؟

قلت : حاشا الله أن يكذب .

فانفتح وكيل النيابة كالمجرور القذر . وأخذتنى الدهشة فلم أكن أتوقع أن أسمع هذه الألفاظ القذرة من النيابة فى قاعة المحكمة . أهكذا استطاع الطاغوت أن يقضى على الكرامة والاخلاق فى مصر ؟!

انتهى الدجوى من سؤالى ومناقشى فعدت إلى القفص . وخرجت حميدة لتجيب على أسئلته . ولما فرغت من الأجوبة وعادت إلى القفص . ابتدأت مرافعة النيابة ولست أدرى اذا كان يجوز أن أُسميها مرافعه . فقد هبطت فيها النيابة إلى درك أسفل من انحطاط اللفظ وقبحه وشنيع ما نطقت به من عبارات القذف فى الأعراض والسباب للأبرياء . وكانت ظلمة تخيّم على وجه المتكلم باسم النيابة وتمتد لتطمس المحكمة كلها ..

وضاق صدرى بالباطل المجسم فى النيابة والمحكمة . فرفعت يدى أطلب الكلمة . فظن

الدجوى المدعى أنه قاض . أنى سأعتذر خوفا من باطلهم وتهديدهم وما طلبته النيابة من اعدامى لأن الأشغال الشاقة المؤبدة لا تكافئ جريمتى . ونظر الدجوى نحوى والجهل يغطى وجهه وقال : تكلمى .

وقفت وقلت :

« بسم الله الرحمن الرحيم ! نحن أمناء أمة وورثة كتاب وحماة شريعة ولنا فى رسول الله أسوة حسنة . وإننا لثابتون على الطريق حتى نرفع راية لا اله الا الله وحده لا شريك له . محمد عبده ورسوله . وحتى تلتزم بها الأمة . وحسبنا الله ونعم الوكيل فيما افترى الظالمون . وأشرت إلى النيابة والمحكمة معاً وأنا أردد : حسبنا الله ونعم الوكيل فى هذا الباطل والبهتان والأثم المبين .

وأخذت الدجوى نوبة هستيرية فصار يصرخ : « اسكتى اسكتى هى بتقول إيه ؟ يعنى إيه (أسوة) إيه معناها الكلمة دى . ويكرر هذا ... وهنا ضجت القاعة بالضحك على ذلك الذى حكموا عليه أن يكون قاضياً وهو لا يفهم معنى كلمة « أسوة » وهكذا كان عبد الناصر ينتقى رجاله .. وهل يكون أعوانه الخاسرون إلا خاسرين ؟!! جلست وأنا أقول : **ما الجهل إلا مفسدة ولكل سوء مجلبة . ليشهد التاريخ على من يحاكموننا ويحكموننا ..**

وانتهت الجلسة وعدنا إلى السجن وعاد كل منا إلى زنزانته بعد أن حاسبونى على ما قلت فى المحكمة..

أجهل من الجاهلية ..

واعتقدت أنه بمحاكمتى انتهت المتاعب بالنسبة لى . ولكنى فوجئت بأنهم يستدعوننى للتحقيق مرة أخرى فى المكاتب . ويسألوننى عن أشخاص فاذا أجبت بأنى لا أعرفهم بدأوا معى التعذيب من جديد والوقوف ووجهى للحائط . وهكذا استمر التعذيب رغم انتهاء المحاكمة . فهل وقع هذا من محاكم التفتيش أو أى محاكم أخرى فى التاريخ ؟ هل وقع

فى بداية الدعوة وفى ظلام جاهلية قريش ؟

اللهم لا !! والتاريخ يشهد .

النطق بالأحكام

جاء اليوم الموعود للنطق بالأحكام . أخرجونا أنا وحميدة فى عربة خلف عربة الرجال ومعنا الحرس . وذهبنا لنستمع إلى الأحكام .

أجلسونا فى حجرة وانتظرنا إلى أن انتهى الحكم على الرجال فأدخلونا القاعة وكان أحد الضباط يجلس فيها . نادى اسمى ثم قال :

زينب الغزالى الجبيلى أشغال شاقة مؤبدة ٢٥ عاماً مع مصادرة المضبوطات .

قلت : الله أكبر ولله الحمد . فى سبيل الله وفى سبيل دعوة الحق ، دعوة الإسلام ، «ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين» .

ثم نادى حميدة قطب وقال : عشر سنوات أشغال شاقة . فضممتها إلى صدرى وأنا أردد : الله أكبر ولله الحمد . فى سبيل دولة القرآن الحاكمة بالقرآن والسنّة إن شاء الله .

وصرنا نردد هذا حتى وصلنا حوش المحكمة ، فوجدنا الاخوان فى العربات ، وكنا قلقين نريد أن نطمئن على أحكامهم . فلما رأونا صاحوا سائلين : ايه يا أخت زينب ؟!

قلت : ٢٥ سنة أشغال شاقة مؤبدة فى سبيل دولة الاسلام الحاكمة بالقرآن والسنّة إن شاء الله .

عادوا يسألون : والأخت حميدة ؟ قلت : عشر سنوات أشغال فى سبيل الله ودعوة الاسلام .

وسألتهم عن أحكام الأخ سيد قطب والاخ عبد الفتاح اسماعيل ويوسف هواش وبقية الاخوة .

فقالوا : شهداء فى سبيل الله ! ففهمت أنه إعدام وقلت : اللهم تقبل فى سبيل دولة الإسلام الحاكمة بالقرآن والسنّة إن شاء الله .

وجاء صفوت الروبى ومعه عساكر من السجن الحربى وعساكر من البوليس فأخذونى وحميدة بالقوة إلى عربة صغيرة وجاء الصحفيون ليصورونا ، وهجمت على آلة تصوير أحدهم أريد تكسيرها .. صائحة فيهم : يا مصفقين لكل ظالم ، يا آكلين السحت على موائد الطواغيت ، ماذا تفعلون ؟

وعدنا إلى السجن وجرت المحاسبة على ما صدر .

ومنذ هذا التاريخ بعد صدور الأحكام جمعونا أنا وحميدة قطب فى زنزانة واحدة .

لحظات فى رضوان الله

وبعد الحكم بخمسة أيام طرق باب الزنزانة وفتح ودخل علينا الأخ سيد قطب ومعه الضابط أركان حرب السجن ويدعى ابراهيم وصفوت الروبى .

وأنصرف الضابط وبقى صفوت والأخ سيد قطب .

قلت : مرحبا يا أخ سيد ، هذه مفاجأة سارة وغالية علينا جدا ، إنها لحظات من رضوان الله أن تجلس إلينا .

وجلس يتحدث إلينا عن الآجال ومواعيدها وأنها بيد الله ولا أحد يتحكم فيها إلا الله ، وأمرنا بالرضا والتسليم ، وكان الحديث عن الرضاء بقضاء الله ، وأسرّ إلى حميدة ببعض كلمات كما أسرّ إلىّ ببعض كلمات أيضا .

وهنا غضب صفوت وزمجر وأنهى المقابلة .

وهكذا الطغاة لا يستطيعون ممارسة الخير فى أى لحظة من حياتهم . ونظر إلينا الإمام الشهيد وقال : ما علينا فلنوطن أنفسنا على الصبر وسلم علينا وانصرف ..

المساومة الأخيرة قبل الاعدام

طلب الطغاة حميدة ليلة تنفيذ الحكم بالاعدام . وسأترك لها أن تقص علينا ما جرى . قالت :

استدعانى حمزه البسيونى إلى مكتبه . وأرانى حكم الإعدام ، والتصديق عليه ، ثم قال لى : إن الحكومة مستعدة أن تخفف هذا الحكم إذا كان شقيق يجيبهم إلى ما يطلبون ، ثم أردف قائلا :

إن شقيقك خسارة لمصر كلها وليس لك وحدك . إننى غير متصور أن نفقد هذا الشخص بعد ساعات . إننا نريد أن ننقذه من الإعدام بأى شكل وبأى وسيلة . إن بضع كلمات يقولها ستخلصه من حكم الاعدام . ولا أحد يستطيع أن يؤثر عليه إلا أنت . أنتِ وحدك مكلفة بأن تقولى له هذا .. أنا مكلف بأن أبلغه هذا ولكن لا أحد أفضل منك فى تبليغه هذا الأمر . بضع كلمات يقولها وينتهى كل شىء !

نريد أن يقول : إن هذه الحركة كانت على صلة بجهة ما . وبعد ذلك تنتهى القضية بالنسبة لك . أما هو فسيفرج عنه بعفو صحى .

قلت له : ولكنك تعلم — كما يعلم عبد الناصر — أن هذه الحركة ليست على صلة بأى جهة من الجهات .

قال حمزة البسيونى : أنا عارف وكلنا عارفون أنكم الجهة الوحيدة فى مصر التى تعمل من أجل العقيدة . نحن عارفون أنكم أحسن ناس فى البلد . ولكننا نريد أن نخلص سيد قطب من الاعدام .

قلت له : إذا كان سيادتك عاوز تبلغه هذا فلا مانع ! .

فنظر إلى صفوت وقال : خذها يا صفوت إلى أخيها .

وذهبت الى شقيق وسلمت عليه وبلغته ما يريدون منه . فنظر إلى ليرى أثر ذلك على

وجهى . وكأنه يقول : أأنت التى تطلبين أم هم ؟ واستطعت أن أفهمه بالإشارة أنهم هم الذين يقولون ذلك .

وهنا نظر الىّ وقال :

« والله لو كان هذا الكلام صحيحاً لقلته ولما استطاعت قوة على وجه الأرض أن تمنعنى من قوله . ولكنه لم يحدث وأنا لا أقول كذباً أبداً .

سأل صفوت : يعنى ده رأيك ؟ .

أجاب بقوله : نعم .

فتركنا صفوت وقال : على العموم تقدروا تقعدوا مع بعض شويه ..

وانصرف وأفهمت أخى بالحكاية من أولها . وقلت له : إن حمزة إستدعانى وأرانى تنفيذ حكم الاعدام . وطلب منى أن أطلب منك هذا الطلب .

سأل : وأنت ترضين ذلك ؟ قلت : لا . قال إنهم لا يستطيعون لأنفسهم ضرراً ولا نفعاً . إن الأعمار بيد الله وهم لا يستطيعون التحكم فى حياتى ولا يستطيعون إطالة الأعمار ولا تقصيرها كل ذلك بيد الله . والله من ورائهم محيط .

ونفذ الطاغوت أحكامه

وبعد أيام سمعنا عن تنفيذ الأحكام بالإعدام فى الإمام الشهيد سيد قطب والشهيد عبد الفتاح اسماعيل . والشهيد محمد هواش .

ووقع علينا إعدام سيد قطب وأخويه موقع الصاعقة . فالكل كريم عزيز مجاهد وشقيقة سيد تقيم معى فى الزنزانة . كيف أواسيها ؟ كيف أخفف عنها ؟ ما الذى أستطيع أن أفعله ؟ بل كيف أخفف عن نفسى ؟ وبماذا أواسى نفسى فى هذا المصاب ؟

إن الحادث جلل . والمصاب فادح . فإعدام سيد قطب وأخويه فى الله والجهاد ليس

الأمر الهين! ..

سيد قطب مفسر القرآن . الداعية الإسلامى . الحكيم فى فهمه وبيانه وصفاء منهجه . وقوة حجته . المتمسك بدينه . الواثق بنصر الله .

أليس هو صاحب التفسير العظيم «**فى ظلال القرآن**» الذى فتح باباً جديداً للتفكير فى كتاب الله والوقوف عند أحكامه . وبيّن كيف يكون الالتزام ؟!

سيد قطب الذى وضح فى مقدمة سورة الانعام : **أين الطريق** ؟ ..

سيد قطب صاحب : هذا الدين . والعدالة الاجتماعية . والمستقبل لهذا الدين . والتصوير الفنى فى القرآن . ومشاهد القيامة . وما يربو على العشرين كتاباً فى كل معرفة من علوم القرآن .

إن الكلمات لا تسعف فى المواساة فى مثل هذا الحادث .

أقرأوا «المعالم» لتعرفوا لماذا حكم عليه بالاعدام !

إن البعث الإسلامى فى العظمين هو ما يركز عليه الامام سيد قطب . ومعنى ذلك أن تنتهى دولة القوتين العظميين وأن تحكم الشريعة العالم . لا تلك الهمجية الجاهلية ..

نعم . ان بعث الإسلام معناه إنهاء قوة الأمريكان والروس وأن تقوم القوة الشرعية صاحبة الحق الشرعى فى حكم هذا العالم «**خير أمه أخرجت للناس**» وستقوم باذن الله «**والله متم نوره ولو كره الكافرون**» .

الأيام الأخيرة بعد الأحكام فى السجن الحربى

يوم تنفيذ الأحكام رأيت سيد قطب فى سنة خفيفة بعد صلاة الفجر . فقال لى :

اعلمى أنى لم أكن معهم . أنا كنت فى المدينة مع حضرة الرسول عليه الصلاة

والسلام . وتنبهت فحكيت لحميدة .

وفى صبيحة اليوم الثانى لتنفيذ أحكام الاعدام . أخذتنى سنة من النوم كذلك بعد صلاة الفجر وأنا أتلو أذكار ختم الصلاة . فسمعت صوتاً يقول لى : سيد فى الفردوس الأعلى ورفقته فى عليين .

تنبهت وحكيت لحميدة فانهمرت دموعها وقالت : أنا على ثقة من فضل الله علينا وبأنه إن شاء الله فى الفردوس الأعلى . قلت لها : وهذه الرؤى تثبيت من الله سبحانه وتعالى ومواساة .

نعم ونفذ أمر الله وعشنا فى شدة قلّ أن يحتملها بشر . وظننا أننا سنعيش فى صمت نضمد الجراح لا تلاحقنا فيه قسوة الاستجوابات والتحقيقات . فقد انتهت المعركة الفاجرة بعد الأحكام وتنفيذها ..

ولكن كيف ! ! فما زال الفجار يطلبوننى للمكاتب وأترك حميدة نهباً للألم والقلق والانتظار الخائف القلق حتى أعود اليها فتسألنى . فأحكى لها أن الطغاة قبضوا على مسلمين جدد وأنهم يسألوننى عن أسماء لا أعرفها ويريدون أن يلفقّوا لى قضية أخرى فحكم المؤبد لا يكفيهم ..

نعم عشنا بعد الأحكام وتنفيذها فى السجن الحربى مهددين لم ترتفع عن حياتنا ظلال التهديد والتعذيب . لكنا وجدنا فى القرآن خير سكن فعشنا معه وصدق الله « ألا بذكر الله تطمئن القلوب » وطلبنا أن يصرحوا لنا بقراءة الجرائد . ووعد حمزة بإحضارها لنا على حساب أماناتنا فى السجن . وجاءتنا الجرائد فخففت من قسوة الانقطاع ووصلتنا بأخبار الأحياء خارج الأسوار ! ..

عشنا فى السجن الحربى نلوك شدة قسوة الأيام وتهديدات المكاتب . فلم تنقطع المؤامرات على حكم عبد الناصر وكلما وجدوا مشتركا فى مؤامره عسكرية سألوا زينب الغزالى هل تعرفه . وتكررت صور الارهاب والتهديد . فلم تكن تمر أيام الا ومؤامره عسكرية

جديدة . والويل لزينب الغزالى إذا كان بالمؤامرة ملحق !!

(ومات زوجى ..)

عقب رجوعى من سماع الأحكام طلبت من حمزة البسيونى أن يرسل لزوجى لأننى أريد مقابلته . ولما لم يحضر كررت طلبى . فطلبونى فى المكاتب وسألونى عن سبب إلحاحى . قلت : لقد حكم على بالسجن ٢٥ سنة وأنا أريد أن أبلغه بأننى أعفيه من التمسك برباط الزوجية ليكون حراً بعد ذلك فى تصرفه .

أجاب حمزة فى غلظة : سيعملها جمال عبد الناصر . ما أعدمكيشى . لكن حايموتك بالتدريج !...

قلت : الله الفعال ..وعبد الناصر وأنتم والدنيا كلها مجتمعة لا تستطيع أن تسقط ورقة من شجرة إلا بإذن الله .

قال : نحن سنأتى لك قريباً بورقة الطلاق .

خرجت وأنا أقول : أنتم وحوش .

وعدت إلى الزنزانة . ومرت أيام قاسية . وفى يوم كنت أصلى الفجر وأتلو القرآن فأخذتنى سنة من النوم . فرأيت فيما يرى النائم صورة زوجى فى صفحة الوفيات وأنا أقرأ نعيه . انتبهت وأنا أُردد : اللهم لا أسألك رد القضاء ولكن أسألك اللطف فيه !.

ووجدت حميدة تردد نفس الدعاء . دهشت لكنى كتمت عنها ما رأيت . وتكررت الرؤيا ..

ووصلتنا الجرائد صباح يوم جمعه فأخذت أتصفحها . وإذا بى أجد نعى زوجى . قلت : أشهد أن لا اله الا الله وان محمداً عبده ورسوله . إنا لله وإنا اليه راجعون . فى الجنة ان شاء الله ياحاج محمد !.

ثم لم أتمالك نفسى فانفجرت بالبكاء ثم أغمى على . واستدعوا لى الطبيب . ومرت

أيام وجاءت الأسرة لزيارتى ومنها علمت أن جمال عبد الناصر وجنده خيّروا الرجل الطيب الانسان الفاضل زوجى المرحوم الحاج محمد سالم سالم بين أمرين لا ثالث لهما : إما ان يطلق زينب الغزالى الجبيلى أو أن ينقل إلى السجن الحربى . وطلب منهم مهلة أسبوعين يفكر . فأصروا على الاختيار فوراً . وكان معهم المدعو ابو الوفا دنقل يهدد الحاج محمد بتنفيذ أمر عبد الناصر . بل إن الفجور بلغ برجال المباحث أنهم أحضروا المأذون معهم ليجرى الطلاق .

وقّع زوجى على ما كتبوا له وهو يقول : اللهم اشهد أننى لم أطلق زوجتى زينب الغزالى الجبيلى .

كما قال لهم : أنا سأموت . أتركونى أموت بكرامتى . أنا سأموت وهى على عصمتى . حصل ذلك وزوجى مريض . أصيب بعد سماع الأحكام بشلل نصفى . وكان من قبل مصاباً بذبحة نتيجة استيلاء عبد الناصر على شركاته وأمواله وأرضه وبيته .. فحسبنا الله ونعم الوكيل .

ولم يطل به الأمر فقد توفى رحمه الله بعد توقيعه على الطلاق . وسمعت الأسرة وقالت شقيقتى : إنها لما سمعت بما حدث غضبت ورفعت صورة للحاج كانت فى حجرة الصالون ..

وغضبت منها وطلبت أن تعاد الصورة . فزوجى كان أخى فى الله قبل أن يكون زوجى وبيتى سيبقى بيته طالما أنا على قيد الحياة . لقد جمعت بيننا العقيدة قبل أن يجمع الزواج . والزواج عرض من أعراض الحياة . ولكن الأخوة فى الله باقية خالدة لا تزول ولا تقاس بها الدنيا وما فيها . وعرفت أيضاً من الأسرة أنها قد حضرت منذ اللحظة الأولى للوفاة واشتركت فى تشييع الجنازة والعزاء وقامت بما عليها من واجب وأحسست بشئ من الراحة لذلك ..

وحين خلوت إلى نفسى تذكرت رؤيا منّ الله علىّ بها اذ رأيت حضرة الرسول عليه

الصلاة والسلام وأرخت لها بين سطور المصحف الذى كنت أقرأ فيه — وعدت إلى التاريخ فوجدته مطابقاً لتاريخ حادث الطلاق .

نعم رأيت حضرة النبي عليه الصلاة والسلام يمشى بملابس بيضاء وخلفه مباشرة حسن الهضيبي بملابس بيضاء وعلى رأسه طاقية . وأنا أقف ومعى السيدة عائشة ومعها عدد من النساء . وقع فى نفسى أنهن وصيفاتها . وكانت السيدة عائشة توصينى بكلمات . فلما أصبح الرسول عليه السلام فى محاذاتنا نادى عائشة وقال لها : صبراً يا عائشة . صبراً يا عائشة . صبرا يا عائشة . وكانت حقا عائشة رضى الله عنها تشد يدى كل مرة وتوصينى بالصبر ! ..

قمت من نومى وحكيت الرؤيا لحميدة . وأخذت أسأل الله أن يرزقنى الرضا والاحتمال . وتيقنت أن اختباراً جديداً فى طريقه الىّ فأخذت أضرع إلى الله أن يمنحنى عونه وصبره وثباتاً منه سبحانه وتعالى انه مجيب الدعوات ..

وانضم إلينا جيران جدد

وفى ليلة من ليالى الشتاء الباردة سمعنا ضجة وجلبة فى الزنزانة المقابلة . وفتحت زنزانتنا ودخل صلاح الترجى وطلب منا دواء ضد القيء كان قد أدخله لنا فى الصباح . وأعطيناه الدواء .

وعلمنا منه فى اليوم التالى أن المسجون فى الزنزانة المقابلة رئيس وزراء اليمن ومعه عشرون آخرون من رجال الحكم هناك . وأن الشيخ الايرانى فى الزنزانة المجاورة . لم ندهش لذلك فليس ثمة شيء يدهش وكما يقال من يعش رجبا يرى عجبا ! !

هل حرر عبد الناصر اليمن بما فعل كما قالت أبواق دعايته ؟

هل سمعتم أن انجلترا عندما استعمرت مصر . أخذت عشرات من رجالها إلى سجون لندن ؟ هل حملت بوارج بونابرت إلى سجون باريس رجال مصر بعد حملتها عليها ؟

يجب أن يحاكم عبد الناصر

هل لى أن أتساءل لما لم يحاكم عبد الناصر على ما ارتكب من جرائم لتستطيع مصر أن تواجه التاريخ وتقف ورأسها مرفوع ؟

إن الأمر لجد خطير إن لم تبرأ مصر من جرائم وقعت فى عهد عبد الناصر . وإلى أن يأتى ذلك اليوم فستظل مصر كلها مسئولة عن جرائمه . اللهم إلا الجماعة الاسلامية . جماعة الاخوان المسلمين التى برئت إلى الله ورفعت صوتها عالياً باستنكار جرائمه . لقد خدعها فى أيام الحركة الأولى فأيدته ولما علمت من هو ولمن عمالته قررت فى عزمة الايمان أن تقاومه . وكانت معركة الشرف بين الحق والباطل سنة ١٩٥٤ ثم معركة المجد سنة ١٩٦٥ . نعم كانت معركة ٦٥ معركة مجد وشرف . لبعث الاسلام شامخاً قوياً . بعد أن خُيِّل للطاغوت أن دعوة الاخوان أصبحت تاريخاً يروى وعملاً أسدلت عليه الأستار . وقصصا تلوكها الألسنه وبعض رجال خلف قضبان السجون .

كانت معركة ١٩٦٥ وثبة الأشبال ونهضة الشباب من الجيل الذى ولد فى أيام إنقلاب عبد الناصر وصَبَّ به كل ما يملك من سموم إعلامه وضياغ حكمه . نعم ذلك الجيل هو الذى استوعبناه وبنينا به بعثنا للدعوة ونظمنا به صفوفنا من جديد . فجن جنون عبد الناصر فقد سلبته امرأة ورجل جيله كما كان يصيح فيمن حوله . كانت المرأة أنا وكان الرجل عبد الفتاح عبده اسماعيل .

نعم أخذنا من جيله ذلك الفخار من شبابنا فبنيناه للإسلام . وكانت معركة دفعنا فيها أغلى رجال الدعوة . سيد قطب الامام الفقيه وعبد الفتاح اسماعيل رجل فى أمة وأمة فى رجل ومحمد هواش ذلك العملاق فى الدعوة وفقهها ..

وانتهت أيام السجن الحربى . والإخوان المسلمون كالطود الشامخ شرفاً ورجولة ومجداً . أما عبد الناصر فسجل خزيه يوم حملتنا عرباته وعساكره فى **الخامس من يونية** من

السجون الحربية إلى السجون المدنية لتفسح المجال لمن امتلأت بهم السجون من طغمته يستر بهم عاره ويخفى بهم عمالته . ليستطيع أن يكمل المشوار إلى حيث يتم تنفيذ خطة الأسياد .

نعم جاء الخامس من يونية بخزيه وعاره اللذين سيكللان رأس عبد الناصر يوم يبعث للحساب .

نعم جاء الخامس من يونيو بخزيه وعاره اللذين سيكبلان فرعون القرن العشرين ذلك « **الذى طغى فى البلاد . فأكثر فيها الفساد** » سيكلله بخزيه وعاره يوم يبعث للحساب ..

الباب السابع

الانتقال الى سجن القناطر

٥ يونية

قبل هذا اليوم الذى لن ينساه أحد . فى يومى ٣ ، ٤ يونية تكرر فتح الزنزانة علينا بغير سبب وبدون مناسبة . وليوجه الينا السؤال ان كنا نريد شيئا .. ثم تدور أحاديث موجهة عن الحرب والحديث عن عظمة المنادى بتحرير فلسطين والعرب !!

وكنا نظل فى صمتنا وسكوتنا .. وذات مرة كان المتحدث هو الطبيب ، فتساءلت : هل سنحرر فلسطين ؟! فاحمر وجهه غضباً لغير الله وسأل : يعنى ايه ؟ قلت : العبرة بالنتائج . وبقدر ما يحمل الطواغيت لاسرائيل من عداء أو مودة أو عمالة ، وما دامت الصهيونية العالمية توجه أساليب الحكم للقوتين العظميين فلن يكون على الحاكمين بأمر هاتين القوتين الا التنفيذ .. ولن تحرر فلسطين الا بالاسلام ، يوم يحكم بالاسلام ستحرر فلسطين ! ..

وجاء صباح الخامس من يونية ولم تفتح الزنزانات .. وفجأة فتح باب الزنزانة مارد أسود من العساكر وصاح : لقد انتصر عبد الناصر ياولاد الـ ..

وخرج كما دخل ليأتى غيره بعد مهلة يشتمنا وينقل إلينا أخبار الانتصار واسقاط الطائرات بأعدادها . ويخرج ليدخل ثالث بعد فترة فيروى أخبار الزعيم الهمام وانتصاراته ، ورابع .. وخامس .. ونحن فى صمت لا نجيب ..

ومع أذان العصر فتحت الزنزانة ودخل **صفوت الروبى** فى وحشية وأخذ يضربنى بحذاء غليظ فقد كان بملابس الميدان . كان يأخذنى بيديه ويرمينى الى الحائط ثم ينزل بحذائه الغليظ على جسدى ركلاً وهو يقول : احنا انتصرنا يابنت الـ .. ووقفت حميدة وهى

تقول : ليه .. ليه ؟! والمجرم لا يكف عن ضربى حتى الإغماء فتركنى وأخذ يأمر العساكر المصاحبين له برمى حاجياتنا خارج الزنزانة . ثم عاد الى ضربى ، بعد ذلك أخرجنا من الزنزانة وساقنا وهو يكيل لى السباب قائلا : انتصرنا ، انتصرنا غصب عنك وموتك حل دلوقت (**كان ذلك عصر ٥ يونيه سنة ١٩٦٧**) وأصعدونى وحميدة عربة جيش مصفحة مملوءة بالحرس من ضباط وعسكر . وخرجت السيارة من السجن الحربى ، وكان أركان حرب السجن يجلس بجانب سائق السيارة ، وصرت فى غير وعى ومن غير تفكير من قسوة الضرب أردد : حسبنا الله ونعم الوكيل .كنت أرددها بصوت مرتفع جداً . وأحسست أن السماء والأرض وكل الكون ينطق معى ويشكو إلى الله ، وكنت كلما نبهتنى حميدة لأصمت أخذتنى غيبوبة وصرت أردد : حسبنا الله ونعم الوكيل . وكنت أحس وأسمع الكون ينطق بها معى ..

كنت على يقين من أننى مسوقة إلى الإعدام كما ذكر صفوت وهو يضربنى فى الزنزانة ، فانصرفت الى الله بكل مشاعرى وأنا أتلو «**إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة**» وقوله تعالى «**وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد**» .

وأتمثل قول القائل :

ولست أبالى حين أقتل مسلما ... على أى جنب كان فى الله مصرعى

وقول القائل :

أقول لها وقد طارت شعاعاً ... من الأبطال ويحك لن تراعى
فإنك إن طلبت بقاء يوم ... على الأجل الذى لك لم تطاعى
فصبراً فى مجال الموت صبراً ... فما نيل الخلود بمستطاع

وفجأة وقفت العربة وأخذت حميدة تهزنى وفتحت عينّى فإذا نحن أمام سجن القناطر للنساء .

ليلة عذاب نفسى

وابتلعتنا بوابة السجن وأدخلنا حجرة المأمور ، وفتشت حقائبنا تفتيشاً دقيقاً . كان الوقت ليلاً ، وأخذتنا امرأة يقال لها باش سجانة تدعى عنايات الى حجرة بجوار حجرة المأمور وهناك فتشونا مرة أخرى وألبسونا ملابس السجن وأدخلتنا حجرة ليس لها باب غير أعمدة حديدية متفرقة ، بها سرير من طابقين ، الطابق الأول تالف والثانى عليه وسادة مهلهلة وكانت الحجرة مطلة على صالة بها ثلاثة عنابر فيهم نساء . علمت بعد ذلك أن أحكاماً قد صدرت عليهن بسبب السرقة وتجارة المخدرات والسلوك المنحرف و ... والقتل ... أخذ الظلام يخيّم على المكان وسمعنا أذان العشاء فتيممنا وصلينا وحاولنا النوم ومر وقت وكان النوم يداعب جفوننا وما يكاد يلامسها حتى يفارقها . . الليل ضارب أطنابه ، والظلام يكسو المكان بوحشته ، والنفوس أشربت الرذيلة ، والعنابر أغلقت بما فيها من سوء فظهر الانحطاط الخلق وظهرت المستنقعات الآسنة بالرذائل فهوت البشرية الى أبعاد سحيقه انحدرت بالانسان عن آدميته ، وهكذا مر الليل بساعاته الطويلة ونحن نرى ونسمع ما يؤذى النفوس ويجرح المشاعر .

وقضينا تلك الساعات الطويلة فى ذكر الله تعالى نذكره ونسبحه ونتلو آياته «**ألا بذكر الله تطمئن القلوب**»

وما كاد الفجر يبزغ ويشرق النهار بضوئه حتى سرت طمأنينة الى نفوسنا وتضرعنا الى ربنا سبحانه سائلين متوسلين أن يجعل لنا فرجاً ومخرجاً .

ولن أنسى هذه الليلة فقد كانت ليلة شديدة وقاسية وإن لم يكن بها سياط ، وابنتى حميدة ظلت تبكى حتى أغمى عليها وكنت أحاول التخفيف عنها ، وأقول لها إننا حملة أمانه ، ورواد رسالة ، فلابد من الصبر والتحمل ... تحمل مشاق الطريق والصبر على ما نرى وما يجرى علينا ، وأجرنا على الله .. إن كل ماأصابنا فى السجن الحربى من إهانة للنفس وضرب بالسياط وتمزيق الأبدان وتنكيل وبطش بل وقتل وتجويع وعطش و .. ،

إن كل ذلك لا يساوى ما رأينا وسمعنا فى هذه الليلة التى عشناها وأمامنا ذلك القطيع الضال من عالم البشر التائه فى سراديب الجاهلية ، ذلك القطيع من عالم المرأة المسكينة التى يقال لها إنها تحررت فصارت عبداً للشهوات والأهواء وأصبحت الجريمة حرفتها فأغرقتها ، فنسيت إنسانيتها وطهرها وعفافها ومكارمها فغدت حيواناً لا يعرف معنى للحياة الا لشهوة الفم والفرج ! ! كبهيمة عمياء قاد زمامها .. أعمى على عوج الطريق الحائر فضلت وأصبح هواها يقودها الى مهاوى الرذيلة وساعدها فى ذلك المفسدون فى الأرض ، أهل الباطل والإلحاد ، وقوى الشر والإجرام .. وفى هذا الجو المشحون بالأهواء والمفاسد والظلم والظلمات ، انطلق نداء الفجر ، فبدد باشراقة الصباح تلك الغيوم السوداء فتوجهنا إلى الرحمن الرحيم فصلينا ودعوناه راجين فرجه ورضوانه !..

وجاء وقت فتح العنابر بعد ساعات وطلبت من السجانة مقابلة المأمور وعادت بعد ساعة تدعونا إلى مكتب المأمور ..

صراع من نوع جديد

دخلت أنا وحميدة على المأمور فقال لنا : الكانتين ممنوع والزيارة ممنوعة وليس لكما أى حق من حقوق المساجين ، أنتما فى تكدير حتى نؤمر بأوامر أخرى ، فاهمين .

قلت له إننا لم نطلب مقابلتك لهذا الأمر ولكن جئنا لنسألك...فقال مقاطعاً أنتم طلبتم مقابلتى ؟ قلت نعم ، إننا نطلب تغيير الزنزانة ، وأضافت حميدة نريد حجرة لها باب لا قفص حيوانات .

قال : إيه الكلام ده ؟ حنرجعكم إلى السجن الحربى تانى وتشوفوا اللى شفتوه ..

قلت : نحن لا نستطيع البقاء فى هذا المكان الذى لا يليق بالحيوان . قال المأمور : أنا مأمور وده سجن . وأنتم مسجونين . ومافيش غيركده . ثم وقف وصاح اتفضلوا اخرجوا ! قلت : سنظل فى فناء السجن ولن نعود الى هذه الحجرة أبداً وليكن ما يكون .. قال : السجن سجن وإذا ماكنتوش حتنفذوا الأمر سنطلق عليكم الرصاص فوراً . قلت : القتل

أهون من هذا العيش والآجال بيد الله سبحانه ، وقتلكم لنا شهاده . فأخرجنا من مكتبه وتركنا فى حوش السجن .

وبعد فترة نادى المأمور الباش سجانة قائلا لها : وديهم ياسعاد على الملاحظة ، وقالت سعاد : ألف مبروك حتقعدوا فى الملاحظة .

وصعدنا درجات لسلم الملاحظة ، ودخلنا إلى عنبر واسع به عشرون سريراً للسجينات . وبعد ساعة جاءت السجانة المختصة بالملاحظة وقالت تعالوا ، **الايراد جه** ، ولم نفهم مقصدها ، غير أنها أخذتنا وأوقفتنا فى صف من النساء يسمى الايراد ، والايراد هو قطيع من البشر الحائر فى مجتمع ضاعت فيه القيم والمعانى فهوى إلى الرذيلة ، إلى هوة سحيقة ، فجىء به إلى السجون ..

وسمعت السجانة تقف على باب حجرة وتصيح : الايراد النهاردة خمس وأربعين ، خمسة وعشرين تسول ، خمستاشر دعارة ، ثلاثة سرقة ، **إثنين سياسيين ... تعنى بالسياسيين أنا وحميدة** .

خرجنا من ذلك الطابور ، وأخذت حميدة معى فقالت السجانة رايحين فين ؟ إنتظروا لما ييجى دوركم .

قلت لها : سنقف وحدنا ، ولسنا من هذا الايراد . قالت : بتقولى ايه يا إدلعدى ؟ قلت : سنقف وحدنا . قالت : معلهش ، ودول مش خلق الله زيكم .

لم أجبها ولزمنا الصمت ، أخذت السجانة فى إدخال البشرية الضالة الى حجرة ثم جاءت الينا تقول : الست الدكتورة أمرت أن تجلسوا حتى تنتهى وتدخلوا اليها . ولما فرغت الطبيبة استدعتنا ودخلنا فسألتنا عن الاسم والسن وما نشكو ثم أخدونا إلى حجرة وأغلقوا علينا بابها . ولم يمض وقت طويل حتى ارتفع الصراخ وعلا البكاء وساد الجميع حزن ووجوم وتحسسنا الخبر ، ماذا حدث قالوا : النكسة !!

وحدثتنى نفسى حديثاً طويلاً : وأى نكسة تلك ياترى ؟! آه ! من لك أيها الشعب

المسكين ! ما أكثر نكساتك ! لقد تعددت فما أعظمها ! وما أعمقها ،ما أقساها ! لقد أصابت شعبنا نكسات ونكسات : نكسة فى الخلق ، نكسة فى الرجال ، نكسة فى ... ، وأخيراً نكسة ٥ يونية !!!

وكانت طامة كبرى جعلت عبدة القردة والخنازير وأذلاء الأرض المغضوب عليهم من السماء إخوة الشياطين ، جعلتهم النكسة يستعمرون أرضاً عربية ويحكمون أهلها ويذيقونهم من العذاب أصنافاً ومن ألوان البطش والتنكيل ما تمتلئ به نفس يهودية حقيرة ذليلة ..

واستطرد حديث نفسى : ما هذا الذى نعيشه ونحياه ؟! الاسلام ، القوة والعزة والكرامة ، يُقتَل ، ويقتل أبناؤه ولا يسمح لهم بالحياة ولا حتى أن يتنسموا نسيمها أو يثبتوا ولو رويداً رويداً . قتلوا الإسلام وأصحابه فقتلوا الرجال والعزة والمتعة ، هؤلاء الرجال ، حقاً هم الذين بفضل الله تعالى يقهرون الباطل وأهله مهما تعددت أنواعه وتغيرت أشكاله واختلفت صوره وأسماؤه . بهم تعلو الأرض العزةُ والكرامةُ وتغدو البشرية لربها خاضعة عابدة تتنسم عبير الطاعة وتسلم البشرية لربها راضية تسلك طريق العبودية ذللا ، وتستجيب لنداء الحق مهما كانت تكاليفه ومهما كانت تضحياته . أسمع من حولى يتهامسون ، لا تتهامسوا ولا تتناجوا وكونوا صرحاء أقوياء إن النكسة بما كسبت أيديكم ، واتخذتم كتاب الله تعالى وراءكم ظهريا ، والله لو نصرْنا الله لنَصَرنَا .. لو نَصرناه باسلام وجوهنا وقلوبنا اليه . لو نصرناه باتباع شرعه القويم ونهجه المستقيم ، لو نصرناه بالمصارعة الى محابه ومراضيه واجتناب نواهيه ، لو نصرناه ... والله لو نصرناه لنصرنا : لنصرنا برضوانه علينا ، لنصرنا بالتمكين فى الأرض والخلافة عنه سبحانه ، لنصرنا على قوى الأرض الباطلة الحائدة عن طريقه المستقيم . فبكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم تنصرون وتمكنون فى الأرض وتسعدون فى الدارين دنيا وأخرى ، فى طاعة الله العزة والسعادة والنصر والغلبة والتمكين وجنات النعيم فى الفردوس الأعلى عند رب العالمين . «**إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم**» .

ومن قول سيدنا عمر «.. وإنما ينصر المسلمون بمعصية عدوهم لله ، ولولا ذلك لم تكن لنا بهم قوة ، لأن عددنا ليس كعددهم ولا عُدتنا كعدتهم فان استوينا فى المعصية كان لهم الفضل علينا فى القوة .. » .وببعدكم عن الكتاب والسنة : تهزمون وتشقون ، وتزلون وتكون النكسة ، بل ونكسات ، فنى معصية الله الذل والبؤس والهزيمة والهوان والضعف والجحيم والعذاب المقيم . **«فمن إتبع هداى فلا يضل ولا يشقى ، ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا ، ونحشره يوم القيامة أعمى ، قال رب لم حشرتنى أعمى وقد كنت بصيراً ، قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى ، وكذلك نجزى من أسرف ولم يؤمن بآيات ربه ولعذاب الأخرة أشد وأبقى»**.

وتجول نفسى فى معان كثيرة ويساعدها على ذلك الواقع المر والحاضر الأليم ، يساعدها على إسترسالها ويحز ذلك فى نفسى إشفاقاً ولوعة ، وحزناً وأسى .

وتستيقظ نفسى من حديثها على نداء ابنتى حميدة ، فأجد نفسى أجلس بجوارها فى حجرة مغلقة علينا ويصل الى سمعى ذلك الصياح والبكاء على حامى الإسلام ! عشنا فى هذه الحجرة مغلق بابها لا يفتح إلا لماما ، لا ندرى شيئاً مما حولنا ، وفى ذات يوم استطعنا أن نحصل على حين غفلة من الحارسة على علبة سجائر فكانت هذه العلبة مفتاحاً سحرياً لقلب السجانة الغليظة القلب ، وبها فتح لنا باب الزنزانة مدة أطول ، فتمكنا أن نتبين ما يدور حولنا .. كان بجوار حجرتنا حجرة تسكنها امرأة مع طفلها الذى لا يعلم له أبا . وأمامنا امرأة أخرى تقضى أيامها الأخيرة فى مرض السل نتيجة سلوكها المشين . وبجوار هذه الحجرة عنبر فسيح يحوى ألواناً من الأمراض المزمنة المعدية ، وفى نهاية المبنى من ناحية تقع دورة مياه صرح لنا بالذهاب إليها مخالطين لهذه البشرية المريضة بمرض الجاهلية والأمراض البدنية المعدية ، وفى الناحية الأخرى من المبنى توجد بعض النساء اللائى لم نعرف جنسيتها فى حجرات نظيفة مفروشة مزينة وتوجد فى هذه الناحية أيضاً دورة مياه صحية ، علمنا ذلك كله لأن كل من هنا يسمون ذلك الجانب «الهيلتون» .

كان الجوع قد أخذ منا مأخذاً شديداً حين أهدتنا إحدى المسجونات قليلاً من الطعام ،

كان لإهدائه أثر جميل جداً فى قلوبنا ، فقد أحسسنا بأن الغابة على وحشيتها وحيوانيتها لم تخل من إنسانية . طلبنا من السجانة السماح لنا بالذهاب الى دورة المياه الثانية لنظافتها وخلوها من الألفاظ الجارحة والعبارات الدنية ، فقالت السجانة : دورة المياه الثانية خاصة بالست الدكتورة واليهود .. فسألتها متعجبة مستفسرة تقولين : يهود ؟

قالت : نعم ستات يهود ، مدام مرسيل ، مدام لوسى ، وهم كثير قاعدين ومتنزهين لا أحد يقول لهم كلمة ولا يؤخر لهم طلباً ، زى البيت وأحسن شوية ، كلهم جايين فى تجسس ، ثم الدكتورة واليهود .. فسألتها متعجبة مستفسرة تقولين : يهود ؟

قالت : نعم ستات يهود ، مدام مرسيل ، مدام لوسى ، وهم كثير قاعدين ومتنزهين لا أحد يقول لهم كلمة ولا يؤخر لهم طلباً ، زى البيت وأحسن شوية ، كلهم جايين فى تجسس ، ثم قالت : كلموا الست الدكتورة يمكن يسمحوا لكم بالذهاب اليها .

وبعد أخذ ورد فى هذا الأمر بيننا وبين المأمور إنتهى برفض طلبنا متعللاً بأن ذلك خاص باليهود !..

رأينا من ألد الأعداء .. إنسانية

أسلمنا أمرنا لله تعالى وانشغلنا به سبحانه وبتلاوة آياته الكريمة ، وبينما أعيش مع ابنتى حميدة تلك اللحظات الربانية دخلت سيدة طويلة القامة شقراء وألقت علينا التحية فرددنا التحية ثم قالت حضرتك زينب الغزالى قلت : نعم ، قالت : أنا مرسيل مسجونة سياسية وطبعاً بيننا وبينكم خلاف فى العقيدة فأنا يهودية وأنتم مسلمون ولكن النفس لا تخلو من إنسانية ، خاصة وقت الشدائد والمحن ، فلا مانع أن تكون بيننا وبينكم معاملة طيبة فى السجن ، أما خارجه فبيننا الحرب والقتال او الخلاف فى الأهداف أما الآن فنحن جميعا فى شدة وقسوة ، ولقد جئت اليكم فى غفلة من المسؤلين لأعرض عليكم تعاونى لخدمة بعضنا لبعض . فشكرناها على ذلك ثم قالت : نحن لدينا إمكانيات للأكل وإن كانت قليلة فسنقتسمها معكم وسأتحرى أن لا يكون فى الأكل ما هو محرم عندكم ونحن اليهود لا

نأكل لحم الخنزير مثلكم .

ومرت أيام كانت مرسيل اليهودية تحضر لنا بعضاً من المأكولات ، وكان أهم من ذلك كله أن هذه اليهودية دبرت لنا أمر استعمال دورة المياه الخاصة بهم ...

أحست ابنتى حميدة الحرج فى تلك الأمور فقلت لها إن الله سبحانه وتعالى يسوق الخير لعباده على يد من يشاء ، والله تعالى لا يعنت عباده ولا يديم عليهم العسر وليس لنا حيلة إلا أن نتعايش مع الإنسانية أينما وجدت مادام ذلك فى دائرة الإسلام .

ورأينا فى تلك الغابة الموحشة والصحراء الجرداء القاحلة إنسانية متمثلة فى طبيبة مسيحية تقدم لنا عونها بين الفينة والفينة ، فعجبنا لهذا الطابع الإنسانى النادر وجوده فى مثل هذه الظروف ...

وقدمت لنا أيضاً مسجونة لم تخل من قلب رقيق كيف نعيش ونتعامل فى هذا المكان مع تلك الإنسانية المهدرة ، كل شىء يشترى بالمال ، فتح باب الزنزانة لمدى أطول بالمال .. وكذلك نسمة الهواء ، لقمة العيش ، ما يستر الجسد ، .... كل شئ هنا فاغر فاه ليبتلع ، الكل هنا سواء فى ذلك المسجونات والسجانات ، وذلك يتطلب من الإنسان المال والجهد ، فهل كان ذلك أمراً ميسوراً !.

الموت .. والطغاة

قد ينسى الطواغيت المستبدون أو يتناسون أنهم لابد سيشربون من الكأس : كأس المنية . كأس الرجوع إلى الله تعالى . يتناسون ذلك فيتجبرون ويطغون ويبطشون ويُعذبون والزمن عجلته تسير بمشيئة الواحد القهار . ويتعاقب الليل والنهار . وتولد أجيال وتنقضى أعمار . وتُبلى أجساد وتنزع أرواح انتزاعاً فلا يستطاع ردها .

«فلولا إذا بلغت الحلقوم . وأنت حينئذ تنظرون . ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون . فلولا إن كنت غير مدينين ترجعونها إن كنتم صادقين» .

وفى وسط حياتنا المزدحمة بما نرى ونشاهد من صور تعكس حقيقة البشرية من حولنا وانحدارها وهبوطها إلى أعماق سحيقة من الرذيلة والانحطاط . تناقل الناس فى سجن القناطر نبأ موت عبد الناصر وهم حزانى يبكون . والله يعلم أننا ما كنا يوماً شامتين فى موت أحد فهذه آجال وأعمار مقدرة بمقدار فلا يعدو إنسان أجله ولا يستبق من عرمه شيئا . ولكن الموت نذير البشرية وناقوس فنائها : أن أفيقوا من سباتكم ودعوا طغيانكم وجبروتكم فذلك لا يغنى عنكم شيئاً ستتركون قوتكم وبطشكم . ومالكم وسلطانكم . وجندكم وحزبكم والأهل والأولاد . ستتركون كل ذلك وراءكم ظهرياً وتحشرون إلى الله تعالى حفاةً عراةً كما ولدتكم أمهاتكم !

« .. ولو ترى إذ الظالمون فى غمرات الموت والملائكة باسطو أيديهم أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون . ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شُركاء لقد تقطع بينكم وضل عنكم ما كنتم تزعمون »

« .. وما ظلمناهم ولكن ظلموا أنفسهم فما أغنت عنهم آلهتهم التى يدعون من دون الله من شئ لما جاء أمر ربك وما زادوهم غير تتبيب . وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهى ظالمة إن أخذه أليم شديد . إن فى ذلك لآية لمن خاف عذاب الآخرة ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود . وما نؤخره إلا لأجل معدود . يوم يأت لا تكلم نفس إلا بإذنه فمنهم شقى وسعيد . فأما الذين شقوا ففى النار لهم فيها زفير وشهيق . ان ربك فعال لما يريد .

وأما الذين سعدوا ففى الجنة خالدين فيها مادامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ .. »

فموت إنسان وذهابه إلى ربه تعالى لا يشغل بال المخلصين الداعين إلى ربهم سبحانه . فالموت حق فلا ينشغلون به . وكل ما يشغلهم العيش فى طاعة الله تعالى وكنف رضوانه

وبذل الجهد من النفس والنفيس فى سبيل رفع راية التوحيد . وعندما يأتى الأجل لهم أو لغيرهم ينتقلون إلى دار الحساب حيث الثواب والعقاب .

ومعركة الإسلام ليست معركة فرد أو أفراد ولكنها معركة الحق مع الباطل . معركة الإيمان مع الكفر . ومعركة العبودية لله تعالى ضد قوى الشرك والإلحاد والوثنية .

يموت من يموت ويقتل من يقتل . ولكن قتلى المؤمنين فى رحاب الجنة . فى الفردوس الأعلى فى مقعد صدق عند مليك مقتدر فى جنات ونهر . شهداء أحياء .

« يا عباد لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون . الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين . ادُخلوا الجنة أنتم وأزواجكم تحبرون . يطاف عليهم بصحافٍ من ذهب وأكواب وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين وأنتم فيها خالدون . وتلك الجنة التى أورثتموها بما كنتم تعملون . لكم فيها فاكهة كثيرة منها تأكلون .. »

وأما قتلى وموتى الكفر والباطل والإلحاد فى سقر وما أدرك ما سقر لا تبقى ولا تذر . تشوى الوجوه والأبدان . كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب . لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل . أحاط بهم سرادقها . وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوى الوجوه بئس الشراب . ليس لهم طعام إلا من ضريع . لا يسمن ولا يغنى من جوع .

« .. لهم نار جهنم لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها كذلك نجزى كل كفور . وهم يصطرخون فيها ربنا أخرجنا نعمل صالحاً غير الذى كنا نعمل أو لم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير فذوقوا فما للظالمين من نصير .. »

وتسير الأيام سيرها كما شاء الله وقدر . وتنتهى آجال وأعمار ولا يستطيع إنسان رد المشيئة الربانية .

ويتناقل الناس نبأ موت عبد الناصر والبكاء والعويل والصراخ والنحيب يملأ الدنيا وأحاديث الرثاء ليل نهار لا تنقطع لا يمل قائلها من بكاء أو تملق أو رياء . ووصل إلى

سمى كلمات شيخ ينعى الفقيد حامى حمى الإسلام .. !

ولقد أقسم هذا الشيخ نفسه فى بيتى قبل ذلك بسنين أن من يسمى عبد الناصر حامى حمى الإسلام فهو كافر . قد خلع ربقة الإسلام من عنقه . خسر الدنيا والآخرة .

وفى وسط هذه الظروف التى شحنوها بالحزن والأسى على الفقيد العظيم . استقبلنا نبأ انتقاله إلى الواحد القهار كما يستقبله من كان فى قلبه ذرة من إيمان . وغداً سيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون .

تناقل الناس هنا فى سجن القناطر أننا لم نبك ولم نصرخ ولم نحزن ولم نتألم على بطل الأبطال ! وحرك ذلك فى نفوس الأذناب الشائهة قلوبهم المريضة نفوسهم التى تعهدت ألا تكون إلاّ فى خدمة سادتها ومطامعها وهواها . تحركت لتصب جام غضبها علينا : كيف لا نحزن على .. عبد الناصر !

وتحرك الغثاء

« **وأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض** » تحرك الأتباع من رجال النفاق والرياء والزلفى وبذلوا المشقة والجهد . جهد العبيد لإرضاء سادتهم ولو فى تافه الأمر . فقاسينا من غلظ المعاملة وسوء الأخلاق ما جاد به الأذناب . وفى صبيحة يوم عقب موت عبد الناصر فتح علينا باب الزنزانة وإذا بسجانةٍ تمسك بعصاً غليظة وتهجم بسرعة وكادت أن تحطم رأسى لولا أن الله سلم ونجانا من كيد المجرمين . وعجزت إدارة السجن عن مجازاتها أو حتى لومها أو شئ من هذا القبيل . وتُرِكت وشأنها تجرى هنا وهناك كأنها لم تصنع شيئاً .

وفى أثناء زيارة أهلى لى أخبرتهم بحادث الاعتداء هذا فبذلوا جهدهم بالاتصال بالمسئولين صغيرهم وكبيرهم وإرسال برقيات إليهم فتحركت النيابة وأخذت تحقق مع السجانة على أنها هى المدبر الوحيد وأنها مصابة بمرض نفسى .

طلبت لذلك عدم إكمال التحقيق وأبلغت النيابة أن المدبر والمخطط لذلك ليست هى السجانة ولكنها قوى الإلحاد والباطل ومعتنقو البطش والإجرام . فلا معنى لمعاقبة من لا يملك من أمر نفسه شيئاً ويتحرك بأمر مسئول كأداة لتنفيذ ما يدبر فى الخفاء لإرهاب أصحاب الدعوات واستئصالهم ولكن الله غالب على أمره . وهذا نوع جديد من التعذيب المعنوى لم يخطر بالبال ابتكره تحت ظروف غير متوقعة . قوم أضلهم الله فما لهم من هاد .

ابتلاء جديد

كان يوم ٩ أغسطس سنة ١٩٧١ يوماً مشهوداً . إذ حمل صباحه إلينا اختباراً جديداً حين جاءت سجانة مهرولة تدعونى بسرعة لمقابلة المأمور فى مكتبه .

شدتنا المفاجأة وجعلتنا نذهب بفكرنا فى الأمر ماذا يكون وماذا يدبر الطواغيت والظلمة . أهناك بلاغ كيدى بأننا ننشر الإسلام فى هذا المكان . أم هناك خبر عن الأهل والديار أم هناك مخالفة ولا ندرى بها أم .. عشرات من علامات الاستفهام ؟ ؟ لم يخطر ببالنا ما تأتى به الأقدار . فذهبت إلى مكتب المأمور وجدت أمراً بالإفراج عنى وحدى . وكان شيئاً مذهلاً فأنا صاحبة الحكم المؤبد بالأشغال الشاقة أخرج لتبقى ابنتى وحيدة فى هذا المستنقع الآثم . تقاسى ما تقاسى . فانزعج قلبى من أعماقه وسيطر على نفسى حزن عميق وحيرة بالغة وبدون شعور صرخت قائلة : لا .. لا . لن يكون هذا أبدا .. لن أخرج وأترك ابنتى . إنكم أصحاب فتنة وتخطيط مظلم ! .. وثارت ثورتى وشعرت بتعب وإجهاد واضطراب فى النفس والمشاعر .

طلب المأمور منى أن أخفف من ثورتى وأن هذه أوامر لا نملك لها أدنى مخالفة . تمكثين هنا بأمر علوى وتخرجين بأمر علوى . ونحن أيضا لسنا أقل منك فى ذلك .

وبعد دقائق قليلة وجدت ابنتى حميدة أمامى فى حجرة المأمور . استدعاها لتهدئنى ولتخفف عنى ما أنا فيه . كانت محنةً هائلةً . قاسية . كيف ذلك ؟ كيف أخرج وأترك ابنتى وحدها ووجهها المطمئن المشرق لا يفارق قلبى وصوتها بكلماتها الندية يهز أوتار نفسى .

كيف أتركها وحدها فى هذا المكان المظلم الموحش . تواجه بمفردها قسوة المعاملة . ومشاعرى فى نفسى وفؤادى تصرخ بشدة كلا .. كلا لن أتركها . ويطول فى قلبى الصراع ويمتد . وهى تدعونى يا أماه يا أماه هذا فضل الله ورحمة منه والأمر كله لله والله لا ينسى عباده .

وطال الموقف وامتد المشهد فقال المأمور لابنتى حميدة اتفضلى سلمى عليها وارجعى إلى الزنزانة . وفى لحظات مضت كالبرق . فريدة فى نوعها . وحيدة فى مشاعرها . تعانقنا والدمع يخط مجراه على الوجوه والقلب ينبض بسرعة والنفس يتردد وكأنه يسابق الزمن . وفى وسط لحظات خالدة من المشاعر وخلجات النفوس . وجدت نفسى وحيدة فى حجرة المأمور الذى أتم إجراءات الخروج وانفطرت نفسى وتمزق قلبى والدمع ينهمر وأنا أخطو الخطوة الأولى إلى بيتى .

مساومة أخيرة

اخترقت العربةالطريق إلى بيتى ولكن غيرت طريقها فجأة ووجدت نفسى أمام مبنى المباحث العامة . ودخلت حجرة أغلقوا علىّ بابها من الساعة الثانية عشرة ظهراً إلى التاسعة مساءً حتى أخذونى إلى مكتب به ضابطان . أخذا يسألان أسئلة تدور حول الإسلام وهل أنت ستقومين بزيارة الإخوان بعد ذلك .

وأنا مشغولة بابنتى حميدة وأقول لهما ليس من العدل أن أخرج وأنا المحكوم عليها بالمؤبد وتبقى ابنتى وحيدة . إنكم تريدون فتنة ولكن الله لن يحقق لكم ما تدبرون . قال : إهدئى يا حاجة . قلت : إنكم تكيدون كيداً والله من ورائكم محيط والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون . قال : يا حاجة دى أوامر من فوق لا نقدر على أن نخرج حد وليس لنا كلام .

ثم أخذونى إلى مكتب أحمد رشدى الذى كان يستخدم سياطه ونفسه المريضة ليكيد رجالاً ربط الله على قلوبهم برباط الإيمان ولكن هيهات .. هيات .

ولما دخلت عنده طلبت منى الجلوس على مقعد أمامه وقدم لى التهنئة بالخروج . ثم دار بينى وبينه حديث كان عبارة عن جملة أوامر وجهها لى كان ملخصها أن لا أمارس النشاط الإسلامى وأن لا اتزاور بينى وبين إخوتى ومعارفى فى الله ولا تعاون بيننا ولا تواد وأن أتردد على مكتبه بين الحين والحين.

فقلت له لما فرغ من حديثه : الكلام الذى وجهته إلىّ أرفضه جملة وتفصيلا . بل أرفض قرار الأمر بالخروج وتبلغ المسئولين بذلك وأطلب عودتى فوراً إلى سجن القناطر.

وأنهى أحمد رشدى الحديث . وابتسم قائلا : «على أى حال فيه كثير من الإخوان تفاهموا معى على ذلك» فقاطعته قائلة : والله لا أعلم عن الإخوان الا خيراً وأما ما تقوله أنت بالنسبة لبعض الإخوان فلا أستطيع أن أبدى رأيا .. لا أصدق صدوره منهم . إن الإخوان المسلمين ورثة حق يعملون له ليل نهار حتى يأتى الله بنصره أو يهلكوا دونه.

ودق جرس التليفون وأجاب أحمد رشدى قائلا : دعه يكلمنى . ثم قال : أهلاً وسهلاً يا أستاذ عبد المنعم . اتفضل . نحن محتاجون اليك .. ووضع سماعة التليفون ثم قال لى أحمد رشدى : الأستاذ عبد المنعم الغزالى جاى هنا . وبعد قليل حضر شقيق عبد المنعم وسلم علىّ وهو يبكى . قال له أحمد رشدى : أنا أريد أن تحكم بينى وبين الحاجة لأننا مختلفان . فأجاب شقيق : الحاجة أكبر منى وأنا شقيقها الأصغر . وليس من عادتى أن أناقشها فى شىء . أضف إلى ذلك لو سمحت لى . أنها تمتاز بقوة منطقها وصحة حجتها . فقال أحمد رشدى : طيب يا حاجة مبروك بس ملكيش دعوة بعمل تنظيمات مسلحة للإخوان . قلت : التنظيمات السرية أنتم الذين تلفقون قصصها وتخرجون تمثيلياتها . إن قيام الدولة الإسلامية واجب على المسلمين وعدتهم فى ذلك الدعوة إلى الله تعالى كما دعا رسوله صلى الله عليه وسلم وصحبه الكرام . وهذه رسالة كل مسلم سواء كان من الإخوان أو غيرهم.

ثم انصرفت مع شقيق إلى بيتى وكان ذلك فى الساعة الثالثة صباحاً فى اليوم العاشر من أغسطس سنة ١٩٧١ .

محتويات الكتاب

رقم الإيداع : ١٧٨٧ / ١٩٨٩
ترقيم الدولى : ٣ ـ ٢٩٦ ـ ١٤٨ ـ ٩٧٧

مطابع الشروق

القاهرة : ١٦ شارع جواد حسنى ـ هاتف ٣٩٣٤٥٧٨ ـ ٣٩٣٤٨١٤
بيروت : ص ب . ٨٠٦٤ ـ هاتف ٣١٥٨٥٩ ـ ٨١٧٧٦٥ ـ ٨١٧٢١٣

هـذا الكتـاب

- تنفد طبعاته المتتالية .. فى أرقام قياسية لنفاد الكتب !

- فقد أقبل القراء مشدودين بحقائقه المثيرة الرهيبة ، زاد من وقعها وأثرها ما اقترنت به ، من عرض للدعوة وفلسفتها ومناهجها عرضاً ثابتاً جريئاً لا موارية فيه .. فى مواجهة الطغيان نفسه وفى ثنايا أبشع تعذيب وتنكيل منه .. وفى موقف الهجوم لا موقف الدفاع ! !

- الكتاب ، أولا وأخيرا ، يعطينا الاجابة ويفسر لنا :
لماذا لم يكن ممكنا أن يتأتى لنا النصر؟ !

- وقد كانت هذه هى «ساحات النزال » التى حذقها «المغاوير» وتوفروا عليها ، وبرعوا فيها .. تصول «جحافلهم » وتجول ، تنفذ أبشع الجرائم ، وتمارس أحط الأساليب .. للقهر والتعذيب ، والتنكيل والتخريب .. للشرفاء والمؤمنين !

- تُصور بعضَ ذلك ، الداعية الاسلامية المجاهدة ، الصابرة المصابرة .. زينب الغزالى الجبيلى .. عبر تجربتها الشخصية التى عانتها وخاضتها .. بثبات المجاهدين وبلاء الصابرين وشموخ المؤمنين !

- ترويها فى وقائع مثيرة .. مذهلة .. محزنة !
وتقدمها فى هذا الكتاب بعنوان «أيام من حياتى » هدية إلى : « **الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً ، وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل** » .

محمد المعلم